من الفولكلور الحضرمي

الجزء الأول

أساطير وخرافات شحرية

تأليف

أنور حسن السكوتي


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى من يملكونه

أبناء سعاد الشحر جميعاً

كلمة شكر وعرفان

لا يسعني في هذه الدراسة المتواضعة إلا ان أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم معي في إخراج هذه المادة البحثية بهذه الصورة وبهذا الشكل. سواء كان عن طريق تزويدي بالمواد والمعلومات القيمة التي أفادت كثيرًا هذه الدراسة واغنتها. أم عن طريق إبداء الملاحظات والآراء الخاصة فيما طرح من موضوعات ومناقشتها مناقشة مستفيضة. وأخص بالشكر هنا أستاذي الباحث (عبد الله صالح حداد) الذي أعتبره أحد الرواة الأساسيين ممن اعتمدت عليهم في جمع هذه المادة فضلًا عما قدمه لي من كامل محتويات مكتبته الخاصة الغنية والثمينة. كما أخص بالشكر والتقدير كذلك أستاذي الباحث المرحوم (عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي) (أسأل الله له الجنة) لما قدمه لي في حياته من معلومات وملاحظات وإرشادات قيمة أفادتني كثيراً.

كما أشكر كذلك الأستاذ الدكتور (عبد الله سعيد الجعيدي) لما أبداه من نصائح وإرشادات جاءت بعد اطلاعه على المسودة المبدئية لهذه الدراسة. وهي التي أسهمت في إعادتها إلى مسارها الصحيح بعد أن كادت تنزلق بها في طرق متشعبة كنت في غنى عنها. كما أتقدم بخالص شكري وتقديري لكل من الدكتور (جنيد محمد الجنيد) وزوجتي (نادية سعيد بخضر) وأصدقائي الاعزاء (صالح حسين الفردي, فهد سالم بن داعر) لما قدموه من تسهيلات لإنجاح هذا العمل كلٌ من جانبه. والشكر الكبير موصول لكل الرواة المساهمين في جمع هذه المادة. سواء كانوا ممن خصصت بذكر أسمائهم في هوامش هذا الكتاب أم أولئك الذين لم أذكرهم وهم الأكثرية لعدم إمكانية حصر أسماء مجتمع بكامله. فضلًا عن رواة أساسيين فضلوا عدم الذكر رغبة منهم.

الباحث /

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يوما بعد يوم يتعاظم اهتمام شعوب العالم بتراثها وتاريخها, بعاداتها وتقاليدها بقيمها وآدابها. إذ خصصت لهذه الدعائم المجتمعية المرتبطة بهويتها الوطنية الكثير من الدعم والتشجيع وكل ما من شأنه أن يحافظ على كيانها وتراثها وهويتها في عصر أضحى فيه الصراع والتنافس بين الهويات والثقافات حول العالم أمرًا لا مفر منه وخاصة بعد انتشار ما عرف بـ(العولمة) والانفتاح على ثقافات العالم فضلًا عن التواصل والتقارب الحضاري بين الشعوب. إذ ادركت تلك الشعوب تمامًا معنى الحفاظ على الهويات الوطنية وصيانتها، وأن البقاء لن يكون إلا للثقافة الأقوى. وإن الهويات الوطنية إذا لم تهتم وتتشبث بها الشعوب نفسها عن طريق حكوماتها ومنظمات مجتمعها المدني المعنية فإن مصيرها لا محالة للزوال.

على الرغم من كل هذه ما حظنا من الاهتمام بتراثنا وتاريخنا المحلي وبالوعي لقيمة كل منهما في مرحلته الجنينية. وعلى ما يبدو أن مخاضها سيكون عسيرا إن لم تسارع ومن الآن الجهات المعنية بلملمة ذلك الشتات وتوثيقه وصيانته وحفظه من كل أشكال وصور الضياع. مع التمهيد لإبرازه بالمظهر اللائق الذي يليق بأصالته وعراقته.

ولعل في بعض الجهود المحلية التي بدأت تلوح في الأفق حديثًا ما من شأنه أن يهدئ الروع ولو قليلاً. إذ بدأت بعض جامعاتنا ومعاهدنا العلمية تلتفت ولو بنوع من الاستحياء لهذا التراث (المحلي) وتخصص له بعضًا من أقسامها. كما جعلت من بعض المواضيع الفولكلورية مواد بحثية يتناولها الطلاب ضمن مقرراتهم الدراسية. إلا أن الطابع السطحي لها ما زال هو السائد والسائد أيضًا في المخرجات. آملين أن تتجاوز تلك الجهات الأكاديمية كل العثرات والعقبات والسير بها باتجاهات نحو الأفضل وعدم تركها للهواة والمتطفلين للنيل من هذا التراث الخصب وتشويهه.

إن التراث الحضاري للشعوب عامة لم يعد اليوم ينظر إليه كتراث خاص بهذا الشعب أو ذاك بهذا المجتمع أو ذاك بهذه الجماعة أو تلك. إنما هو تراث إنساني عام تتشاركه كل شعوب العالم وتتفاعل معه. وما هذا إلا لإيمان الجميع بأهمية وقيمة هذا التراث العالمي. فكان اهتمام الشعوب به من منطلق (أن المجتمع غزير التراث دليل على تميزه وعظمته وأصالته).

إنّ الفولكلور أو كما يطلق عليه بعضهم بـ(التراث الشعبي) وأحيانا المأثورات الشعبية أو الأدب الشفهي أو الموروث الشعبي أو مفهوم الحياة الشعبية. وجميعها في

الأغلب مصطلحات مترادفة تحمل الدلالات نفسها أو قل تتقارب وتتداخل مع بعضها لدرجة يصعب فيها التمييز بينها حتى لدى المختصين.

وعليه يمكننا القول هنا إن الفولكلور Folklore كمصطلح الذي يرادف (التراث الشعبي) يهتم بشكل أساسي بمجالات تتعلق بالقصص والحكايات الشعبية والأهازيج والأساطير والخرافات والحكم والأمثال والعادات والتقاليد والفنون والآداب غير المكتوبة ..إلخ التي تتناقل بين الأجيال شفاهة جيلًا بعد جيل دون أن تنسب لفرد ما. ومن مميزاته العراقة والحيوية والشفهية.[1] أو هو كما عبر عنه الباحث (حمزة علي لقمان) عند تفسيره لكلمة (فولكلور) بهذه الاصطلاحات: العادات المأثورة، الآثار الشعبية القديمة، العادات القديمة والمعتقدات، الروايات الأسطورية الخرافية، الظواهر النفسية عند الشعوب، الأساطير والخوارق، الموروثات الثقافية، الثقافة البدائية، الممارسات والعادات والأفكار، الفنون الكلامية والآداب الشفوية، التراث الشعبي.[2]

وبطبيعة الحال لست في هذه الدراسة معنيًا بالخوض في تلك المصطلحات والمفاهيم الفولكلورية وتبيان تعدد وتنوع المدارس والاتجاهات التي تناولت هذا العلم بمواضيعه ومجالاته المتعددة. إذ إن هناك العديد من الأدبيات المختصة عُنيت به وتوسعت فيه. بقدر أن ما أعني به هنا هو تجميع المواد الفولكلورية (المحلية) لمجتمع الدراسة (مدينة الشحر) ولملمة شتاتها من مصادرها لتأخذ طريقها في الحفظ والتوثيق تمهيدًا لدراستها مستقبلًا دراسة منهجية مستفيضة والوقوف بعمق على دلالاتها ورموزها ومضامينها.

ولا يعني هذا أنني في دراستي هذه لن أتطرق إلى تلك الجوانب النظرية البته. إذ تتوجب مني هذه الدراسة تقديم ولو لمحة مبسطة لبعض تلك المواضيع الفولكلورية بمفاهيمها وما ورد عنها في بعض الأدبيات إثراء للدراسة ومزيدًا للفهم والإيضاح ولإثراء مكتباتنا المحلية التي تكاد تكون جرداء من مثل هذه الدراسات التي تلتزم

---

[1] للمزيد عن مصطلح الفولكلور (التراث الشعبي) انظر د. سليم , شاكر مصطفى, قاموس الأنثروبولوجيا, من إصدارات جامعة الكويت, ط١, ١٩٨١م ص٣٦١؛ مرسي, د. أحمد مقدمة في الفولكلور, الناشر دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٧٦م. وللمزيد عن علم الفولكلور, ماهيته, نشأته, مواضيعه, علمائه وأهم المدارس والاتجاهات.. إلخ. انظر في ذلك هولتكرانس, إيكه, قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور, ترجمة د. محمد الجوهري, د. حسن الشامي ط٢, الهيئة العامة لقصور الكتاب ص٢٨٢ – ٢٩٢؛ والخوري, لطفي, التراث الشعبي, منشورات وزارة الثقافة والفنون, العراق, ١٩٧٩م؛ وانظر يونس, عبدالحميد, دفاع عن الفولكلور؛ الجوهري, محمد وآخرون, النظرية في علم الفولكلور, الأسس العامة ودراسات تطبيقية, وغيرها من مؤلفات.

[2] لقمان, حمزة علي: أساطير من تاريخ اليمن, دار المسيرة بيروت الطبعة الأولى بدون تاريخ ص٧.

بأصول البحث العلمي ومنهجيته. وطبعًا من دون الخوض في نقاشات المصطلحات والمفاهيم أو الغوص في الجوانب التحليلية للمواد التي هي غالبًا تتجاذبها ثقافة وتصورات واتجاهات الباحث نفسه وتوقعاته فما يريد للظاهرة المبحوثة أن تكون وليس لما هي عليه في الواقع. وحتى هذا الجانب التحليلي ربما قد أنساق له في بعض المواضيع والفقرات ولكن بحذر وفي حدود ضيقة وفقًا لما تقتضيه الضرورة.

ونظرًا الغزارة وتنوع المواد الفولكلورية التي يزخر بها مجتمعنا الحضرمي عامة ووجود الرغبة الملحة والمتزايدة من بعض أبناء حضرموت الغيورين على تراثهم وآدابهم في الإسراع لحفظ وتوثيق ما تبقى منه بعد أن ضاع وغيّب الكثير. جاءت هذه الدراسة للملمة الشتات وحفظه. وإن كان تركيزها على المجتمع الشحري كجزء من المجتمع الحضرمي ككل.

وفي حقيقة الأمر إن غزارة المواد وتنوعها وتداخل محتوى المواد الفولكلورية بين مدن وقرى حضرموت (ساحلها وواديها وصحرائها) فضلًا عن خصوصياتها أو تبايناتها في أحيان أخرى بين تلك المناطق بعضها مع بعض. وهو أمر قد يتطلب من الباحث فيها أولا تسجيل كل المواد التي تزخر بها مناطق حضرموت عامة. ومن ثم تجميعها وترتيبها في أنساقها ومصفوفاتها ليتبعها البحث عن العام والخاص والمشترك بينهما لاستخلاص ما من شأنه أن يشكل جوهرًا واحدًا لـ(الهوية الحضرمية الأصيلة) على سبيل الإجمال. وفي الحقيقة إن أمرًا كهذا لجدًا صعب ويتطلب جهودًا وإمكانيات جبارة وإلى دعم حكومي أو مؤسسي وهو ما لا يتوفر لدي الأن.

وعليه فقد آثرت أن تقتصر هذه الدراسة الفولكلورية على جزء محدد من هذا القطر الحضرمي الكبير لتناسبها مع الإمكانيات والقدرات المتاحة لدينا حالياً. وقد وقع اختياري على (مدينة الشحر) الحضرمية وما يحيط بها من قرى ومناطق قريبة وذلك لاعتبارات عدة من أهمها:-

أولاً: إيفاء ولو جزء من الدين الواقع على أكتافنا لهذه البلدة المعطاء كوننا من أبنائها ومن نشأ وما زال يشب بين أذرعها الطيبة.

ثانيًا: تنوع وغزارة هذه المواد الفولكلورية بالمدينة في الوقت الذي لاقت فيه هذه المواد تسيبًا وإهمالًا وتغييبًا متعمدًا أثّر في ضياع الكثير منها. نقول هذا بالرغم من تلك الجهود التي بذلت من عدد من الباحثين الغيورين من أبناء المدينة لحفظ تاريخها وتراثها وآدابها.

إلا أن الذي جمّع ودوّن عنها نعده قليل بينما الكثير ما زال مفقودًا بحاجة لان يشمّر الجميع عن سواعدهم والتنقيب عنه ونبشه.[٣]

ثالثًا: تاريخية المنطقة وحيويتها الأمر الذي جعلها محور اهتمام وبؤرة يرتكز عليها نظر الكتّاب والباحثين بل والهواة أيضا والمتطفلين. ومحاولات بعضهم بقصد أو بدونه تشويه أو طمس العديد من ملامحها وصورها التاريخية والتراثية. فكانت هذه خطوة منّا على الدرب الصحيح لإصلاح ما أفسده ويفسده الآخرون.

رابعًا: إن هذه المدينة (مجتمع الدراسة) ومنذ فتراتها التاريخية إلى اليوم, تُعد محور استقطاب للعديد من الوافدين إليها من المدن والمناطق المجاورة ببدوها وحضرها بل ومن الأقاليم الأخرى غير البعيدة. ما جعلها تكون بؤرة مميزة انصهرت فيها ثقافات الوافدين بثقافة أبناء البلد الأصليين. مشكلّة في النهاية ثقافة واحدة مشتركة وإرثًا حضاريًا واحدًا يتقاسمه الجميع.

وطبعًا نحن في هذه الدراسة المتواضعة لا نزعم بكمالها أو شموليتها أو حتى استيفائها لكل عناصر ومكونات التراث الشعبي. فهي كما أشرت عديدة ومتنوعة يصعب حصرها في مجلد واحد. كما لا ندعي كذلك أسبقيتها فهناك عدد من الباحثين والمهتمين ممن سبقونا قد تطرقوا إلى غير جانب من جوانب هذا التراث الشفهي أو التراث المكتوب. إلا أن غالبيتها لم يلتزم فيها أصحابها بالمنهجية العلمية أو بالإحاطة الشمولية فضلا عن تمييز العام من الخاص. ما سبب إشكاليات والتباسات لدى القراء والباحثين أيضا. كما أن التراث المكتوب نال من كتاباتهم نصيب الأسد على حساب الشفهي منه.

إن هذه الأمور وغيرها هي التي دفعتني للكتابة عن هذا المجتمع الحضرمي المصغر (مجتمع مدينة الشحر) والتركيز أكثر شيء على التراث الشفهي فيه. وحتى هذا التراث الشفهي المتناقل ونظرًا لغزارته وتنوعه تناولت بعضًا من مواضيعه ومجالاته

[٣] أود هنا ان أشير إلى بعض أولئك الباحثين والمؤرخين الغيورين من أبناء المدينة ممن ساهم في حفظ ما تبقى من تاريخنا وتراثنا الشعبي منهم على سبيل الإجمال لا الحصر الفقيد المؤرخ (عبد الله بن محمد باحسن جمل الليل) والفقيد المؤرخ (محمد عبد القادر بامطرف)و الفقيد الباحث والأديب (عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي) وكذلك عمه الفقيد المؤرخ والفنان (أحمد بن عبد القادر الملاحي) صاحب (المدونة التاريخية الشحرية) (مخطوط) والفقيد الدكتور (محمد عبد القادر بافقيه). ومن الباحثين المحدثين في هذا الشأن نشير إلى الأستاذ الباحث (عبد الله صالح حداد)و الأستاذ الباحث (خميس كرامه حمدان)و الأستاذ الباحث (أحمد عمر مسجدي)و المؤرخ (محمد عمر باموسى)و الباحث (عادل حاج باعكيم) والأستاذ الكاتب (عمر عوض خريص) والأستاذ (خالد الهندي) والأستاذ (عيدروس الحبشي) وآخرين. وإسهاماتهم جميعاً في حفظ وتوثيق عدد من تلك المواد التاريخية والتراثية ولملمة شتاتها.

التي أرى بانها لم تحظ بالعناية والاهتمام الكافي. وطبعًا من دون إغفال المواضيع الأخرى التي وأن تطرقت إليها هنا فإنما هو من قبيل الحفظ الأولي تمهيدًا لدراسات أخرى أكثر شمولًا وأكثر تفصيلاً.

وبما أن معظم هذا الإرث يعتمد في الأكثر على النقل الشفهي وعلى ما توارثته الأجيال عبر السنين الطوال. فلا أزعم هنا بأن كل ما سيرد هو كل ما كان موجودًا وإنما هذا ما قد تحصلت عليه بجهد. إذ إن هناك وبلا شك المزيد منه بحاجة للبحث والكشف والإيضاح وربما هي الأيام القادمة ستظهر لنا ما خفي و مالم نستطع الوصول إليه. كما أن بعضهما قد اختفى منذ زمن ولم يعد له اليوم أي أثر غير ذكرى عابرة ضمتها صدور الرواة أو هي إشارات وتلميحات لما كان عليه الحال في الفترات الماضية وجدت بين ثنايا المصادر والمراجع آثرنا رصدها وتوثيقها.

وصف الدراسة:

إن هذه الدراسة بأجزائها (المستقلة) كما أشرت جاءت للملمة وجمع وتوثيق كل ما يتعلق بالتراث الشعبي الحضرمي وخاصة المتداول في مدينة الشحر كجزء لا يتجزأ من التراث الشعبي المتداول في عموم مناطق وبلدات حضرموت بل وامتدادها لعموم مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية وذلك في محاولة مني لتوثيق هذا الجزء الخاص تمهيدًا لتوثيق الكل.

وقد قسمت كتابي هذا ((من سلسلة الفولكلور الحضرمي, الجزء الأول, أساطير وخرافات شحرية)) إلى بابين رئيسين. الباب الأول ويضم الأساطير والخرافات وقسمته إلى ثلاثة فصول. افتتحته اولا بمقدمة قدمت فيها لمحة موجزة عن طبيعة هذه الدراسة وأهدافها ومناهجها المستخدمة. ثم قدمت بالفصل الأول خلفية تاريخية لمدينة الشحر (مجتمع الدراسة) سلطت الضوء فيها على الجوانب الفولكلورية والأسطورية المرتبطة بمواضيع الدراسة تاريخيًا التي رأيت أنها لم تحظ بالعناية والاهتمام الكافي في كتابات من سبقونا في هذا المجال. ولكون الدراسة نفسها معنية بهذا الشيء. أما الفصل الثاني فخصصته للديانات والعبادات الوثنية القديمة وما ترسب منها في الوجدان الجمعي من ممارسات وسلوكيات لا واعية. بينما الفصل الثالث جعلته للأساطير والخرافات السائدة بالمنطقة وتلك التي احتوتها بطون المصادر والمراجع المختلفة. أما الباب الثاني من هذا الكتاب فقد حمل عنوان (المعتقدات الشعبية) وتناولت فيه في الفصل الأول التصورات الشعبية الدائرة حول السحر والسحرة والكهانة وعالم الجن والعفاريت وما يتعلق بهم. أما الفصل الثاني فخصصته للكائنات الأسطورية والشخصيات الخرافية في تراثنا الشحري وما ارتبط بها من تصورات وأفكار قد يعدها بعضهم (زائفة) أو رجعية في حين نعدها جزءًا أصيلًا من فكر وتصور الناس للأشياء من حولهم ساد في حقب تاريخية مختلفة

بعضها قد يكون موغلًا في القدم. وهي تصورات ستسهم في الكشف عن العقلية الشحرية بثقافتها التي كانت سائدة في مجتمعها وفي حضرموت عامة. كما أنها مكون أصيل من مكونات ثقافة أبناء البلد التي تشكلت عبر السنين الطوال لا ينبغي الاستهانة بها أو التقليل من شأنها.

وأحب أن أشير إلى أن هذا التقسيم السابق للكتاب في إطار أبواب وفصول ومواضيع إنما دعته الضرورة لاعتبارات فنية تتعلق بالطباعة. إذ إن غالب مواضيعها تدخل أساسًا ضمن ما اصطلح عليه بـ(المعتقدات الشعبية) كما أن مواضيعها متداخلة يصعب الفصل بينهما. فكان هذا التقسيم لتلك الاعتبارات فقط.

أما بقية الأجزاء الأخرى من سلسلة (من الفولكلور الحضرمي) فتناولت فيها مجالات ومواضيع أخرى ذات ارتباط بالموروثات الشعبية كالطب الشعبي وأهازيج الأطفال وألعابهم والأمثال والحكم الشعبية السائدة. فضلًا عن الحكايات الشعبية وأغاني العمل. ولم أستثن في بعض مواضيعها أرياف المدينة القريبة. كما خصصت جزءًا مستقلًا للألفاظ والمفردات والاصطلاحات الشعبية السائدة في اللهجة الشحرية ليكون معجمًا مصغرًا يساعد القارئ والباحث والمهتم الوصول إلى معاني المفردات العامية السائدة سواء كانت تلك المفردات الواردة في ثنايا سلسلتنا هذه أم المفردات المتداولة بين ألسنة العامة في أحاديثهم اليومية على أمل لو طال بي العمر وتوفرت الإمكانيات استكمال المجالات الأخرى العديدة من تراثنا الشعبي. أما عن الشعر الشعبي فقد أوردت نماذج عديدة منه ضمن ثنايا المواد والفقرات المتنوعة هنا وفي بقية الأجزاء الأخرى على أمل أن أخصص له جزءًا مستقلًا بذاته مستقبلاً.

أهمية الدراسة:

إن لهذه الدراسة أهمية كبرى ليس على الصعيد المحلي المقرون بمجتمع الدراسة أو على مستوى الإقليم. ذلك أن أهميتها تكمن على صعيد الجنوب عامة. فهي تُعد إضافة أخرى جديدة لذلك القليل من الكتابات الإقليمية التي تناولت التراث الشفهي في جنوب الجزيرة عامة والحضرمي على وجه الخصوص. وهي من ناحية أخرى تتمثل في شموليتها وتركيزها على مجتمع واحد مصغر (مجتمع مدينة الشحر). حيث جاءت المعلومات عن هذا المجتمع غزيرة ومتنوعة من خلالها يستطيع الباحثون والمهتمون إيجاد ضالتهم ومادتهم فيها. كما أنها ستساعدهم كذلك في دراساتهم المنهجية وفي إجراء المقارنات بين مواضيع هذه الدراسة وبين مواضيع دراسات أخرى مشابهة لمناطق أخرى نالت نصيبها من التدوين والتوثيق أو في طوره.

ومن ناحية أخرى ستشكل هذه الدراسة مستودعًا وذاكرة يحفظ للأجيال القادمة إرثًا تناقلته ألسن الآباء والأجداد. كما أنها وهو الأهم ستشكل جانبًا أساسيًا من جوانب التوثيق لتراث هذه المدينة حتى لا يطمس تراثها وتاريخها أو يذهب إرثها للغير ولا ينسب لها. كما أنها من جانب آخر ستشكل مرجعية للمهتمين بهذا التراث حتى لا ينقل تراثنا وآدابنا بصور مشوهة أو محرّفة كما حدث في عدد غير قليل من الكتابات أو في بعض المناسبات والمهرجانات التي استعان فيها أصحابها بنماذج من فولكلورنا الشحري خاصة. ونُقِل بصورة مشوهة نُزعت منه روحه ومضمونه. والأدهى أنه نسب لغير مدينة الشحر.

مشكلة الدراسة:

كما أشرت مسبقًا وبما أن هذه الدراسة تعتمد أكثر شيء على الجانب الشفهي من التراث, وعلى ما اختزنته ذاكرة الأجيال عبر امتدادها التاريخي الطويل, فلا عجب من أن تصادفنا ضمن إطار الدراسة بعض العراقيل التي لابد منها بحكم أولًا طبيعة الدراسة نفسها (النقل الشفهي) وتتمثل هذه في ضعف ذاكرة بعض الرواة, خاصة أن أغلبهم من كبار السن والعجزة. منهم من قضى نحبه أثناء إعداد هذه الدراسة لم نتمكن خلال فترة اتصالنا معهم لعق كل ما في مخزونهم الفكري والثقافي من موروث. كما وجد رواة آخرون لم نوفق في الاتصال بهم مباشرة وإنما عبر وسطاء لبعض الاعتبارات المتعلقة بالعادات والتقاليد وبالذات إن كان الراوي من النساء.

ومن الإشكاليات الأخرى التي واجهتنا عمليات التحوير والتغيير والإبدال التي صاحبت ذلك الإرث الشفهي عبر سنيه الطوال. وهي أمور لاحظناها في تعدد بعض الروايات والأخبار وتداخلها مع أخرى, وفي تنوع بعض المفردات (الحيوية) واختلافها بين راو وآخر وفي سياق الموضوع الواحد نفسه كتلك المفردات التي ارتبطت بأهازيج الأطفال أو الشعر الشعبي أو الواردة في بعض حكايات الجدات أو الحكم والأمثال. حيث جاءت مفرداتها المنطلقة من شفاه الرواة أكثر تنوعًا وتمايزاً. وهذا أمر طبيعي كما نرى. فتلك الأدبيات ليست (نصوصًا مقدسة) تتوجب على الجميع حفظها وسردها بمفرداتها الأصلية كما تفوهت بها الشفاه أول مرة أو وفقًا وسياقها وترتيبها الأصلي. وإنما تعتمد على مدى قوة ذاكرة وثقافة الراوي في تبنيه لمفردة ما دون أخرى أو لحادثه ما دون غيرها. وهذه الأمور التي أشرنا إليها آنفًا قادت أحيانًا إلى خلط بعض الروايات والحكايات ببعضها . وفيها فضلنا اختيار وترجيح الروايات التي اتفق عليها غالبية الرواة والتي تتلاءم وتتناسب مع الحبكة الدرامية والمضمون الأدبي والوظيفي لها. مركزين جهدنا على المحتوى الكلي للحكاية وعلى ألفاظها الدارجة التي لابد منها لإبراز الجانب اللغوي من اللهجة.

أيضاً طبيعة هذه الدراسة التي تعتمد على قوة ملاحظة الباحث وعلى النقل وتلقي الأخبار وتتبعها وهذا معين لا ينضب من شأنه أن جعل من المواد المجمعة تتجدد دومًا ويزداد محتواها كمًا وكيفًا يومًا بعد يوم. وهذا الأمر جعل مني ومنذ المرحلة الأولى للصياغة النهائية لهذه المادة سنة ٢٠٠٨م أن أعيد صياغتها مجددًا واستدرك عليها الجديد الذي أتوصل إليه منها لضرورياته ما ضاعف في الجهد واستنزف الوقت. وحتى هذه المادة النهائية لا أدعي لها الكمال أو أنها استوفت كل المجالات والمواضيع المتعلقة بتراثنا الشعبي الشفهي. فمما لا شك فيه أن هناك المزيد من هذه الشذور المتناثرة هنا وهناك بحاجة لمن ينقب عنها ويجمعها ويوثقها والمجال مفتوح لكل مهتم جاد.

ثانيًا: أن المصادر والمراجع التاريخية المحلية (المدونة) والمتعلقة بموضوع الدراسة التي يمكن أن تعيننا في هذه الدراسة جاءت محدودة وخاصة في المواضيع التي تندرج ضمن التراث الشعبي. وهذه إذا وجدت في بعض المؤلفات فعلى الغالب وجودها كإشارات عابرة لم تحظ بوقفة كافية أو مفصلة حولها إلا فيما ندر. وقد أرتأينا هنا ذكرها واعتماد ما يمكن اعتماده. ذلك أن هدفنا هنا هو تجميع التراث الشفاهي المتناقل بين أفواه الناس بما فيه ذلك المدون الذي كان في وقت مضى شفاهيًا قبيل أن يجد حظه من التدوين والتوثيق.

ثالثًا: التي نعدها مشكلة أخرى في الدراسة أن طبيعة مثل هذه المواضيع المعتمدة على الملاحظة والنقل الأثنوجرافي أو ذاكرة كبار السن أن ألهمت العديد من الفضوليين والمتطفلين خوض ميادين علم الفولكلور ومجالاته والكتابة فيها وأصبح كلٌّ يدعي بمحاولاته المتطفلة تلك إبراز التراث والمحافظة عليه. وهي أمور أدت -لعلها من دون قصد منهم- إلى تشوه أصاب العديد من المواد الفولكلورية الأصيلة. بل وأحيانا تزييفها أو تغليفها بمضامين فارغة بعيدة كل البعد عن أصالتها الحقيقية.

إن الذي ساعد هؤلاء المتطفلين على إبراز تطفلهم ظهور وسائل إعلام حديثة خالية من أية معايير أو قيود وليس عليها رقابة أو محاسبة كتلك التي تعتمد في نشر موادها على شبكة الإنترنت وما تقدمه هذه الشبكة من خدمات مجانية وضخ لمواد لا حصر لها عبر المواقع الإلكترونية أو المنتديات عامة أو مدونات الأشخاص حيث ينشر فيها الجميع الغث والسمين. المعتمد والمزور. ومثلها الآن مع بروز الأشكال الأخرى للتواصل الاجتماعي من فيسبوك وواتس أب وغيرها من وسائل نشر سهلة الذيوع والانتشار. كما أن ظهور القنوات الفضائية التي تقبل كل شيء ولا ترده ولا يهمها سواء نشر مواد تجذب نظر الجمهور مهما كانت سطحية أو تافهة. فجميعها أتاحت لمثل أولئك نشر جراثيم تطفلهم لتلقى من الانتشار والذيوع الشيء الكثير للدرجة التي يعجز فيها القراء وخاصة ممن لم يعاصرها أو يعاينها تفنيد الغث منها والسمين. الأصيل من المنحول.

الكاتب المختص من الهاوي. فتلتبس على الجميع حال المعلومة ويظنون أنها كانت هكذا بينما هي في الأصل غير.

وعليه أصبح لزامًا علي أن أتجاوز كل ما يطرح هنا أو هناك. وأن لا أعتمد إلا على كل ما هو أصيل وموثوق ومن ألسن رواته مباشرة فهم أعلم الناس به وهم أصحابه الحقيقيون كي أقدم للقارئ مادة نقية خالصة ومن مصادرها.

رابعًا: ومن الإشكاليات الأخرى في تلك التي قد تواجه القارئ الحضرمي خاصة. إذ قد يجد في مواد هذا الكتاب العديد من المواضيع التي قد يرى أنها مغايرة أو متباينة لبعض ما هو موجود في مدينته أو قريته. فيظن أن هناك لبسًا أو خللًا ما في معلوماته أو في هذه الدراسة. وهنا نؤكد له أن هذا الأمر طبيعي فهناك ما يعرف بالخصوصية التي تطبع بها كل بيئة صغيرة كانت أو كبيرة. كما أن طبيعة مثل هذه المواضيع الفولكلورية الهجرة والانتقال وهي أثناء تجوالها وانتقالها بين البيئات قد تكتسب صفات جديدة أو تختزل أخرى لتتلاءم مع بيئتها الجديدة. كما أن تلك المواد بحكم طبيعتها ليست جامدة وإنما تتحرك وتتحور بمرور الوقت ما يجعل من التنوع والتباين بين المناطق المتقاربة ممكناً. ومثلها مع المناطق البعيدة عنها. بل وقد نجد مثل هذا التنوع والتباين حتى بين أبناء المدينة الواحدة نفسها ممن يتشاركون هذا التراث. إذ إن هناك ما يسمى بالخصوصية التي تطبع كل بيئة بطابعها الخاص قد لا يوجد ببيئة أخرى مشابهة لها أو قريبة منها. وبالمقابل لابد من وجود قواسم مشتركة تتشارك فيها كل أو معظم مدن وأرياف المنطقة ما يؤكد وحدة هويتها وتراثها. وعملية فصل مثل هذه الأمور المتشابكة جدًا لتثبيت خصوصيات المناطق يحتاج إلى دراسات مقارنة ولمناهج تحليلية خاصة ولبحوث مستقلة بذاتها. وهذا قد لا يتأتى لهذه الدراسة المتواضعة. وعليه فإن ما سيرد هنا إنما هو خاص بمجتمع الدراسة (مجتمع مدينة الشحر) بغض النظر إن تشابهت أو اختلفت مواضيعها الفولكلورية أو أجزاء منها مع غيرها من المدن والقرى الحضرمية الأخرى.

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس من هذه الدراسة يتمثل في جمع وتدوين وتوثيق التراث الشعبي المحلي, وذلك حفاظًا عليه وصيانة له من الطمس والضياع. وليكون مادة خصبة غنية للباحثين والمهتمين في الجانب الفولكلوري للشحر (المدينة) ولحضرموت عامة.

كما تهدف هذه الدراسة إبراز الجوانب التاريخية والحضارية لهذا البلد المعطاء. وإعطاء القارئ صورًا ونماذج حية لما كانت عليه بعض جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية لمدينة الشحر مجتمع الدراسة منذ تاريخها وحتى نهاية العقد الثامن من القرن العشرين الميلادي.

نوع الدراسة:

جاءت هذه الدراسة معنية أكثر شيء بالجانب الوصفي الأثنوجرافي. ومن ملاحظات الباحث المباشرة لمواضيع الدراسة. وعلى نقل الروايات من شفاه الرواة ما لم نقف عليها لقدمها أو تلك التي لم نحِط بها علمًا. فضلًا عن السرد التاريخي لبعض الأحداث والوقائع المرتبطة بتاريخ وثقافة مجتمع الدراسة أو ببعض الأحداث الأخرى ذات العلاقة من مصادرها ومراجعها. إلى جانب إشارات لمواضيع مشابهة ذات صلة وجدت في بعض الأدبيات الأخرى فضلنا ذكرها إثراء للدراسة.

مصطلحات الدراسة:

يمكن القول إن هذه الدراسة ضمت في طياتها العديد من المصطلحات والمفاهيم سواء كانت هذه المفاهيم عامة مرتبطة بطبيعة الدراسة نفسها وما تحويه في طياتها من مصطلحات ومفاهيم ومفردات. أو تلك الخاصة المرتبطة بمجتمع الدراسة ولهجته السائدة التي تتجلى في ثنايا المواضيع المطروحة والتي نحبذ أن نطلق عليها (مفردات). وعليه حاولت هنا تناول بعض المصطلحات والمفاهيم العامة المرتبطة بطبيعة الدراسة ببداية كل فصل خاص بها, تمهيدًا للموضوعات التي ستدور حولها. أما تلك (المفردات) المرتبطة بالمواضيع التي ترد ضمن سياق النصوص, فقد أشرت إليها بالتوضيح والتعريف أثناء الخوض فيها في السياق أو بالهامش. كما خصصت كتابًا مستقلًا حاولت فيه جمع عدد كبير من المفاهيم والمفردات (المحلية) سواء تلك المرتبطة مباشرة بالدراسة أم تلك المفردات المرتبطة بالبيئة التي تتشكل منها لهجة مجتمع الدراسة كون هذه الدراسة في سلسلتها مهتمة أيضًا بهذا الجانب اللغوي. وسيكون ذلك الكتاب معجمًا للهجة ومرجعًا للمفردات العامية التي قد ترد في متن هذا الكتاب. والقارئ في هذه الدراسة سيجد عددًا من المفردات (العامية) آثرنا كتابتها ضمن سياق بعض النصوص الرسمية في محاولة منّا إعطاء القارئ معرفة تامة بهذه المفردة أو تلك سواء من حيث دلالتها ودورها الوظيفي أم من حيث موقعها في سياق النص المرتبط باللهجة.

حدود الدراسة:

أن هذه الدراسة معنية أكثر شيء بالإطار المكاني المحدد ضمن حدود مدينة الشحر القديمة داخل إطار السور قبيل اندثاره. وهي حدود شملتها المدينة القديمة إلى مطلع سبعينيات القرن العشرين. ويدخل معها بعض الأحياء أو الحارات القديمة الملاصقة للسور من الخارج التي ارتبطت بالمدينة منذ فترة ليست بالقليلة. أي قبل أن تمتد مساحة المدينة وتتفرع وتتجاوز ذلك السور في الثمانينيات وما بعدها. ومن ناحية أخرى تجاوزت هذه الحدود للأبعد بهدف الوصول إلى أرياف المدينة وبواديها. وقد اختير كعينة منه

والتركيز عليها (منطقة المعدي) التابعة تاريخيًا وإداريًا لمديرية الشحر بهدف إثراء الدراسة وتنوعها لتشمل الريف والمدينة معاً. وإن كانت دراستنا للريف جاءت أكثر قربًا من الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية منها للدراسة الفولكلورية. وعليه فضلت أن أخصص جزءًا مستقلًا من هذه الدراسة معنيًا بتلك المنطقة الريفية. وربما قد نتجاوز ايضا تلك الحدود لتشمل دراستنا عددًا من المدن والقرى الحضرمية الأخرى. وهذا إن كان إنما كإشارات عابرة ارتأينا أنه لابد منها لتكوين صورة واضحة وعميقة لمواضيعنا وتبيان مدى تداخلها وارتباطها بغيرها.

أما فيما يتعلق بالجانب الزمني والتاريخي لهذه الدراسة فيمكننا القول إنه لا يوجد لها سقف زمني محدد. ذلك أن جُلّ مواضيعها شفاهية ومتوارثة عبر الأجيال قد تمتد بعضها لقرون عدة وبعضها لا يعرف على وجه الدقة البدايات الأولى لظهورها. لذلك فضلنا أن تكون هذه الدراسة شاملة عبر امتدادها الزمني القديم إلى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين كحد أقصى وهي فترة كما نرى ما زالت فيها العديد من ملامح الدراسة موجودة. وهذا يعني قبل دخول فترة التسعينيات من القرن العشرين وما طرأ على بنية المجتمع الشحري من تغيرات حادة أثرت في العديد من ملامحه وهويته.

منهج الدراسة وأدواتها:

يمكن القول إن هذه الدراسة تُعد من الدراسات الحقلية القليلة على الصعيد المحلي لاعتمادها على الميدان كمصدر أساسي ورئيس للمعلومات. فكان فيها استخدامنا للمنهج الأثنوجرافي الوصفي حيث تم الاعتماد على ملاحظات الباحث المباشرة والمنظمة لمواضيع الدراسة. وكذلك على نقل الروايات والأحاديث من كبار السن التي تناقلوها بدورهم من آبائهم واجدادهم. فضلًا عن المقابلة المباشرة مع عدد من المختصين والمهتمين بهذا الشأن على الصعيد المحلي أمثال الأستاذ الباحث (عبد الله صالح حداد) والأستاذ الباحث (عبد الرحمن الملاحي) قبيل وفاته رحمة الله عليه. بالإضافة إلى اعتمادنا على التجربة والخبرة التي مررنا بها في حياتنا على أساس أن الباحث نفسه كان عضوًا من أعضاء هذا المجتمع موضوع الدراسة. ولد ونشأ وترعرع في ربوعه واتصل وتفاعل مع أفراده وشرائحه المختلفة.

أما فيما يتعلق بالمواضيع التاريخية منها فقد اعتمدت للتعامل معها على المنهج التاريخي بفرعيه النقدي والتحليلي. كما أستعنت بالروايات والأحداث التاريخية من مصادرها ومراجعها المكتوبة. إلى جانب الاستعانة بما ورد ببعض المخطوطات من معلومات تخص مواد الدراسة مع تصحيحي أو تصويبي لبعض المعلومات الواردة أو الإشارة إلى مكامن الزلل فيها. كما اعتمدت كذلك على ما ينشر من معلومات ومواد تخص دراستنا وردت في بعض الصحف والمجلات المحلية. فضّلت الاستفادة

من بعض ما ورد فيها واعتقدت بصحته فيما يخص بتراثنا أو لتصحيح بعض المعلومات المغلوطة فيها بعد ذيوعها وانتشارها لإكساب دراستنا هذه طابع الشمولية والدقة في التحقيق.

ولينتبه القارئ هنا إلى أن هذه الدراسة معنية بالجوانب الفولكلورية والمعتقدات الشعبية بالأساس وليست كتابًا في التاريخ أو الأدب أو الاجتماع أو السياسة. وعليه فقد أتناول احيانًا بعض الظواهر أو الاحداث التاريخية على سبيل المثال ولكن بالتركيز على سرد الروايات الشفاهية وتصورات الناس حولها بما فيها احيانًا من ارتباطات بالخرافات والأساطير أو مجافاتها لمنطق العقل والواقعية. أكثر من تتبعها وفقًا ولما هي عليه في المصادر والمراجع التاريخية المدونة.

ومن جانب آخر وخاصة في المواضيع المتعلقة بالتراث الشعبي الشفهي فضّلت تدعيم هذه الدراسة ببعض المقاربات لممارسات وتصورات وجدت في مجتمعات أخرى تشابهت بشكل من الأشكال مع الممارسات السلوكية أو الاعتقادات الشعبية لمجتمع الدراسة بما فيها حتى تلك المجتمعات البعيدة والغريبة عنّا أو تلك التي لاتزال تقبع في أطوارها البدائية الأولى. حيث فضلت عرضها هنا إثراء للدراسة ولفتح مجال أوسع للمدارك الإنسانية لاستجلاء مدى تشابه وتقارب الشعوب في تصوراتها لما حولها وما أنعكس على سلوكها من ممارسات. وللتعرف إلى ثقافات الشعوب الأخرى وليس بغرض المقارنة فيما بينها.

ونحن ربما في تفسيرنا لبعض الظواهر الغامضة قد نسترسل في الأفكار ونطلق للخيال عنانه والإبحار حيث اللاحدود علّ وعسى تقربنا نوعًا ما من التفسير الواضح للظاهرة (الموضوع) أو على الأقل تفتح لنا آفاقًا جديدة للتعامل معها بدلًا من تركها هكذا (غامضة).

المؤلف/ أنور السكوتي

الفصل الاول

الخلفية التاريخية للشحر

الخلفية التاريخية والجغرافية لمدينة الشحر [٤]

تعد مدينة الشحر (مجتمع الدراسة) اليوم من كبريات مدن محافظة حضرموت. وهي تشكل تاريخيًا البوابة الجنوبية لحضرموت والممر الرئيس للانطلاق نحو العالم الخارجي. كما تعد مركز التقاء للعديد من الثقافات الوافدة عبر البحار أو مما يجاورها من مدن وقرى.

الموقع الجغرافي:

تقع المدينة على ساحل بحر العرب تتوسط ما بين عمان وعدن. بين خط طول ٤٩ درجة و٣٩ دقيقة شرقاً, و١٤درجة و٤٤ دقيقة شمالاً. [٥] وهي تقابل الشواطئ الشمالية الشرقية القريبة من رأس جردفوي بالصومال. وحددها المبعوث الهولندي (بيتر فان دن بروكه) بأنها على ارتفاع ١٤ درجة و٥٠ دقيقة من العرض الشمالي, و١٧درجة انحراف متزايد باتجاه الشمال الغربي. على الجانب البحري في جون في مكان ذي أرض قاحلة [٦].

السكان:

لا توجد لدينا إحصاءات رسمية لسكان المدينة وإن غالبية ما ورد عنها مجرد تخمينات وافتراضات. كما أن أجهزة الدولة المخولة بإجراء مثل هذه المسوحات والإحصاءات لا تنشر بياناتها في كتب أو نشرات ليطّلع عليها المهتمون. كما أنها لا

---

[٤] إشارة: سبق لي وأن تطرقت وبتوسع لتاريخ مدينة الشحر وأوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في كتابنا (المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام) نشر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ٢٠٢١م. وكذلك في كتابنا الآخر البرتغاليون قبالة سواحل حضرموت. ولا داعي لتكرار ذلك هنا. ولكن سأتناول بعض تلك الجوانب من زوايا أخرى مرتبطة بمواضيع هذه الدراسة.

[٥] الملاحي, عبدالرحمن, الشحر مركز التجارة العالمية في العصور الوسيطة والحديثة, مجلة شعاع الأمل العدد ٩٤, يوليو ٢٠٠٩م ص٣٨. أي إنها تقع بين خط عرض ١٤,٤٤ شمالاً, وخط طول ٤٩,٣٩ شرقاً؛ الملاحي, عبد الرحمن, ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان ص٢٧؛ الجوهي, خالد, إمارة آل بن بريك في الشحر ص٢٦.

[٦] من ملحق جاء في نهاية كتاب تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر تأليف عبد الله بن محمد بن أحمد باسنجلة تحقيق عبدالله محمد الحبشي, مكتبة الإرشاد – صنعاء – ط١ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ص١٤٥. وكانت زيارته للشحر سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م وسنأتي لذكر زيارته لاحقاً.

تجيد حفظ سجلاتها ووثائقها. كما أن الوضع السياسي الراهن وحالة الفوضى والحروب التي تجاوزت العقدين من الزمان, حالت دون إجراء أي إحصاءات دقيقة للسكان يمكن الرجوع إليها. وعليه فقد استعنت ببعض المعلومات بشأنها من مراجع غير رسمية. وأود هنا أن أشير إلى أن أقدم إحصاء وإن كان غير رسمي ذلك الذي أورده المؤرخ (محمد عبد القادر بامطرف) حينما أشار إلى أن عدد سكان الشحر سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٣م بلغ نحو (٣٢,٠٠٠) نسمة. ويشمل هذا الرقم أبناء المدينة والوافدين إليها من مختلف مناطق حضرموت الداخل والبالغ عددهم (١٢,٠٠٠) نسمة [٧].

وفي إشارة أخرى نجدها عند المؤرخ (محمد بن هاشم العلوي) الذي زار المدينة سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ذكر فيها أن عدد سكان المدينة نحو (١٥,٠٠٠) نسمة [٨]. بينما نجد عدد سكان المدينة في كتاب (إدام القوت) للمؤرخ (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف)نحو(١٤,٨٦٥) نسمة [٩]. أما المؤرخ (صلاح البكري) فيقول بأن عدد السكان نحو (٩٠٠٠) نسمة.[١٠] وواضح من حديثه والوصف الذي قدمه للمدينة أن هناك تناقصًا حادًا في عدد السكان.

وفي تعداد سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م حسبما توصلنا إليه بلغ إجمالي سكان مدينة الشحر نحو (٧٢,٨٩٧) نسمة. في حين بلغ عدد السكان وفقًا لبعض التقديرات سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م نحو (٨٢,١١١) نسمة. أما سنة ٢٠١٥م فقد بلغ عدد سكان المدينة نحو ١٢٠ ألف نسمة.

الطقس والمناخ:

مدينة الشحر بحكم موقعها الجغرافي تقع ضمن نطاق الإقليم المناخي الخاص بالسهول الساحلية للجنوب العربي. من هنا لا يختلف مناخها كثيرًا عن مناخ هذا الإقليم الذي يمتاز بارتفاع في درجة الحرارة طوال فصل الصيف. وارتفاع في

---

[٧] بامطرف, محمد عبد القادر, الشهداء السبعة, صدر بإشراف وزارة الثقافة والسياحة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالتعاون مع حكومة الجمهورية العراقية. دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية – بغداد ١٩٧٤م. ص٣٠ نقلاً عن رواية الربان باسباع. المتوفى سنة٩٥٠هـ / ١٥٤٣م. وللمزيد عن معرفة أعداد سكان المدينة تاريخياً يمكن الرجوع إلى كتابنا (المختصر).

[٨] العلوي, محمد بن هاشم, رحلة إلى الثغرين الشحر والمكلا, طبع على نفقة آل الكاف, ط١, شعبان ١٣٥٠هـ ص٣٠ – ٣١.

[٩] السقاف, عبد الرحمن, إدام القوت ص٢١٦.

[١٠] البكري, صلاح, تاريخ حضرموت السياسي (١٤١/٢).

الرطوبة مع صغر المدى الحراري السنوي بسبب تأثير البحر. بالإضافة لقلة الأمطار التي تتراوح ما بين بضع مليمترات عند خط الساحل إلى نحو ٢٠٠ ملم قرب مقدمات الجبال. وتتراوح الرطوبة النسبية ما بين ٦٠ – ٧٠ % .[١١]

الأربعينية والمثمنات في الشحر:

من المعلوم أن متوسط معدل درجة الحرارة في المدينة خلال العام نحو ٣٠ْم. وأن أشد الأشهر حرارة هي أشهر الصيف التي تبدأ من شهر مايو ويونيو ويوليو إلى منتصف شهر أغسطس. وفي ايام منها تصل درجة الحرارة إلى حد لا يطاق تتوسط ما بين ٣٥ْم – ٣٩ْم. وقد تزداد أو تقل بضع درجات عن هذا المتوسط تبعًا لتغيرات المناخ عبر السنين. وقد اصطلح في العرف الشعبي على تسمية هذه الأيام شديدة الحرارة بـ(الأربعينية) نسبة لعدد أيامها الأربعين.

فالأربعينية حالة مناخية تشهد ارتفاعًا كبيرًا في درجة الحرارة والرطوبة وتوقف شبه تام لحركة الرياح نهارًا ومساء. وتستمر لمدة (٤٠) يوماً. وهي تبدأ من اليوم السابع لنجم الغفر الموافق ٤ مايو من كل عام وتستمر إلى تاريخ ١٣-١٤ يونيو. وتليها مباشرة ثمانية أيام أخر في فصل الصيف تعد أشد حرارة من الأربعينية يطلق عليها بـ(المثمنات) وتشمل الأربعة أيام الأخيرة من منزلة الشول والأربعة الأيام الأولى من منزلة النعائم. [١٢]

وثمة اعتقاد شعبي سائد بين الناس أن هذه الأيام الأربعينية ذات الرطوبة العالية والحر الشديد هي التي تساعد النبات وخاصة شجر النخيل على نضج ثمره والإسراع في تحوله. كما تعد علامة لقرب قدوم الخير. لهذا فكثير من كبار السن لا يكترثون كثيرًا بهذه الحالة. هذا إن لم نقل تحدوهم حالة من التفاؤل والأمل لقرب

---

[١١] انجرامس, تقرير عن الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في حضرموت ص١٢.

[١٢] الشاطري, محمد بن أحمد, أدوار التاريخ الحضرمي, عالم المعرفة للنشر والتوزيع, جدة, ط٢, ١٩٨٣م,(١٨/١). وقد اشار الشاطري في كتابه إلى أن أسماء الفصول التي يتعامل بها مزارعو حضرموت والجنوب العربي تختلف عن الأسماء الشائعة كما هو موضح في الآتي:–

الربيع الفلكي يسميه زراع حضرموت والجنوب العربي صيفاً.

الصيف الفلكي يسميه زراع حضرموت والجنوب العربي خريفاً.

الخريف الفلكي يسميه زراع حضرموت والجنوب العربي شتاء.

الشتاء الفلكي يسميه زراع حضرموت والجنوب العربي ربيعاً.
انظر المرجع السابق بتصرف(١٩/١).

قدوم الفرج. وعليه نجد أن آخر فترة الأربعينية تنتهي بانتهاء نجم يطلق عليه (القلب) لأنه وفقًا وللعرف الشعبي يقلب التمور أي ينضجها. [١٣]

وقد سجل لنا المؤرخ الشحري الشيخ (مبارك صالح الأرضي) [١٤] في يومياته (مذكرته) (مخطوط) وقت دخول هذه الأربعينية سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م حينما أشار إلى أن دخولها كان يوم الاثنين ٧ نجم الغفر ١٨ ربيع ثاني ١٣٦١هـ/ مايو ١٩٤٢م التي وصفها بأنها أيام الحمى والحر. [١٥] والحما هي الرطوبة العالية.

والأربعينية هذه كحالة مناخية ليس لها أية علاقة بالأربعينية المعروفة لدى رجال التصوف الحضرمي. [١٦] وفيها على سبيل المثال ما روي عن الفقيه الصوفي (عمر بن عبد الله بامخرمة) (ت:٩٥٢هـ/١٥٤٥م) قوله: ((استأذنت شيخي (يقصد به الشيخ عبد الرحمن بن عمر باهرمز) في دخول الأربعينية فقال لي أربعينيتك أن تحفظ لسانك وعينك وأذنك من المحرمات أربعين يوماً. وأما الأربعينية المعروفة فلا تدخلها!)). [١٧]

---

١٣ من الأنجم الشمسية لفصل الصيف الذي يسميه المزارعون الحضارم خريفاً هي هذه على التوالي (العواء, السماك, الغفر, الزبان, الإكليل, القلب, الشول) وتبتدئ من ٢ إبريل من كل عام وتنتهي في ١٩ يونيو, وعدد كل نجم من تلك الانجم (١٣) يوم. وكذلك الحال مع بقية نجوم الفصول الأخرى.

١٤ الشيخ مبارك صالح الأرضي من مواليد مدينة الشحر في نهاية القرن الثاني عشر الهجري, وتوفي بها في ٢٥ رجب ١٣٨٤هـ/ نوفمبر ١٩٦٤م. كان عاملاً في تجارة التجزئة. وكان رحمه الله مهتماً بتدوين الأحداث اليومية التي تقع في بلاده والإشارة إلى بعض الأحداث الكبرى البعيدة. وقد جمعها في سجلين غير كاملين ضم المتوفر منها الأحداث من سنة ١٩٤٠م–١٩٦٠م) وما زال هذان السجلان مخطوطين ومحفوظين لدى أحفاده في انتظار من يظهرها للنور. أخذت هذه المعلومات عن مقال للأستاذ عبدالله حداد بعنوان (الأرضي ومدونته التاريخية) نشرة الفكر الصادرة بغيل باوزير العدد ٥, يناير–مارس ١٩٩٧م. ص٣.

١٥ المرجع السابق ص٣.

١٦ الأربعينية عند الصوفية فترة من الخلوة والعزلة يقضيها المريد في التأمل والتفكر والتدبر والتذكر مع ذكر الله, الهدف منها بلوغ مرحلة الكشف وانجلاء غوامض الأسرار. ففي نهاية الأربعينية تنضج ثمرة الكشف تماماً مثلما تنضج ثمار النخيل بعد أربعينية الصيف.

١٧ بافقيه, محمد بن عمر الطيب, تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر, تحقيق عبدالله الحبشي, ص٣١٣. انظر عنها الحداد, علوي بن طاهر, عقود الالماس (٨٦/١)؛ عصبان, أكرم, الفرق والمذاهب في حضرموت ص١٧٠–١٧١.

التقسيم الإداري للمدينة:

تعد مدينة الشحر[١٨] اليوم مركزًا لمديرية (الشحر) التي تعد إحدى المديريات التي تتكون منها محافظة حضرموت. و تضم مديرية الشحر عدة مراكز وقرى مجاورة. تمتد من مدينة الحامي شرقًا إلى منطقة الضبة غرباً. اما من جهة الشمال فتصل إلى قرى ومراكز وادي عرف (الحقلة, حقب, عرف, الحبس, مقد العبية, العرشة, الهمة, المعدي, المضابي, الواسط, تبالة, الدييسة, الحبس, شكلنزة, الحوة, المعيان, زغفة) وغيرها من قرى ومراكز مجاورة. وقد ضم إلى مركزها فترة ما قبل عام (١٩٩٠م) مراكز غيل بن يمين والعليب وريدة الجوهيين. ومن جهة الشرق الديس الشرقية وقصيعر والريدة إلى حدود سيحوت وهي المناطق التي اشتهرت باسم (المشقاص).

اما في عهد السلطنة القعيطية (١٨٦٨- ١٩٦٧م) فكانت المدينة مركزًا للواء الشحر ضمن الألوية الستة التابعة لتلك السلطنة وتضم غالبية المناطق المذكورة باستثناء مراكز غيل بن يمين.[١٩]

أما في الحقبة التي تلتها أي بعد الاستقلال الوطني فقد أصبحت مدينة الشحر مركزًا إداريًا للمديرية التي حملت اسمها وهي جزء تابع لمحافظة حضرموت أو المحافظة الخامسة ضمن محافظات ما عرف بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وفيها امتدت حدودها الإدارية كمديرية لتشمل مدنًا وقرى أخرى بعيدة. إذ وصلت حدودها الشرقية إلى مشارف محافظة المهرة وقد ضمت إليها مدينتي الريدة وقصيعر. أما الحدود الغربية فقد بلغت منطقة الضبة. وفي الشمال امتدت إلى وادي عرف وغيل بن يمين. كما خضعت لها إداريًا أيضًا في فترات من هذه الحقبة منطقتا العبر وثمود.

---

[١٨] عنها انظر المقحفي, معجم البلدان (٨٥٢/١). وفي كتابنا المختصر توسعنا كثيرا في هذه الحدود من الناحية التاريخية.

[١٩] توسعنا في التقسيم الإداري للمديرية عبر التاريخ في كتابنا (المختصر في تاريخ مدينة الشحر) ففيه ما يغني عن تكراره هنا.

أسماء وألقاب المدينة وما قيل فيها من أشعار وأخبار:

عرفت مدينة الشحر خلال فترات تاريخها أسماء وألقابًا عديدة [٢٠] فمنذ عهودها القديمة إلى فترات متأخرة كان يطلق على المدينة اسم (الأسعاء) [٢١] وبعضهم يرسمها (الأسعى) وقد توردها بعض المراجع مصحفة (تلسعا, لسعا, أسعى) بل وأحيانًا يذهب بهذه اللفظة بعيدًا في التصحيف فيقال (الأشغاء) وينسبها إلى وادي قريب منها يدعى (الأشغاء). [٢٢] ولعل مصدر اللبس فيها ما أورده المؤرخ (عبد الله الطيب بامخرمة) (ت:٩٤٧هـ/١٥٤٠م) في كتابيه (النسبة إلى المواضع والبلدان) و(تاريخ ثغر عدن) حينما أشار إلى تسميتها تلك ونسبها إلى وادٍ بها. بل وضبط الاسم ب(الأشغاء) بـ(فتح الهمزة وسكون الشين وفتح الغين المعجمة ثم ألف) وهذا الوادي كما وصفه (كثير الشجر وكان فيه آبار ونخيل. وكانت البلاد حوله من الجانب الشرقي والمقبرة القديمة في جانبه الغربي) ثم قال ((ويسمى ايضًا سمعون-بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكون الواو ثم نون. لأن بها واديًا يسمى سمعون

---

[٢٠] لقد توسعنا في كتابنا (المختصر من تاريخ مدينة الشحر العام) بعرض تلك الأسماء والألقاب والوقوف على دلالات بعضها, ص٣٣-٤٢. وسنحاول هنا التركيز على ما ارتبط بتلك الأسماء والألقاب من دلالات تاريخية وفولكلورية. ولمعرفة المزيد من المعلومات عن الشحر وأسمائها يمكن الرجوع لبحث أعده الأستاذ عبد الله صالح حداد بعنوان الشحر وأسماؤها الأخرى, نشر بمجلة العرب الصادرة عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر – الرياض – المملكة العربية السعودية, ج٣, ٤ س ٣٢ , يناير– فبراير سنة ١٩٩٧م. ص ٢٣٨– ٢٤٥,وانظر كذلك كتاب إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت للشيخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف, دار المنهاج – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ص١٩٥. و الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها, للمؤرخ علوي بن طاهر الحداد, تريم للدراسات والنشر, ٢٠٠٥م نقلا عن طبعة سنغافورة ط١, ١٩٤٠م, ص١٠٩. والملاحي, عبد الرحمن, بحث بعنوان, مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية في القرن الثامن والتاسع الهجريين. وبامخرمة, عبد الله الطيب, النسبة إلى المواضع والبلدان(٣٦٧/١).

[٢١] الهمداني, الحسن بن أحمد, صفة جزيرة العرب, تحقيق محمد الأكوع, مكتبة الإرشاد صنعاء ط١ ١٩٩٠م ص١٧١. وزاد فيها الهمداني أنها موضع أبي ثور المهري في عصره, وفي إكليله أن أبا ثور هذا من بني تبلة بن شماسة الثعينية. واسمه (عمرو بن محمد بن محمد بن كنانة بن جبل بن تبلة) ويعود بنسبه إلى ثعين كقبيلة مهرية قضاعية. الهمداني, الإكليل تحقيق أوسكار لوفغرين (٧٣/١) وعن هذه القبيلة انظر المقحفي, معجم القبائل والبلدان(٢٥٧/١).

[٢٢] انظر الحداد, علوي بن طاهر, الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها, مرجع سابق, ص١٠٩. بامخرمة, عبد الله الطيب, وضبطها بهذا الاسم ونسبها لوادي يسمى الاشغاء. انظر النسبة إلى المواضع والبلدان (٣٦٧/١).

والمدينة حوله من الشرق والغرب وشرب أهلها من آبار في سمعون)). [٢٣] كما استعان بامخرمة بقصيدة للشاعر (أبي حنيفة العدني) [٢٤] شاعر سلطان الشحر آنذاك (عبد الرحمن بن راشد بن إقبال) (ت: ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) وجاء فيها الاسم مصحفًا[٢٥] بينما وردت القصيدة نفسها سليمة الرسم (الأسعاء) عند المؤرخ (بهاء الدين محمد بن يوسف الكندي) (ت: قبل ٧٣٢هـ/قبل ١٣٣٢م) في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك). وفيها يقول الشاعر أبو حنيفة العدني:

عنفوني وقالوا أطلت التغرب   وأوحشت الوطن

وتبدلت عن صيرة بضبضب   واعتضت الأسعاء عن عدن

وبسمعون والسرحة تناسيت   حقات والخان الحسن.

وضبضب اسم جبل مطل على مدينة الشحر من الجهة الشمالية الشرقية. وينسب لبنو ضبضب وهم بطن من مهرة القضاعية [٢٦] وتحت سفحه من الجهة الجنوبية أقام المهريون سوقًا لهم في الجاهلية بغية منافسة سوق الشحر القائمة داخل المدينة. إلا أن سوقهم هذه لم تستمر. [٢٧] وسمعون وادٍ يخترق المدينة بفرعين يقسمها إلى ثلاثة أجزاء أوسطها ما يطلق عليه بحي (الجُزيّرة) وهو تصغير للجزيرة. وينسب اسم سمعون وفقًا للروايات المتوارثة إلى أميرة قضاعية حكمت المنطقة قبيل ظهور الإسلام.[٢٨] والسرحة المذكورة بالقصيدة هي أحد الأطراف البعيدة لوادي سمعون.[٢٩] الذي عرف قديمًا باسم (وداي السرحة).

---

[٢٣] بامخرمة, عبد الله الطيب, النسبة إلى المواضع والبلدان (١/٣٦٧).

[٢٤] عن أبي حنيفة العدني ومدائحه انظر الجندي, السلوك (٢/٤٦٥).

[٢٥] انظر بامخرمة, أبو عبدالله الطيب, تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها, اعتنى به علي حسن عبدالحميد, دار الجيل بيروت, دار عمار عمان, ط٢, ١٩٨٧م ص٩٨.

[٢٦] بامطرف, محمد عبد القادر, الجامع ص٢٨٠. وفي بعض المراجع ترسم ضبضب بالظاد (ظبظب) والصح ما أثبتناه وهكذا ينطق الكلمة كل سكان المنطقة.

[٢٧] بامطرف, محمد عبد القادر, الشهداء السبعة, ص١٨؛ وأيضا الرفيق النافع ص٧٥.

[٢٨] انظر بامطرف, محمد, قبيلة قضاعة اليمنية. إصدار مكتب وزارة الإعلام, محافظة حضرموت. ضمن كتيب بعنوان الشحر مدينة وتاريخ. مجموعة من المؤلفين.

[٢٩] يرى المؤرخ بامطرف أن الاسم القديم لوادي سمعون هو (وادي السرحة) والسرحة أو السرح هي شجرة دم الأخوين وكانت هذه الاشجار توجد في هذا المسيال ولأن عود هذه الشجرة قوي جدًا لا تأكله الأرضة أو آية آفة

فلا يوجد بالمدينة أو قريبًا منها واد اسمه (الأشغاء) أو (مغيث) لتنسب إليه. وإنما واديها الذي اشتهرت به هو (سمعون) ومن هذا الاسم أخذت المدينة أحد ألقابها. واسمها هو (الأسعاء) بالسين والعين المهملتين وهكذا ضبطها المؤرخ (علوي بن طاهر الحداد) وأشار إلى أن (الأشغاء) هي من وضع النساخ.[٣٠] والوصف الذي قدمه بامخرمة لوادي الأشغا يتوافق مع وصف وادي سمعون. كما اشتهرت قصيدة أخرى وردت فيها (الأسعاء) مصحفة بالأشغاء واعتمد رسمها الكثير من الكتّاب وبنوا عليها, وهي قول الشاعر إمام الإباضية في حضرموت أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي (ت: ؟-٤٧٥هـ/؟-١٠٨٢م).

وقد كان من إخواننا الغر فتية   بناحية (الأشغا) شهام لهم عقد

وفيهم فتى أكرم به نسل خالد   لهم همة كبرى نحو السما تعدو

والأسعاء أيضا وردت في أحد النقوش المسندية (نقش ينبق ٤٧) باسم (أسعين).[٣١] ويعود تاريخ هذا النقش إلى عام (٦٢٥) من التقويم الحميري الموافق (٥١٠م). [٣٢] وفي إشارة للباحث (عبد الرحمن الملاحي) أفاد فيها بأن مدينة الأسعاء جاء ذكرها بهذا الاسم في نقش وجد بوادي ميفعة يتحدث عن حصار قبيلة ذي يزن للمدينة وكان هذا في منتصف القرن الرابع الميلادي[٣٣].

من آفات الخشب. فكان أهل الشحر يسقفون بها بيوتهم إلى عهد قريب..)), بامطرف, قبيلة قضاعة, مرجع سابق, ص١٢. وعن سمعون انظر باحسن, عبد الله, نشر النفحات المسكية ص٢٥.

[٣٠] الحداد, علوي بن طاهر الشامل في تاريخ حضرموت ص١٠٩.

[٣١] د. سرجيس فرانتسوزوف تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده تقديم وتعريب د. عبد العزيز جعفر بن عقيل المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية صنعاء ٢٠٠٤م الطبعة الأولى الآفاق للطباعة والنشر. ص٤٤؛ الشعيبي, خالد صالح, ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي, رسالة دكتوراه, الجمهورية اليمنية, جامعة عدن, كلية الآداب, قسم التاريخ, ٢٠٠٧م ص٢٤.

[٣٢] الشعيبي, خالد صالح, ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد, مرجع سابق ص٥٢.

[٣٣] الملاحي, عبدالرحمن, مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية, ص١٧٩.

ومن المحتمل أن لفظة الأسعاء alasa هذه اشتقت من اسم ملك أرض اللبان العزيلط أو العز alaza أو اليازوس Eleazos المذكور في بعض الكتابات الإغريقية بهذا الاسم.[٣٤] وجاء في بيت شعر نسب لسعد السويني قوله:

يا حارثي! يا ابن الحوارث افهم القول   اتشت بالسعا والخريف في الحول

بمعنى اجعل شتاءك في اللسعا (الأسعاء) لدفئها وكثرة السمك. أما الخريف فاجعله في منطقة (الحول) وهي ما بين مدينة الغرفة والمحترقة.[٣٥] وقد يكون لاسم الأسعاء علاقة بالآلهة (سعى) وهي من الآلهة التي عبدها قوم ثمود.[٣٦] ومن اشتقاقات هذه اللفظة لغويًا نجد السعوة وهي الساعة من الليل والسعواء فوق الساعة من الليل و الأسعاء ساعات الليل.[٣٧] ولليل وساعاته ارتباط بالقمر. والقمر في ديانات حضرموت القديمة يعد الإله الرئيس كما سنبينه بالتفصيل لاحقا. فلعل هناك ارتباطًا ما بين الاسم الأسعاء وإله القمر الحضرمي (سين) أو الثمودي (سعى).

كما اطلق على المدينة اسم (سوق الأحقاف) وفي هذا يقول الملاح باطايع في منظومته:

في سوق الأحقاف العدل فيها والإنصاف

أمان من خاف بأهل السلف محتوية.[٣٨]

وهذه أبيات من قصيدة لأحد الشعراء الشعبيين يندد فيها بالوضع الذي كان سائدا في حضرموت من الجور وانعدام الأمن فضلا عن القحط الذي كان سببا في هجرته واصفًا مدينة الشحر بآل عاد أي بلاد عاد. يقول فيها:

ما حد يحلش يا خلوفة آل عاد   من حلها ماله قريحة

لي قوتها مجلوب من لبعاد   ولا محلتها شريحة

---

[٣٤] بامطرف, الرفيق النافع ص٧٤. وقد رجح بعض الآثاريين أنه العزيلط بن عم ذخر. الشيبة, عبد الله حسن, دراسات في تاريخ اليمن القديم ص٥١.

[٣٥] الحداد, الشامل ص١١١.

[٣٦] علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٣١/١).

[٣٧] ابن منظور, محمد بن مكرم, لسان العرب, دار صادر, بيروت, ط٣, ١٤١٤هـ (٣٨٥/١٤).

[٣٨] انظر بامطرف, الرفيق النافع على طريق منظومتي الملاح باطايع ص٧٤.

أما عن اسم (سمعون) كلقب عرفت به ففيه يقول على سبيل المثال لا الحصر الفقيه والأديب (عبد الله بن جعفر مدهر باعلوي) (١٠٩٩-١١٦٠هـ/١٦٨٢-١٧٤٧م) وهو من مواليد المدينة [٣٩]:

في سفح سمعون الكحيل بلادنا   مأوى المحاسن والسرور الشامل.

وفي قصيدة أخرى له يقول:

تباعدت عن سمعون داري وموطني   ومسقط رأسي في الوجود ومسكني

ومنزل أصلي ثم فصلي ومنشـئي   ومظهـر ميـلادي ومعنى تعينـي.

ويقول أيضا في قصيدة أخرى:

أما آن أن يحنو زماني ويحبـوني   بتجديد عهد الإنس في سفح سمعون

فإن النوى مدت وعهدي بها غدت   لمقصورة والمد عن غيـر قانـون

وللشاعر الشعبي (عمر محمد باعطوة) [٤٠] (ت : بعد ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) قصيدة مطولة يصف فيها أحد المعارك الحربية وجاء فيها:

طوفان لا حق نوح يذكر عـنده   ذلا غرام! حتى الجبل با يزوله

ومـدافع الرحمن مثل الراعـد   تقذف صواعق بالنقم مدخولـه

قد شفتها بالشحر وقت المكرهة   سمعون منها قد يبسن سيولـه.

وهذه أبيات من قصيدة للشاعر الشعبي (سالم محمد باحويرث)[٤١](ت: ١٣٣١هـ/١٩١٢م) يتأسف ويتحسر على ما آلت إليه أحوال مدينته الشحر:

آهوين يا شـحر سمـعون الكـحيل   وسوقها من زمن يرقل رقيل

ولا بتـاوي يمـاثل به مـثيل   الله يشـهد وخـلقه شاهدين.

---

٣٩ انظر ترجمته عند باحسن جمل الليل, عبد الله, نشر النفحات المسكية في اخبار الشحر المحمية, تحقيق د. محمد يسلم عبدالنور ص٤٧. حداد, عبد الله صالح, معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٧٦.

٤٠ انظر ترجمته عند حداد, عبد الله صالح, معجم شعراء العامية الحضارمة ص٢٥٤.

٤١ انظر ترجمته حداد, مرجع سابق ص٩٦.

ومن أقدم الشعراء ممن ذكر مدينة الشحر باسم سمعون في قصائده نشير للشاعر والأديب (عبد الصمد بن عبد الله باكثير الكندي)[٤٢](٩٥٥-١٠٢٥هـ/١٥٤٨-١٦١٦م) وهو من مواليد قرية تريس. أما وفاته فكانت في مدينة الشحر. وكان سكرتيرًا وكاتبًا للإنشاء عند السلطان (عمر بن بدر الكثيري)(ت: ١٠٢١هـ/١٦١٢م) وأيضا عند ابنه من بعده السلطان (عبد الله بن عمر بن بدر الكثيري)(ت: ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) إذ يقول في إحدى قصائده:

وتوخ (سمعون) الكحيل تجد بها   المجد الأثيل وتحمد الأغدادا

باهت به الشحر المنيـــع جنابها   فخرًا فدع مصرًا ودع بغدادا.[٤٣]

وقبله يقول الفقيه الصوفي (عمر بن عبد الله بامخرمة) (ت: ٩٥٢هـ/١٥٤٥م) في إحدى قصائده معزياً:

رحمة الله على من مات في سوق سمعون

رحمة واسعة والخير مـــــرجا ومسهون.

أما اسم (الشحر) وهو الذي عرفت به المدينة اليوم فكان قديمًا يطلق على كامل الشريط الساحلي لحضرموت. وقد يتعداه في بعض الأدبيات ليشمل الشريط الساحلي الممتد من ظفار شرقًا إلى مشارف عدن غرباً.[٤٤] وهناك من ذهب إلى أن الشحر هذا كإقليم ورد في اللقب الملكي الحميري الكبير باسم (يمنة).[٤٥]

وقد تشاركت المدينة هذا الاسم مع شحر أخرى وهي شحر عمان الواقعة في إقليم ظفار وهي تنسب لقبائل الشحري ساكنيها. ويلاحظ أن ببعض الكتابات في تواريخ الموضعين تداخلًا فينسب لأحدهما ما هو للآخر.

وفي حقيقة الأمر ثمة قواسم مشتركة وتشابه كبير في الكثير من الموروثات الثقافية للمنطقتين الجغرافيتين تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك مدى عمق الروابط الوثيقة

---

٤٢ انظر ترجمته حداد, عبد الله معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٦٤؛ السقاف, تاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٩٠), باوزير, سعيد, الفكر والثقافة ص١٥٤.

٤٣ وردت البيتان في ديوانه بصيغ مختلفة انظر الديوان ص١٠٠, أشرف على الديوان واعتنى به الشيخ عبد القادر أحمد باكثير.

٤٤ المقحفي, معجم البلدان والقبائل (١/ ٨٥٢).

٤٥ انظر عنه د. بافقيه, محمد عبد القادر في العربية السعيدة (١/٥١).

التي تربط بين قدماء سكان المدينة وتلك القبائل العمانية بظفار (الشحري) وسنبين أوجه ذلك في أكثر من موضع.

وقد أفاض المؤرخون والباحثون في تحديد دلالة هذا الاسم (الشحر) ومايعنيه ولا داعي لتكرار ما قد كتب. [٤٦] وسنكتفي هنا ببعض ما قيل عن الاسم منها قول أحد الشعراء:

اذهب إلى الشحر ودع عمانا   فإن لم تجد ثمرًا تجد لبانا

وقد قيل في هذا المعنى (سعاد حمل من ترابها) وسعاد أحد ألقاب المدينة وسنأتي إليه. وفي مثل المعنى السابق قول السيد عمر المحضار [٤٧] وهو من أولياء المنطقة (ت: ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) ((من لا ربح من الشحر فليأخذ من ترابها)). [٤٨] وفيه إشارة لقيمة هذه الأرض ولتجارتها القديمة (تجارة اللبان). وللشيخ (عبد الرحمن بن محمد باوزير) قصيدة توسلية بالعديد من أولياء المدينة نقتطف منها قوله: [٤٩]

هم السادة الأخيـــار خير خلقــته   فذكـــرهم يحلو به كل ذاكر

بمن حل في الشحر الذي طاب أنسه   هو البندر المشهور خير البنادر

وسنأتي في الفصل الخاص بالتصورات الشعبية على ما قيل عن المدينة من مبالغات.[٥٠] وفي المدينة قال الشاعر الشعبي (محفوظ خميس التوي) في إحدى قصائده:

تعجب الشحر وأهل الشحر أكثر   كم لهـــم في التواريـــخ العظيمـة

مجد يتوارثونه يشهد الله يعلـم   كل سنة للمفاخر قرروا يوم معلـوم

---

[٤٦] سبق وناقشنا دلالة هذا الاسم ومعانيه في كتابنا (المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام) وللمزيد يمكن الرجوع إلى بحث الأستاذ حداد السابق الذكر (الشحر وأسماؤها الأخرى).

[٤٧] هو السيد عمر بن عبد الرحمن السقاف انظر ترجمته باوزير, سعيد عوض, الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٣٥. السقاف, عبد الرحمن, إدام القوت ص٩٧٦. وللسيد أبي بكر العدني بن علي المشهور كتاب بعنوان (الإمام الشيخ عمر المحضار). فرع الدراسات وخدمة التراث, اربطة التربية الإسلامية, عدن, ط١, ٢٠٠٢م.

[٤٨] باحسن, نشر النفحات المسكية ص٤٢.

[٤٩] أورد أبياتًا منها المؤرخ عبدالله باحسن في كتابه نشر النفحات المسكية ص٣٨-٣٩.

[٥٠] يمكن في هذا متابعة ما كتبه المؤرخ عبد الله باحسن في مقدمة كتابه (نشر النفحات المسكية).

أما الشاعر الشعبي حسين أبوبكر المحضار(ت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) فيقول في إحدى قصائده:

جرائد خبرت ان الفرح في الشحر قائم   تنبه لا تخلي الوقت يعبر وانت نائـــم

حرام النوم في بعض الليالي عا المحبين   يدوم الخير في الدنيا على مر السنين.

وفي قصيدة أخرى له:

أمي الشحر والوالد جبل ضبضب   وابني الحيد لسود وابنتي ضبه.

ومما قاله الشعراء القدامى أو المحدثون في مدح المدينة باسمها (الشحر) أو في ذكر ألقابها وأسمائها الاخرى وهي كثيرة نكتفي فقط بالنماذج.

ومن الألقاب الأخرى التي أطلقت على مدينة الشحر لقب (سعاد) السابق ذكره. ففي قصيدة للشاعر الشعبي الشيخ (سليمان بن عوض باجردانة الشبامي)[٥١] (ت:٩٢٩هـ/١٥٢٣م) يمتدح فيها أمير الشحر مطران بن منصور(ت: ٩٢٩هـ/١٥٢٣م) لدفاعه عن الدولة الكثيرية ضد المتآمرين عليها يقول فيها:

بشر وأجود وبن دغار يبغون دخلـه   في سعاد الزبينة خير لاراض جملة

يحسبون المدن ميسورة الكسر سهلة   عاد فيها الذي يحمي لا غاب اهله

مير بن مير شامخ قـاف لا قـاف مثله   متصف بالسياسة والفضائل وهي له.

وفــي ســعاد أيضًــا يقــول الشــاعر الشــعبي (أحمــد عبــد الله باحميــد) (ت: ١٣٢٨هـ/١٩١٠م):

وادخل إلى الشحر لي منها الشرف ينبع   ســـعاد لي شيّد المــــولى مبانيها

سوق الكـــحيلة عليها الـــــنور يتلـمع   لي يبست فـتـنة القعطة مراعيها

وقـــع لها يا رفـيقي حــــــال ما ينفع   ويـــــن المربي الذي هو با يربـيها

من كـثر جور المشقة عينها تدمـــــــع   ولعاد لحقت مداوي لـــــي يداويها.

[٥١] انظر ترجمته حداد, عبدالله صالح, معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٣٦. وانظر الأبيات وبصيغ مختلفة في كتاب بافقيه, محمد بن عمر, تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر, ص٨١.

أما الشاعر (أحمد بن عبد الله السقاف)[٥٢] (ت١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) مؤلف أول رواية على مستوى الجنوب العربي (فتاة قاروت) وهو من مواليد مدينة الشحر فيقول فيها:

صوت بن يثرب نكش ما في الفؤاد هيج اشواقي وذكــــرني سعاد

أما المؤرخ والفقيه والشاعر الغنائي (عبد الله محمد باحسن) فيقول فيها:

ما بهند فتنت بل بسعاد مذ سبتني بحسنها الوقاد.

وللشيخ أحمد عبود باوزير (ت:١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) قوله:

صارت مدينتنا كما عين الحياة تملأ شوارعها أنابيب المياه

ونورها يزداد ايام الغروب

سعاد يا أم اليتامى يا خيرة البلدان في أرض الجنوب.

اما الشاعر حسين المحضار سابق الذكر فيقول في قصيدة أخرى له:

قابليني يا سعاد وألبسي ثوب السعادة عدت لك والخير عاد

عود الله كل عاده

بعدما طال البعاد بيننا والشوق زاده

اجتمعنا والتقينا واللقاء كان بالأحضان

يا مدينة آل عاد الأثر والرسم عاده جـــــل خلاق العباد

لي جعل حبك عباده

وفي دلالة الاسم افترض المؤرخ (عبد الله الناخبي) أن يكون (سعاد) هذا اسم الملكة القضاعية التي حكمت الشحر فترة ما قبل ظهور الإسلام بدلًا من اسم (سمعون).[٥٣] وهو في هذا يعقب على ما أورده المؤرخ (محمد عبد القادر بامطرف) في فذلكته التاريخية المشهورة التي احتوتها دفتا بحثه الموسوم (قبيلة قضاعة) حينما أشار لاسم (سمعون) وجعله اسمًا طارئًا على الاسم القديم لـ(وادي السرحة) ونسب الاسم الجديد لاسم الملكة القضاعية (سمعون بنت الهميسع).

والمؤرخ بامطرف اعتمد في روايته هذه على ما تواتر عنها من أخبار تناقلتها شفاه الرواة. فضلًا عما تناولته المصادر والمراجع من أخبار عن تلك القبيلة القضاعية وصراعاتها بالمنطقة فترة ما قبل ظهور الإسلام. وكان من رواة بامطرف الثقاة كما أشاد بذكرهم: (سالم بن أحمد عيديد, عمر عبود حميد, صالح بكار

---

٥٢ ترجمته في المرجع السابق ص٣٥.

٥٣ انظر الناخبي, فصول في الدول والأعلام أو شذور من مناجم الأحقاف ص٥٩.

باشراحيل, ناصر جابر النوبي, العلامة محمد بن عمر العماري, المقدم أحمد بن علي بن ناصر بن بريك, الحاج سالم بن أحمد بن بريك وغيرهم) [٥٤]. في حين يرى الناخبي كدليل افتراضه أن سمعون اسم مذكر بينما سعاد اسم مؤنث يمكن أن تسمى به الأميرة القضاعية. وهذا كما يراه الأقرب للصح.

وأود أن أنوه هنا إلى أن الناخبي في تعليقه أشار إلى أن المؤرخ بامطرف استعان بقصيدة لشاعر يدعى (ناصر جابر) [٥٥] بينما بامطرف كما في مصنفه استعان بقصيدة الشاعر (صلاح جابر النوبي) [٥٦] وقد ذكره بالاسم.

أما الباحث (عمر عوض خريص) فافترض أن (سعاد) اسمٌ لوالدة السلطان محمد بن سعيد أبي دجانة. [٥٧] وهذه الأسرة (آل ابي دجانة) حكمت المدينة وما يجاورها في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.[٥٨]

وعن المدينة كما قيل في الأمثال الشعبية الحضرمية (سعاد حمّل من ترابها) وجاء في شرح هذا المثل للمؤرخ بامطرف ((سعاد لقب مدينة الشحر أي دار السعادة. وبالنظر إلى أن الشحر كانت في الأزمان القديمة أهم موانئ حضرموت لتصدير اللبان إلى الخارج فإن في استطاعة الجمّال الذي لا يجد بضاعة ينقلها من الشحر إلى حضرموت الداخل كان في استطاعته, في القديم طبعًا, أن يحمّل على جمله حملًا من تراب ميناء الشحر الممزوج بدقيق اللبان ليبيعه بخورًا رخيصًا في بعض القرى الحضرمية)). [٥٩]

وفي كتابه (الشهداء السبعة) أشار بامطرف إلى أن المنطقة الساحلية الواقعة بين مسيال دفيقة من الشرق ومسيال سمعون من الغرب كانت تسمى (اللسة) لجفافها وقحولة أرضها وضآلة النبت فيها. ومع مرور الوقت حرّفت كلمة (اللسة) إلى (اللسعة) وذلك لشدة حرارة الشمس بها أيام القيظ. ثم حرّفت (اللسعة) إلى (الأسعاء)

---

[٥٤] بامطرف, قبيلة قضاعة, مرجع سابق.

[٥٥] الناخبي, شذور من مناجم الأحقاف ص٦٠.

[٥٦] بامطرف, قبيلة قضاعة. وعن ترجمة الشاعر انظر حداد, عبدالله, معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٥٤.

[٥٧] خريص, عمر عوض, أميرة الشحر, رواية تاريخية, دار الأسعاء للدراسات والنشر, الشحر, حضرموت, ط١, ٢٠٢٢م.

[٥٨] عن هذه الإمارة انظر كتابنا المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام ص١٩٤ وما بعدها.

[٥٩] بامطرف, محمد عبد القادر, معجم الأمثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت ص٢٢٦.

أو (الأسعى) وهذه (الأسعاء) حرّفت إلى (سعاد) وهو الاسم الذي يطلقه أهل الشحر على مدينتهم وتزخر به أشعارهم الشعبية. [٦٠]

ومن الألقاب الأخرى التي لازمتها منذ عقود طويلة إلى اليوم لقب (السوق) وقد عدت سوقها (سوق الشحر) من ضمن الأسواق المشهورة في شبه الجزيرة العربية. وبها عرفت أيضًا عند الملاحين اليونانيين بـ(الأسعاء السوق) فـ((الملاحون اليونانيون الذين وفدوا إليها في القرن الثاني الميلادي سموها في خرائطهم البحرية باسم السوق أو المركز التجاري ALASA EMPORIUM))[٦١].

كما وصفت المدينة بألقاب أخرى وردت في عدد من المصادر والمراجع وفيها تغزل العديد من الشعراء الشعبيين في قصائدهم ومساجلاتهم. وببعض هذه الألقاب اشتهرت منها (سوق الأحقاف , مدينة آل عاد, الزبينة, سوق الكحيلة, البندر, بلاد مهرة, المحروسة, مدينة اللبان, أرض العنبر, سدة الوادي, حنجور حضرموت, قرية الملوك, أم اليتامى) ولكل هذه الألقاب دلالاتها الخاصة بها.

إن لقب سوق الأحقاف جاء من كونها تاريخيا سوقًا لحضرموت عامة لاعتماد الكثير عليها. والأحقاف أو بلاد الأحقاف خصت بها حضرموت على أكثر الأقوال. وعنها كما جاء عند بعض المؤرخين القدامى ((هي منازل عاد قيل كانت بالشام وقيل هي بلاد رمل بين مهرة وعدن. وقيل في بلاد الشحر الموصلة للبحر اليماني. وقيل هي من حضرموت وعمان. والصحيح أن بلاد عاد كانت بجنوب شبه الجزيرة العربية ولهم كانت إرم ذات العماد. والأحقاف جمع حقف وهو الجبل المستطيل من الرمل. وقيل هي الرمال العظيمة. وكثيرًا ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل لأن الريح تصنع ذلك. وفي ذلك قال الله تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) سورة الأحقاف الآية ٢١. ونبيهم هود عليه السلام))[٦٢]. ويمكن هنا أن ننهي الجدل بالخلاصة التي أشار إليها المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في مصنفه (إدام القوت) بالقول: إن الأحقاف هي حضرموت من دون منازع. [٦٣] ومدينة الشحر كما أسماها بعضهم (حنجور حضرموت) أي سوقها وعماد اقتصادها.

---

٦٠ بامطرف, محمد عبد القادر, الشهداء السبعة ص١٩؛ المقحفي, معجم البلدان (٦٢/١).

٦١ بامطرف, محمد عبد القادر, الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع ص٧٤. وفي كتابنا المختصر توسعنا كثيرا في اسم الشحر ودلالاته وافتراضاته يمكن الرجوع إليه ص٣٩-٤٢.

٦٢ الحميري, محمد عبد المنعم, الروض المعطار في أخبار الأقطار ص١٤.

٦٣ السقاف, عبد الرحمن, إدام القوت ص١٠١٨(وانظر علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب (٣١١/١).

لمحات من التاريخ الأسطوري للشحر

في كتابنا (المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام) تطرقنا وبشيء من الإيجاز لمجمل الأحداث والوقائع التاريخية (الحقيقية) التي مرت بها مدينة الشحر عبر عصورها التاريخية إلى نهاية السلطنة القعيطية آواخر ستينيات القرن المنصرم. وفيه سلطنا الكثير من الأضواء على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولا داعي لتكرار ذلك التاريخ هنا. وعليه سنحاول في هذا الجزء من الكتاب التطرق إلى جوانب أخرى من تاريخ المدينة وهو الجانب الميثولوجي بما يحتويه من أساطير وخرافات وتصورات شعبية.

وأود الإشارة هنا إلى أن الحديث عن التاريخ الأسطوري للمدينة أو المنطقة عامة لا يعني كما يدل عليه عنوانه أنه (تاريخ زائف كليا) أو أنه (لا يمت للواقع التاريخي بأي صلة) على وصفه من نسج خيال الرواة والوضّاعين. وهو وإن كان كذلك في بعض جوانبه, يخفي في جوانبه الأخرى بعض الإشارات التي فيها شيء من الواقع ومما احتفظت به الذاكرة الجمعية وتوارثها الرواة عبر السنين الطوال لتصل إلينا في النهاية وقد أصابها ما أصابها من انحرافات أو تحورات أو مبالغات وتهويلات جعلتها للأسطورة والخرافة أقرب منها للحقيقة. وعليه فإن عرضنا لمثل هذه الأحداث والتواريخ هنا إنما من قبيل التوثيق والحفظ لهذا التراث وذلك لعلاقته بتاريخ البلاد وماضيها أولًا وبحكم طبيعة مادة هذا الكتاب ثانياً.

<u>أخبار قوم عاد وموطنهم:</u>

تروي لنا كتب السير والأخبار أن أول وأقدم من استوطن هذه الأرض هم أقوام عاد قوم النبي هود عليه السلام. وإن كانت (التوراة) تزعم بأن قابيل ابن آدم بعد أن قتل أخاه (هابيل) سكن منطقة شرقي عدن تدعى (نود). [٦٤] وما من بلدة قديمة ذات شهرة واسعة على الشرق من عدن غير شبوة عاصمة حضرموت والواقعة ضمن إقليم (الشحر) وهو إقليم ممتد يشمل الأجزاء الساحلية الواقعة بين منطقة أبين

---

[٦٤] جاء في التوراة سفر التكوين الإصحاح الرابع العدد ١٦: ((فخرج قايين من لدن الرب, وسكن في أرض نود شرقي عدن)).وقد تبنى مثل هذا الطرح عدد من المؤرخين العرب كالطبري وابن كثير مثلاً ولم يحددوا موقع نود هذا, بل اكتفوا فقط بالإشارة إلى شرق عدن ويزيد الطبري بقوله (شرقي عدن الجنة) للمزيد انظر تاريخ الرسل والملوك ابن جرير الطبري (٩٠/١)؛ انظر التوراة سفر التكوين الإصحاح الرابع العدد ١٩ – ٢٤؛ والإصحاح العاشر العدد ٢٨ – ٢٩؛ وثمة حصن قديم بشمال شبوة حمل اسم أنود كان يستخدمه الملوك الحضارمة لتتويج أنفسهم. انظر بافقيه, محمد, آثار ونقوش العقلة؛ الحسني, الإله سين, ص١٣٨.

من جهة الغرب إلى ظفار عمان شرقًا وقد عرف أهلها باسم (الشحارى أو الشحارية) فضلا عن مدينة (الأسعاء). ما يجعلنا نرجح أن بهذا الإقليم تلك المنطقة المقصودة بـ(نود) التوراتية على سبيل العموم.(٦٥) أما على سبيل التخصيص فلعل المقصود بنود ذلك الموقع الأثري الشهير بـ(أنود) الواقع جهة الشرق من مدينة عدن حيث الحصن الشهير الذي عرف باسم (حصن أنود) وفيه كان يحدث تقليد تتويج الملوك الحضارمة. وموقعه في (العقلة) قريبًا من مدينة شبوة العاصمة القديمة لمملكة حضرموت. ويعد هذا الحصن من الأماكن المقدسة في التاريخ القديم. (٦٦)

وبالنسبة لأقوام هود فقد عدهم المؤرخون الكلاسيكيون من العرب البائدة أي ممن انقطعت أخبارهم وطمست آثارهم. وقد وردت قصتهم في (القرآن الكريم) (٦٧) وأن منازلهم كانت (الأحقاف). (٦٨) وعلى أكثر الأقوال (حضرموت مع امتدادها التاريخي لتضم أجزاء كبيرة من صحراء الربع الخالي).

ولولا ورود ذكر أقوام عاد والنبي هود عليه السلام في القرآن الكريم لما علم عن أولئك الأقوام شيئ(٦٩) لاندثار أخبارهم ولعدم ورود أي ذكر لهم في الكتاب

---

٦٥ انظر التوراة سفر التكوين الإصحاح الرابع العدد ١٦. وعن نود في قاموس الكتاب المقدس أنه: ((اسم سامي معناه {التائه أو المنفي} وهي مقاطعة إلى الشرق من عدن هرب إليها قايين من وجه يهوه بعد أن قتل أخاه هابيل (تك٤: ١٦))) انظر قاموس الكتاب المقدس, هيئة التحرير د. بطرس عبد الملك وآخرون, كتاب إلكتروني ملف وورد, الحقوق محفوظة لشركة Compubraill.

٦٦ للتفصيل انظر بافقيه, آثار ونقوش العقلة, مرجع سابق؛ الحسني, الإله سين, مرجع سابق ص١٣٨–١٤٧. علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب(٣/١٥٧).

٦٧ انظر القرآن الكريم سورة الأعراف الآيات ٦٥ –٧٢. سورة هود الآيات ٥٠ – ٦٠. سورة الشعراء الآيات ١٢٣ – ١٤٠. سورة فصلت الآيات ١٥ – ١٦. سورة الاحقاف الآيات ٢١ – ٢٦. سورة الذاريات الآيات ٤١ – ٤٢. سورة القمر الآيات ١٨ – ٢١. سورة الحاقة الآيات ٦ – ٨.

٦٨ جاء في معجم البلدان ((الأحقاف المذكور في الكتاب العزيز واد بين عمان وأرض مهرة وعن ابن عباس قال أبن إسحاق الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت وقال قتادة الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر...)) الحموي, ياقوت, معجم البلدان (١/١١٥). الحميري, الروض المعطار في أخبار الأقطار ص١٤. وبعضهم غالى في موضعهم وقال بالشام أو بجبل يحيط بالدنيا. وللمزيد عن موقع بلاد الأحقاف أو وادي الأحقاف انظر كذلك الحداد, علوي بن طاهر, الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها ص١٨ – ١٩. وعن الأحقاف والنبي هود انظر كذلك السقاف, عبد الرحمن, إدام القوت, ص١٠١٨ وما بعدها. وانظر القرماني أخبار الدول (١/٦٧).

٦٩ يلاحظ في كتابات العديد من علماء الآثار ومن تبعهم من كتّاب ومؤرخين معاصرين أنهم لا يشيرون بأي صلة الحقبة من التاريخ القديم وكأنها غير موجودة وخاصة أثناء حديثهم عن الدول والممالك القديمة الواقعة بالجنوب العربي. إذ غالباً ما يتحدثون ابتداء بتلك الممالك (معين وقتبان وأوسان وسبأ وحمير وحضرموت) وكأن ليس هناك من حضارات وممالك قبلها ونحن هنا قد نلمس العذر لعلماء الآثار الذين يحتكمون إلى القرائن المادية كشواهد للحقب التاريخية على اعتبار أنهم لم يكتشفوا بعد الآثار المادية لتلك الحضارة العادية الموغلة. (وإن كان ثمة شواهد أثرية حديثه تشير لوجودها) ولكن لا عذر للمؤرخين المحدثين منهم خاصة وهم يعتمدون في رواياتهم

المقدس. وقد ((شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة. فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية. ولكن ظهر بعد ذلك أن في هذه الأحكام شيئًا من التسرع إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام ومن الحصول على بعض المعلومات عنها))[٧٠]. وفي مثل هذا أشار المؤرخ الطبري بالقول: ((فأما أهل التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا لهود ولا لصالح في التوراة وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه. قال: ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد وثمود وأمورهم بعض ما قيل ما يعلم به من ظن خلاف ما قلنا في شهرة امرهم في العرب صحة ذلك)) [٧١].

وفي حضرموت عامة أماكن ومواضع عدة منسوبة لقوم عاد فإلى جانب مدينة الشحر التي سنتطرق لها بالتفصيل لاحقًا وجدت مواضع أخرى يزعم أهلها بأنها من بقايا وآثار قوم عاد منها على سبيل المثال تلك الخرائب التي يطلق عليها بـ(ديار عاد) على مقربة من موضع لوادي يدعى (ثقبة) على الجنوب من وادي دوعن [٧٢] وكذلك موضع آخر يدعى ثوبه [٧٣] أو موضع العرقة [٧٤] فضلا عن قريتي العادي والعادية إحداهما في شبام والأخرى في القطن[٧٥] وغيرها.

وصف القرآن الكريم لقوم عاد :

كانت هذه الأمة (قوم عاد) كما وصفها القرآن الكريم من أشد الأمم الغابرة قوة وبأسًا وبطشًا وجبروتًا. وقد جاء في خبرهم كما في قوله تعالى: ((أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). سورة الأعراف, الآية ٦٩. أو في قوله تعالى على لسان

على المدون. وهذه مما ورد أخبارها في القرآن الكريم كأصدق وأوثق مصدر. ومثل هذا الإغفال للتاريخ القديم روّج له بعض المستشرقين وشككوا في حقائقه.

٧٠ معالم تاريخ العرب قبل الإسلام ص٥٩؛ وللمزيد انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٢١/١).

٧١ الطبري تاريخ الرسل والملوك (١٤١/١).

٧٢ جاء عن ثقبة في معجم اللبلدان والقبائل((واد في منطقة كورسيبان, جنوبي وادي دوعن ومن أعماله. تقوم بالقرب منه بلدتا الفرضة وبريرة وكذا خرائب ديار عاد التي يعتقد أنها كانت مساكن قوم عاد)). المقحفي, معجم البلدان والقبائل(٢٥٧/١).

٧٣ انظر المقحفي, مرجع سابق (٢٦٧/١). وعن المدن العادية أيضًا انظر مهران, دراسات في تاريخ العرب ص٢٤٥.

٧٤ المقحفي, معجم البلدان (١٠٤٨/٢).

٧٥ المرجع السابق (٩٨٩/٢).

نبيه هود عليه السلام: ((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)) سورة هود الآية ٥٢. أو قوله تعالى : ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)) سورة الشعراء الآيات ١٢٨-١٣٤. وقوله تعالى في سورة فصلت ((فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)) الآية ١٥. او قوله تعالى: ((وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ)) سورة هود الآيات (٥٩-٦٠) وغيرها من الآيات.

أن الصفات التي وصف بها القرآن الكريم هؤلاء الأقوام تشمل كما نرى (البنية الجسدية القوية والبسالة الحربية مع وفرة هائلة في الموارد البشرية والمادية التي تؤهلهم لأن يعيشوا حياة كريمة ومترفه ومستقرة. بل وتؤهلهم تلك القدرات والإمكانيات للخوض في الحروب التوسعية إن أرادوها) وجميعها كما نرى صفات معقولة وممكنة. إلا أن خيال المؤرخين والرواة ونزوعهم نحو اللامعقول وتجاوزهم حدود الواقع وقوانين الطبيعة جعلتهم يميلون للمبالغة في تصوير تلك القدرات حيث صوروا البنية الجسدية تلك بضخامة تقترب من ضخامة الجبال وأن الواحد منهم كما قيل ليتناول الحوت الكبير من قعر المحيط وهو واقف على قدميه ثم يشويه بتعريضه لأشعة الشمس الحارقة. وهكذا نجد أنفسنا نتعامل مع كائنات خرافية وليس مع بشر. فالرحالة المسعودي على سبيل المثال وصفهم بقوله: ((ان هؤلاء القوم كانوا في هيئات النخل طولًا وكانوا في اتصال الأعمار وطولها بحسب ذلك من القدر. وكانت نفوسهم قوية وكبادهم غليظة. ولم يكن في الأرض أمة هي أشد بطشًا وأكثر آثارًا وأقوى عقولًا وأكثر إحلامًا من قوم عاد. ولم يكن الهلك يعرض في جسم هذه الأمة لقوة آثار الطبيعة فيها وما أتوه من الزيادة في تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل)). [٧٦]

كما زعم الإخباريون وهم ممن ساهم في تشكيل التصورات الشعبية المبالغ فيها عن أولئك الأقوام بأن طول قامة الواحد منهم تتراوح ما بين ٧٠-٨٠ ذراعاً. ومنهم من جعل هذا الطول خاصًا بأقصرهم. أما أطولهم فيصل إلى ٤٠٠ ذراع. وأن رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وأن عين الواحد منهم أو منخره تدخل فيه السباع. وأن الواحد منهم يتغذى بناقة ويتعشى بأخرى. وأن هذا الطول وضخامة الأجسام لم تشملهم وحدهم وإنما شمل حتى دوابهم وأطعمتهم. كما أن ضرس الواحد منهم بحجم

---

٧٦ المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر(٣١/٢)؛ القرماني, أخبار الدول (٦٨/١) وعن عاد انظر تاريخ حضرموت السياسي (٣٠/١ – ٣٣).

الجمل البختي [٧٧]...إلخ. ولا عجب هنا أن جعل أسلاف العاديين (الحضارمة) من قبر النبي هود المزعوم على تلك الضخامة والطول. [٧٨]

وثمة من ذهب إلى أن (عاد) ليست واحدة وعد منها عاد الأولى وعاد إرم أو عاد الثانية انطلاقًا من فهمهم لقوله تعالى في سورة النجم ((وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى)) الآيات ٥٠-٥١. وقوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)) سورة الفجر الآيات ٦-٨. إحداهن كما أخبر عنها عانت من الجذب والقحط والأخرى كأنها الجنة على الأرض لم يخلق مثلها في البلاد. وكلتا العاديتين أهلكها الله بسبب عصيان أهلها وكفرهم بأنعم الله. والأخبار حول هاتين العاديتين ملئت بهما الكتب الإخبارية وكتب التفاسير. كما تفنن في سرد أخبارها الرواة والإخباريون والوضّاع. [٧٩]

---

[٧٧] القرماني, أحمد بن يوسف, اخبار الدول والآثار (٦٧/١) وانظر النور السافر وشخصية صد بن عاد ص١٠٧.

[٧٨] انظر كذلك ما قيل عن عوج بن عنق الذي يحتجز السحاب ليشرب منه. وأن ماء الطوفان لم يجاوز ركبتيه وغيرها. ترجمته في معجم أعلام الأساطير والخرافات ص٢٣٠.

[٧٩] عن أقوام عاد وقصتهم مع النبي هود وإرم ذات العماد انظر المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣١/٢). ابن حبيب, المحبر ص ٣٤٦, ٣٤٨. ابن الوردي, سراج الدين, خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص١٥٤. الحميري, الروض المعطار ص١٤, ٢٢. وعن إرم ذات العماد انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦٠٥/٢).

أقوام عاد في الكتب الكلاسيكية:

ومما جاء في كتب المؤرخين والإخباريين العرب على ما فيها من تباين واختلاف بل وتناقض حتى في الرواية الواحدة نفسها القول إن نسب النبي هود عليه السلام هو (هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح).[٨٠] وأنه من قبيلة تسمى (عاد) نسبة إلى عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. وعن عاد بن إرم هذا كشخصية أسطورية نسج عنه الخيال الشعبي العديد من القصص الخرافية منها تلك التي جعلت منه جبارًا عظيمًا يبلغ طوله أعنان السماء [٨١] وأنه عمر طويلاً. وهي لا تبتعد كثيرا عن شخصية (عوج بن عنق) سالفة الذكر.

وقد ساعد على تفشي مثل هذه الأخبار تكرارها في الكتب والمؤلفات المختلفة وخاصة كتب الرحلات والبلدان, ومثلها كتب العجائب والغرائب، وجميعها ساهم في جعل تلك الأقاصيص بما فيها من مبالغة كأنها حقائق صدّقها العامة وتداولوها في مجالسهم ومسامراتهم. فقد روى المسعودي على سبيل المثال عن (عاد) وعدَّه رجلا وليس قبيلة وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. واصفًا إياه بأنه كان رجلًا جبارًا عظيم الخلقة وكان يعبد القمر. كما روي عنه أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد. وأنه تزوج ألف امرأة. وأن بلاده بلاد الأحقاف المشتملة على أراض من عمان وحضر موت.[٨٢] وقد ذكر ابن هشام نقلا عن وهب بن منبه شخصية (الخلخال) كأحد أقوام عاد ووصفه بأنه (أطولهم جسمًا وأشدهم بطشًا) [٨٣] وهو أحد الذين حاولوا صد الريح الصرصر

---

[٨٠] انظر ابن كثير, البداية والنهاية (١٢٠/١) ؛ الحميري, نشوان بن سعيد, خلاصة السير الجامعة ص٢. وقد اختلف المؤرخون والنسابة في حقيقة نسبه عليه السلام, فمنهم من قال كما أشرنا وهم الأكثرية إنه عابر بن شالخ بن أرفكشاذ بن سام بن نوح – وهم على الأغلب يعتمدون الرواية التوراتية (انظر سفر التكوين الإصحاح العاشر العدد ٢١ – ٣١. وسفر أخبار الأيام الأول الإصحاح الأول العدد ١٧ – ٢١)- وإليه ينسب كما تذهب تلك الروايات أبناء فالج ومنهم إبراهيم الخليل ومن جاء بعده من إسماعيل وإسحق وإليه من جهة أخرى ينسب قحطان أبو العرب, وآخرون قالوا هو هود بن عبد الله بن الرباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح انظر تاريخ الأمم والملوك الطبري (١٣٣/١).

[٨١] انظر على سبيل المثال القرماني, أحمد بن يوسف, أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (٦٨/١).

[٨٢] المسعودي مروج الذهب (٣١/٢)؛ البكري, أبو عبيد, المسالك والممالك (٤٥/١)؛ المقريزي, الطرفة ص١٧.

[٨٣] وهب بن منبه, التيجان في ملوك حمير, تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية, الجمهورية العربية اليمنية, صنعاء, ط١, ١٣٤٧هـ ص٥١.

عن قومه فمزقه الله شر ممزق. وهناك أيضًا الشخصية الأسطورية (صد بن عاد) الذي نسب إليه بعضهم القصر المشيد المذكور في القرآن الكريم. [٨٤]

وجاء في بعض كتب التفاسير والتواريخ أنه لما نزل بتلك الأقوام العقاب الإلهي هلك الجميع ماعدا المؤمنين من قوم النبي هود. وأنهم اقاموا على ساحل البحر مما يلي ارض عاد يعبدون الله حتى ماتوا وانقرضوا.[٨٥] وقد ذكر الراوي (وهب بن منبه) شخصية (مسيعان بن عفير) وبنيه وعدّهم من المؤمنين [٨٦]. ونحن لو تتبعنا كتب التاريخ والأنساب لوجدنا أن من نسل النبي (هود) أو (عابر) كما في بعض الأدبيات الاخرى (الإسرائيليات) قحطان أو يقطان جد اليمانيين الذي استوطن وبذوه الأراضي الجنوبية لشبه الجزيرة العربية وانتشروا جميعًا في أرجائها وفي مناطق أخرى بعيدة. في حين أدرج بعضهم (عادا) ضمن أبناء قحطان. فالمؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي الأصل تونسي المولد يحدثنا في تاريخه أن يعرب بن قحطان وبعد هزيمته لأقوام عاد ((ولي عاد الأولى وهي الشحر ولده عاد بن قحطان فعرفت به)) [٨٧] . كما ولي ابنه الآخر حضرموت بن قحطان على جبال الشحر.[٨٨] بينما عند وهب بن منبه أن عاد بن قحطان تولى أرض بابل وولى حضرموت بن قحطان ارض الحبشة [٨٩]. وجاء عنهم في البداية والنهاية لابن كثير أنهم كانوا عربًا يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل بين عمان وحضرموت وحددها أنها بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر. واسم واديها مغيث.[٩٠] وهي الأرض نفسها التي حلوا فيها بعد طوفان نوح كما في بعض الكتب الاخبارية [٩١]. بينما نجد عند ابن هشام روايات أخرى لا يخفى ما فيها من تناقضات واضحة تفيد ان هود وقومه كانوا ببابل وفيها كان هود

---

[٨٤] العيدروس, عبد القادر, النور السافر ص١٠٧-١٠٨.

[٨٥] الحميري, نشوان, خلاصة السير الجامعة ص٤.

[٨٦] التيجان, مرجع سابق ص٥٣.

[٨٧] انظر, ابن خلدون, عبد الرحمن, تاريخ ابن خلدون, (٧٢٥/١).

[٨٨] انظر المرجع السابق الصفحة نفسها.

[٨٩] ابن منبه, وهب, التيجان في ملوك حمير ص٥٥.

[٩٠] ابن كثير, البداية والنهاية, عماد الدين إسماعيل بن عمر, تحقيق حسان عبد المنان, بيت الأفكار الدولية, ط١, ٢٠٠٤م. (٨٦/١). وانظر ابن حبيب, المحبر ص٣٨٤. وابن المجاور تاريخ المستبصر ص٢٨١. العيدروس, عبدالقادر, النور السافر ص١٠٦. ويرى الحامد أن موقعهم تحديدا في الشمال الشرقي من حضرموت. انظر الحامد, صالح تاريخ حضرموت (٥٧/١).

[٩١] ابن حبيب, محمد, المحبر, ص٣٨٤؛ لقمان, حمزة, أساطير, مرجع سابق ص٣٧.

يدعو قومه لعبادة الله وأنهم نزحوا من بابل إلى منطقة الأحقاف بحضرموت [٩٢] وأن هود النبي نزح أيضًا من بابل إلى الأحقاف لمواصلة دعوته لقوم عاد.

والمدينة (الشحر) وفقًا لروايات الإخباريين والتصورات الشعبية للعامة تعد من المدن التابعة لقوم عاد [٩٣]. بل ومن أولئك الإخباريين من أشار إلى أنها العاصمة لتلك الدولة العظيمة المندثرة التي شملت مساحتها (افتراضاً) أجزاء واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية.

وهذا القول لا يتعدى مجرد أقوال للإخباريين والرواة. [٩٤] وآخرون يرون أن عاد الثانية أي (المؤمنين الناجين من قوم النبي هود) نزحوا من الأحقاف بعد هلاك قومهم إلى مدينة الشحر على شواطئ البحر العربي وابتنوا مستوطناتهم الساحلية فيها ومنها مستوطنتهم هذه التي عرفت في بعض النقوش اليمنية القديمة بالأسعاء [٩٥]. وقد أشار ابن المجاور في تاريخه إلى أن ((ما بين الشحر وأحور سبع قريات سودًا أي سبع قرى مسودة الأرض قلب الله عز وجل بها وهي من قرى الشحر)) [٩٦].

وقد افترض بعض المؤرخين الفترة الزمنية لوجود الحضارة العادية في المنطقة أن جعلها ما بين (٢,٠٠٠ - ١,٠٠٠ سنة ق : م)[٩٧] وهي فترة تعد حديثة نسبيًا مقارنة بالفترات الزمنية التي عرفت فيها الحضارات الأخرى التي امتدت فترة بعضها إلى ٥,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك التاريخ وجميعها مجرد تخمينات وافتراضات. ولعل لعلماء الآثار آراء أخرى لسنا بصددها هنا.

---

[٩٢] التيجان في ملوك حمير, ص٣٨, ص٤١.

[٩٣] المقريزي, الطرفة الغريبة ص٣٨, بامطرف, ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت ص٦٤.

[٩٤] ذكر المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه ملاحظات على ما ذكره الهمداني ((ويزعم أهل الشحر أن مدينة الشحر, هي مدينة عاد, وأن منطقة الشحر هي أرض الأحقاف اعتماداً منهم على رواية قديمة تنسب إلى قتادة بن دعامة البصري (ت: ١١٨هـ) وكان مفسراً وملماً بأيام العرب وأنسابهم)). انظر المرجع, ص٦٤.

[٩٥] الملاحي, عبدالرحمن, مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية, ص١٨٢؛ الحميري, نشوان, خلاصة السير الجامعة ص٤.

[٩٦] ابن المجاور, صفة بلاد اليمن المعروف بتاريخ المستبصر, تحقيق ممدوح حسن محمد, مكتبة الثقافة الدينية, مصر, ١٩٩٦م. ص٢٨٩.

[٩٧] الشاطري, محمد, أدوار التاريخ الحضرمي, (٣٦/١).

مدينة آل عاد:

في محاولة تأكيدية للوجدان الجمعي الشحري على أن مدينة (الشحر) هي مدينة قوم عاد, تلك الأقوال التي ذهبت وفقًا للروايات الشعبية المتواترة ومفادها أن نبي الله هودًا بعد أن وقع العذاب على قومه العصاة نزح ومن معه من المؤمنين من (الأحقاف) إلى الساحل (مدينة الشحر) وابتنى بها منزله الذي أقام فيه مع أهله. وأن بالمدينة قبور بناته في مقبرة تسمى (الحور). بينما قُبر هذا النبي (هود) بزعم بعضهم على سفح جبل واقع على الشرق من مدينة تريم بالموضع الذي تقام عنده لليوم زيارته الشهيرة التي حملت اسمه وذلك في شهر شعبان من كل عام. كما قيل إن قبره بحصن يدعى (ثوبة)[٩٨] وقيل بموضع بالأحقاف يدعى (الهينبق) [٩٩]. وفي مثل هذا نقل لنا المؤرخ (أحمد عبد القادر الملاحي) في كتابه (المذكرة التاريخية الشحرية (مخ)) بعضًا مما علق في ذاكرة الناس عن بنات النبي هود وسكناهن المدينة وقبورهن حيث كتب يقول: ((وهناك مقبرة بقرب الشاطئ يقسمها السور نصفين, أحدهما خارج السور والثاني داخله. يقال لها (مقبرة الحُور) بالحاء المهملة. فمن هذا الحور ؟ فقيل: إنه رجل من الحواريين دفن بهذه المقبرة. وقيل إن بنات نبي الله هود عليه السلام دُفِنَّ في هذه المقبرة وكان يقال لهن (الحور). وإن بيتهن كان في المحل الذي بني فيه مسجد العيدروس في حافة عقل باغريب. كما يقال إن بيت نبي الله هود عليه السلام كان في المحل الذي بني فيه مسجد العيدروس بحافة الرملة..)).[١٠٠]

---

٩٨ عن هذا الموضع (حصن ثوبه) كما جاء ذكره عند الحميري بانه بحضرموت و((يقال إن فيه قبر هود النبي عليه الصلاة والسلام، وقال أبو الطفيل: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: رأيت كثيباً أحمر تخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا من حضرموت هل رأيته؟ قلت: نعم والله إنك لتنعت نعت رجل رآه، قال: لا ولكن حدثت عنه وفيه قبر هود عليه الصلاة والسلام، وعند رأسه سدر أو سلم، وقيل بل قبره بمهرة)). الحميري, الروض المعطار ص٢٠٣؛ وفي معجم البلدان والقبائل إنه ((حصن خارب وأطلال مدينة تقع في أسفل وادي حضرموت, شمال غرب بلدة (السوم) من مديرية سيئون..)) انظر المقحفي, المرجع المشار (٢٦٧/١). وعن ثوبة انظر إدام القوت ص١٠١٠.

٩٩ وهب بن منبه, التيجان في ملوك حمير ص٥٤؛ الحامد, تاريخ حضرموت (٦٦/١-٦٧). بينما أشار المؤرخ علي الشحري في كتابه لغة عاد إلى أن قبر النبي هود يقع في منطقة حدب ذومري, أي أرض الآمري في منطقة شيحيت بريف صلالة. ص١٩٢.

١٠٠ انظر, الملاحي, أحمد, المذكرة التاريخية, مخطوط, ص٦١. والمقبرة التي يقسمها سور المدينة إلى نصفين موجودة للأن وتسمى بمقبرة عبدالرحيم, نسبة للشيخ عبدالرحيم باوزير.

والحديث عن (بنات عاد) يقودنا إلى اسم موضع لمعبد قديم عرف بهذا الاسم بالقرب من مدينة الحزم بمنطقة الجوف.[١٠١]

ومن النبي هود ومن كان معه من المؤمنين كما يراه المخيل الشعبي (الحضرمي) ظهر الشحريون والحضارمة. وقد أطلق على مدينة الشحر ضمن ألقابها (مدينة آل عاد) و(سوق الأحقاف) وبهذه الالقاب تغنى الكثير من الشعراء الحضارمة في قصائدهم وقد أشرنا لذلك في مقدمة كتابنا هذا.

جبل ضبضب وآثار قوم عاد:

ذهب بعض المؤيدين للرأي القائل بوجود تلك الحضارة العادية بمنطقة (الشحر) للقول إن بجبل (ضبضب) وهو الجبل المطل على المدينة من الناحية الشمالية الشرقية وبمسافة نحو أربعة أميال ثمة مستوطنة كانت لأولئك الأقوام العاديين. وإن بهذا الجبل العديد من آثارهم وشواهدهم و(كنوزهم) الدالة عليهم وعلى عظمتهم. وإن بعض آثارهم كما بزعم هؤلاء لا تزال مطمورة في أماكن مجهولة من الجبل وحواليه. وفي زعم هؤلاء أنه بالفترة التي اقام فيها قوم عاد مستوطنتهم الساحلية على جبل ضبضب كانت أمواج المحيط الهندي ترتطم بسفحه الجنوبي قبيل انحسارها. وأن بسفحه هذا شواهد تفيد بوصول السفن إلى هذا الموضع حيث تربط تلك السفن عند رسوها بسلاسل لاتزال بقاياها محفورة في ذلك الجبل. وهو مالم نشاهده أو نعثر على أي أثر يدعم ما طرح.

وقد قدم لنا المؤرخ (صلاح البكري) ملخصًا لرحلته التي قام بها إلى هذا الجبل بصحبة نائب لواء الشحر آنذاك وآخرين ونشرها في كتابه (في جنوب الجزيرة العربية) وكانت هذه الرحلة سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. وهي السنة التي زار فيها المدينة بصحبة السلطان (صالح بن غالب القعيطي) وفيها كتب يقول [١٠٢]: ((وأجمعنا نحن والسادة أحمد عمر باصرة وناصر عمر مخارش وصالح باشراحيل وعلي البكري وبعض الأصدقاء على الذهاب إلى جبل ضبضب [١٠٣] الأثري. ويبعد عن المدينة بنحو ربع ساعة بالسيارة. ويقع في الشمال الشرقي لها وعلى سفحه الغربي طريق مرصوص بالأحجار ظاهر بشكل بارز ويشبه خطًامنكسراً. وقد زعم الناس أن مغارة ضبضب تقع على سطح الجبل وصعد هناك كثيرون من أجانب

---

[١٠١] المقحفي, معجم البلدان والقبائل (٩٨٩/٢).

[١٠٢] عن زيارة السلطان للمدينة انظر كتابنا المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام ص٤٦٧- ٤٧٠.

[١٠٣] رسم البكري اسم ضبضب مقطعًا هكذا ضب ضب, وتكرر عنده.

ووطنيين فلم يجدوا شيئًا سوى أكوام من الأحجار متراكمة ظنناها قبوراً, ولما حفرنا تحت أحدها لم نعثر على شيء سوى قليل من العظام قد تفتت معظمها بفعل الحرارة, وفي السطح الشمالي من الجبل وجدنا بئرًا جافة وعلى جوانبها أعشاب خضراء. ولعل السكان القدامى الذين سكنوا هذا الجبل الشاهق كانوا يخزنون فيها مياه الأمطار للشرب. وفي قمة الجبل عثرنا على حفة ضيقة الفوهة يخرج منها بخار ساخن ولما أدخلنا فيها عصا خرجت منها ضفدعة. ويلاحظ أن التراب بداخلها رطب عليه آثار الماء, ولابد من تكون هناك عين ماء وحاولنا أن نحفر حولها فلم نستطع لانعدام وجود آلات الحفر)) [١٠٤].

أما عن المغارة التي اعتقد الناس بوجودها بمنطقة ما أعلى الجبل, وأنها مليئة بالكنوز الثمينة وبالجن والعفاريت حراس تلك الكنوز. فقد أكد البكري في رحلته تلك أن هذه المغارة ليست بقمة الجبل وإنما في سفح الهضبة الجنوبية المجاورة للجبل [١٠٥]. يقول البكري: ((... وصلنا المغارة وجلسنا على مقربة من مدخلها لنستريح قليلًا ونتناول الفطور ونشرب القهوة. ويشبه مدخل المغارة فوهة بركان خامد. وهو محفور في الصخر. ويبلغ عمقه نحو ١٥ متراً. أدلينا فيها حبالًا متينة ونزلنا بها. وعندما وصلنا إلى قاعدة المدخل رأينا فتحة ضيقة. ولما دخلنا منها وجدنا كهفًا منبسطًا على جوانبه مصاطب أشبه بمقاعد عريضة قد تراكمت عليها أحجار تساقطت من السقف. وهناك قبر منبوش منحوت في الصخر ويظهر أنه نقش [١٠٦] من عهد قديم. ولعل نابشه (هينريش ملتسان)**Heinrich Maltzan** الألماني الذي ارتاد سواحل حضرموت سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م. ويتصل بهذا الكهف كهف آخر واسع وفي أعلاه فتحة ضيقة يدخل منها الهواء والضوء. وهناك كهف ثالث سقفه يكاد يلامس الأرض ورأينا بداخله جزءًا بارزًا مستطيل الشكل ولعله قبر. وحاولنا نبشه بواسطة العمال الذين أحضرناهم معنا فلم نوفق لقرب السقف من الأرض, وفي الكهف الثاني شاهدنا ممرًا ضيقًا مظلمًا دخلناه زاحفين على بطوننا, ويبلغ طوله نحو ستة أمتار. وخرجنا منه إلى كهف منحوت في الصخر وعلى شكل دائرة, وفي سقفه

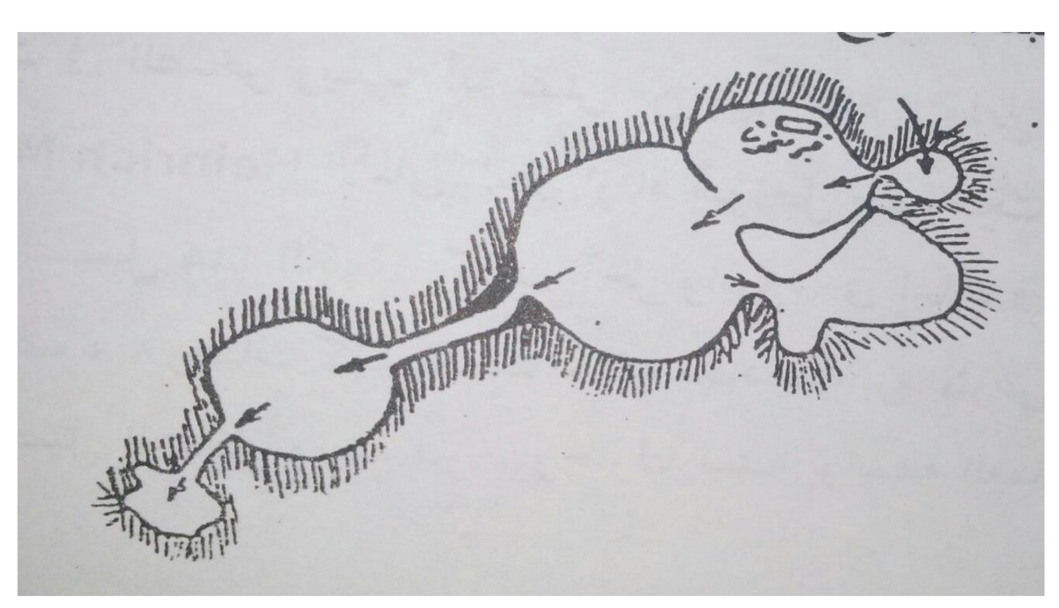
---

[١٠٤] البكري, صلاح, في جنوب الجزيرة العربية ص٧٨.

[١٠٥] المرجع السابق ص٧٩. وقد أكد هذه المعلومة الباحث عبدالرحمن الملاحي رحمه الله, خلال أحد لقاءاتي معه ببيته وتحديداً في ٤ يناير ٢٠٠٩م, وأكد الملاحي بأنه زار موضع المغارة بنفسه مرتين, في المرة الأولى وقد طمس التراب أكثرها ولم يستطع دخولها, وفي زيارته الثانية لها بعد مضي اكثر من عقدين, لاحظ بأن كل معالمها طمست وغطاها التراب. لدرجة انه لم يستطع في البداية تحديد موضعها إلا بجهد.

[١٠٦] كلمة (نقش) هكذا وردت في الكتاب ولعل ثمة تصحيفًا مطبعيًا فيها وأنه أراد بها (نبش).

نقوش منحوتة في الصخر شكلها..)).[١٠٧] وأشار أيضًا: ((وهناك ممر ضيق يبلغ طوله نحو أربعة أمتار. زحفنا فيه على بطوننا حتى وصلنا إلى كهف غير واسع به حفرة منحوتة تشبه البئر أو الزير الكبير. وقد تراكمت عليها الأتربة والضغط هنا شديد, وكمية الأكسجين قليلة والحرارة تزهق النفوس ولم نستطع البقاء طويلًا لشعورنا بالضغط الجوي والتعب ولخوفنا من انطفاء المصابيح التي حملناها معنا. وقد بدأ ضوؤها يتضاءل ويحمر))[١٠٨].



مغارة جبل ضبضب كما وردت عند المؤرخ صلاح البكري

وهكذا غادر الجميع تلك المغارة التي كانت لغزًا بعد أن امضوا بداخلها أكثر من ثلاث ساعات.

ولليوم بالرغم مما نشره البكري عن المغارة. مازال العامة يعتقدون فيها اعتقاداتها القديمة المتوارثة. ومن الواضح أنهم لم يقرأوا ما كتبه البكري عن الجبل ومغارته.

وعلى ما يبدو أيضًا أن الحديث عن القبر المنبوش هو ما دفع بالشحريين للذهاب بخيالهم إلى أنه المكان والقبر نفسه المذكور في بعض الكتب التاريخية ككتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) لسراج الدين ابن الوردي أو كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار للحميري. [١٠٩] وفي بعض المراجع أن قبر (قضاعة بن

---

[١٠٧] البكري, في جنوب الجزيرة العربية ص٧٩.

[١٠٨] المرجع السابق ص٨٠.

[١٠٩] لمعرفة المزيد من الأخبار الخرافية عن قوم عاد انظر خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين عمر ابن الوردي ص١٥٩. وانظر كذلك الحميري, محمد بن عبدالمنعم الروض المعطار في أخبار الاقطار تحقيق د. إحسان عباس ص١٤, ٢٢, ٢٠٣. وانظر كذلك النور السافر في أخبار القرن العاشر لعبدالقادر العيدروس

مالك بن حمير) جد القبائل القضاعية الجنوبية والشامية كان بجبل الشحر [110] من دون أن تحدد لنا هذه المراجع موضع هذا الجبل.

وهكذا نجد في نهاية المطاف أن خيال الرواة والقصّاص لعب دورًا كبيرًا في تشكيل عقلية الحضرمي الذي تفاعل مع تلك المرويات السابقة وكأنها حقائق لا تقبل الشك. بل ويضيف عليها من عنده قصصًا وأعاجيب خيالية مرتبطة بها وتدور في فلكها. وهو وإن أفاد كمادة دسمة للدراسات الأنثروبولوجية والفولكلورية وربما أيضا الأركيولوجية. إلا إنه أحيانًا قد يكون مضللًا وخاصة للأخيرة.

والمقريزي في كتابيه أخبار البلاد والعباد, والطرفة العجيبة من أخبار وادي حضرموت الغريبة. وكتاب التيجان في ملوك حمير, لوهب بن منبه. وانظر كذلك السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة وهي شرح لقصيدة نشوان الحميري بعنوان ملوك حمير وأقيال اليمن تحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي. وانظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي, وأخبار الدول واثار الاول للقرماني, أحمد بن يوسف. ود. سقال, ديزيره, العرب في العصر الجاهلي, دار الصداقة العربية بيروت – لبنان, الطبعة الأولى ١٩٩٥م, ص٢٨ – ٣١. وتاريخ حضرموت السياسي لصلاح البكري (١/٣٠-٣٣). وعلي, جواد, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام الخ.

[110] السقاف, عبدالرحمن, إدام القوت ص١٠١٩.

أنبياء من نسل هود عليه السلام

وقد ذهب الحضارمة في تصوراتهم تلك لوجود أنبياء آخرين من نسل النبي هود عليه السلام عاشوا في أرضهم هذه منهم النبي (هادون بن هود) ويوجد ضريحه بمنطقة هدون بدوعن. وتقام له زيارة سنوية في ليلة النصف من شعبان [١١١]. وذكر ابن المجاور في تاريخه نبيًا باسم (دانيال بن هود) بميفعة وطول قبره أربعون ذراعًا[١١٢]. كما أشار إلى أن لهود النبي ابنًا آخر يدعى (رونيا). وفي بعض كتب أخبار العرب أن أبناء هود ومنهم من يقول أبناء عاد هم (شديد وشداد) مع عدم التمييز بين هود كفرد وعاد كقبيلة. وفي كتاب الشامل لعلوي بن طاهر الحداد أشار إلى أن بإحدى مناطق شبوة الواقعة غرب حضرموت ((قبر نبي يسمونه بن هود (واشتهر) اسمه عندهم بأنه ذاليان بن هادون بن هود بكسر اللام وقبره هناك في جبل يعرف بجبل بن هود بأسفل وادي هدا)) [١١٣]. وعلى مقربة من جبل حبرير بمنطقة ظفار العمانية بين منطقتي حدبين وحاسك مزاعم بوجود قبر النبي (صالح بن هود)[١١٤] كما وجد بالمنطقة قبر للنبي (حنظلة بن صفوان الرسي) ذكره بعضهم أنه على مقربة من (دمخ حساي) وهي آخر حدود لواء الشحر في عهد السلطنة القعيطية. وآخرون قالوا في منطقة (بور) الواقعة شمال شرق سيئون. [١١٥] وهناك نبي (مولى المطر) القريب من كور سيبان ومولى الصدف [١١٦] وغيرهم.

كما أشارت بعض الكتب الإخبارية لبعض أسماء القبائل العادية منها الهزيل أو الهزيلي [١١٧] وهي من القبائل الحضرمية الأصيلة التي سكنت المنطقة وكان لها شأن في تاريخ حضرموت. واللوذية أو بني اللوذية ذكرها صاحب المفصل في تاريخ

---

[١١١] الشامل في تاريخ حضرموت ص١٥٣. وعن هدون البلد انظر المقحفي, معجم البلدان (١٨٠٩/٢) والشامل ص١٥٣.

[١١٢] ابن المجاور, صفة, مرجع سابق, ص٢٨٦. وذكر بعضهم أن طول الرجل من قوم عاد سبعون ذراعاً وفي رواية أطولهم ٤٠٠ ذراع واقصرهم ٦٠ ذراعاً. انظر القرماني, أخبار الدول (٦٨/١).

[١١٣] الحداد, علوي بن طاهر, الشامل ص٤٥. أما إنجرامس فقد ذكر أن قبر هادون في مسجد هادون بدوعن. انظر تقريره عن الحالة ص٢٣.

[١١٤] الشحري, علي, لغة عاد, ص١٥. وفي تصوراتهم أن قبائل الشحرى هناك هم من عقر ناقة النبي صالح؛ انظر توماس, برترام, رحلات ومغامرات عبر الصحراء ص١٢٨.

[١١٥] السقاف, عبد الرحمن, إدام القوت, ص٢٣٠, ص ٧٧٣. المقحفي, معجم البلدان والقبائل (٥٢١/١). باوزير, محمد, تاريخ حضرموت وتراثها ص٣٦.

[١١٦] إنجرامس, تقرير عن الحالة الاجتماعية ص٢٣.

[١١٧] انظر المقحفي, معجم البلدان, مرجع سابق(١٨٢١/٢).

العرب قبل الإسلام [118]. وفي الغرب من حضرموت وتحديدًا بمحافظة شبوة موضع يسمى (لودية) تسكنه قبائل من الدييب [119] وعلى مقربة منه يوجد جبل يسمى (بن هود) وبه قبر (ذاليان) سابق الذكر.

وببعض المراجع أن بني لاوذ بن سام هم العماليق [120]. كما ذكر ابن المجاور نقلًا عن الواسطي أن أصل المهرة من بقايا قوم عاد [121]. والمهرة كما في كتب الأنساب من القبائل القضاعية. كما نسب للمنطقة أيضًا(لقمان بن عاد) [122]. وقبائل الشحار المتواجدين بكثرة في إقليم ظفار يدعون انتماءهم لقوم عاد. وفي كتابه (إدام القوت) أشار العلامة المؤرخ مفتي حضرموت السيد (عبد الرحمن السقاف) لمزاعم بعض الأسر أو القبائل الحضرمية التي تدعي انتسابها إلى عاد ورد عليها [123].

وإلى جانب تلك الأسماء التي ارتبطت بهود واختصت بها المنطقة عموما. نجد ارتباطًا آخر بهود أو بعاد في أسماء بعض القرى والمناطق الحضرمية. وقد أشرت مسبقًا إلى مواضع حضرمية مثل ثوبة وخرائب آثار عاد. ومنها أيضًا على سبيل المثال قرية (العيص) أو كما تسمى أحيانا بـ(عيص خرد) التي تبعد نحو ١٠ كيلومترات شمال شرق مدينة الشحر. ويرجح اشتقاق اسمها من (عوص) وهو الجد الأكبر للعديد من القبائل الشحارية الموجودة حاليًا في إقليم ظفار العمانية [124] كما أنه اسم لأحد الآلهة التي عبدت في الجنوبية العربية. وعوص أيضا اسم الأرض التي بعث فيها النبي أيوب عليه السلام [125]. وموضعها كما افترض بعضهم بشرق فلسطين وآخرون يقولون في ظفار كما سنبينه. والعيص أيضًا اسم لأخي النبي يعقوب بن إسحاق عليه السلام. وهناك قرية (العادي) القريبة من هينن وقد أشرت إليها سابقا ومثلها قرية العادية. وكذلك منطقة (بور) الواقعة شمال شرق سيئون.

---

[118] انظر عنها على سبيل المثال علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٠٢/١). واللودية من المواضع الموجودة بشبوة ويسكنها أقوام من قبيلة الدييبي. الشامل ص٤٥.

[119] الشامل, ص٤٥.

[120] إدام القوت ص١٠٢٠.

[121] جاء عند ابن المجاور قوله:((حدّثني أحمد بن علي بن عبد الله الواسطي قال: إنّ أصل المهرة من بقية قوم عاد فلما أهلك الله تلك الأمم نجا هؤلاء القوم فسكنوا جبال ظفار و جزيرة سقطرى و جزيرة المصيرة. و هم قوم طوال حسان لهم لغة منهم و فيهم ولم يفهمها إلّا هم..)). تاريخ المستبصر, ص٣٠٠.

[122] أشار المؤرخ عبدالرحمن السقاف إلى أن بجوار قبر هود, قبر لقمان بن عاد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير. إدام القوت ص١٠١٨. وللمزيد عن لقمان بن عاد انظر التيجان في ملوك حمير ص٧٩.

[123] السقاف, إدام القوت ص١٠٢٠ وما بعدها.

[124] الشحري, علي, لغة عاد ص٩.

[125] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٨٢/٢).

[١٢٦] أو قرية (مقاشع) على مقربة من شعب نبي الله هود. أو موضع مكينون (مكنون) القريب من منطقة السوم.. إلخ.

وحقيقة فإن الحضارمة غالبًا ما يطلقون على أية معالم أثرية قديمة بالقول إنها عادية أو من بقايا قرى قوم عاد [١٢٧] لولعهم بهذا الاسم التاريخي. ومنها ما عثر عليه في مواضع أخرى عند ملتقى (وادي منوة) بوادي ثقبة أو بموضع (ريبون) القريب من المشهد وغيرها [١٢٨].

والنماذج فيما ذهبنا إليه كثيرة وعديدة بحاجة إلى من يجمّعها ويقرّبها من بعضها. هذا بالإضافة إلى وجود العشرات من المواضع المعظّمة التي تقام عندها الزيارات والاحتفالات كتلك الأضرحة والمشاهد المتناثرة هنا وهناك في عموم مناطق حضرموت. بعض منها معلوم صاحبها وغالبًا يكون وليًا من الأولياء بينما بعضها الآخر مجهول. ونعتقد ارتباط بعض تلك الأضرحة والمشاهد بالعبادات الوثنية القديمة بالمنطقة وإن أضفت عليها الصبغة الإسلامية كمشهد عايبات (عوجبات) على سبيل المثال بقرية يمعوض وهي على الشمال من قرية عيص خرد السابق ذكرها. وهو ما سنتناوله في الفقرات اللاحقة. أو مشهد مول شوخ أو الصبار أو المهوي....إلخ.

شخصيات عادية:

أما عن الشخصيات العادية التي ذكرت في بعض الكتب الأخبارية فنذكر أسماء مثل:((هود النبي, شداد بن عاد, شديد بن عاد, رقيم ابن عويل بن الجماهر بن عوص بن إرم, قحطان بن هود, يعرب بن قحطان بن هود, عاد بن رقيم, البعيث بن وقاد بن حضرم (خضرم) بن هود بن عاد بن عوص, مسيعان بن عفير وبنيه, هجال بن رفيدة, قيل بن عنز(عتر), الخلخال, هازل بن غسان, شداد بن حمام, الهميسع بن بكر, قيل بن الكثير, الأمنع بن إصبع, سجار بن الهيعقان, مبدع بن قفال, يافث بن شرعب, سلاف بن الهيلجان, شرس بن عقاب, سجيل بن واغل, تبان بن واقد, الهندوان بن العميل, لبة بنت شداد بن عاد)) [١٢٩] وزاد بعضهم لقيم بن هزال, مرثد بن سعد, لقمان بن عاد بن الملطاط, الهمال بن عاد, جلهمة بن الحبيري وببعض

---

[١٢٦] إدام القوت ص٧٢٦؛ المقحفي, معجم البلدان (٢٠٢/١).

[١٢٧] علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٦٣/٣).

[١٢٨] المرجع السابق (١٦٢/٣). وللمزيد انظر مهران, محمد بيومي, دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ص٢٤٥.

[١٢٩] وردت هذه الأسماء عند الحميري, وهب ابن منبه, التيجان في ملوك حمير.

المراجع الأخرى (كلهدة أو جلهدة ابنة الخيبري) النبهان بن الخليل, صد بن عاد, السميدع بن زهير, معاوية بن بكر, غانم بن علوان, الضحاك بن علوان, الوليد بن الريان, جيرون بن سعد بن عاد, الهميسع بن حمير, الخلجان بن الوهم العادي...إلخ. ومن القبائل أيضا بني كركر[١٣٠].

ولا يخفى ما في بعض هذه الأسماء من دلالات وإشارات لأسماء مناطق وقرى ومواضع وقبائل حضرمية ما زالت لليوم محتفظة بأسمائها تلك أو حُرّفت عنها قليلا.

---

[١٣٠] البكري, المسالك والممالك (٤٧/١), وهب ابن منبه, التيجان في ملوك حمير, ص٨٠. موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦٠٥/٢).

ديانة قوم عاد

من المؤسف له أن تكون المعلومات المتوافرة لدينا والخاصة بتاريخ حضرموت الموغل في القدم محدودة جداً. ذلك أن المصادر والمراجع التاريخية والأثرية المتوافرة لاتزال اشتاتًا متفرقة. وهي كما نرى لم تقدم سوى القليل الذي لا يروي الغليل وخاصة في جوانبها الحضارية والتعبدية. كما لم تبين لنا للآن أية معلومات يقينية عن أقوام عاد وعلاقتهم بالمنطقة فضلًا عن ديانتهم. وهم ممن قال فيهم الله سبحانه وتعالى: ((فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)) سورة الحاقة الآية (٨). وعدّهم المؤرخون من الأمم البائدة التي انقطعت أخبارها وانمحت آثارها.

كما أن المعلومات المتوافرة بشأن الأمم والأقوام القديمة التي هي على قلتها, إنما معلومات عامة لم تختص بمنطقة محددة من المناطق المحتملة التي عاشتها تلك الأقوام كحضرموت مثلًا إلا فيما ندر، فضلًا عما يخص هذه المدينة تحديدا. وبالتالي فإن البحث في مثل هذه المواضيع الموغلة في القدم والدينية منها يعد حتمًا مغامرة محفوفة بالمخاطر ارتأينا خوض غمارها بدلًا من تركها مجهولة الأغوار إلى الأبد. فأي حجرة يمكن أن توضع هنا ستعد بمثابة اللبنة في أس ذلك البناء الحضاري للمنطقة. وخير لنا من بحثها والتنقيب عنها بدلًا من تركها في الظلام القاتم.

ويمكن هنا أن نشير إلى أن الفكر الديني الجاهلي عامة وما ارتبط به من سلوكيات وممارسات عُدَّ في نظر أوائل الكتّاب والمؤرخين العرب بعد ظهور الإسلام فكرًا وثنيًا لا يعتد به ولا يعول عليه في شيء. وأن الإسلام إنما جاء أساسًا للقضاء عليه. فلا عجب من أن يلاقى ذلك الفكر بما جسده من ممارسات وطقوس قديمة محاربة و إهمالًا. كما أن الأعمال الأركيولوجية بالمنطقة لا تزال محدودة ولم تقدم لنا الكثير عن الحقبة التاريخية التي نحن في صددها. وهي فرصة نهيب فيها بكل الباحثين والمهتمين للتوجه لدراسة تلك الجوانب التاريخية والدينية للمنطقة وبتفاصيل معمقة. وإلى تكثيف أعمال البحث والتنقيب عن الآثار والنقوش ودراستها دراسات مستفيضة. وأيضا أن يولوا عناية خاصة بتوثيق التراث الشعبي خاصة مع دراسته دراسة منهجية كي ينال حقه.

وفي هذا الصدد يمكننا القول إنه بالرغم من تلك القتامة التي أحاطت بتاريخ منطقتنا القديم نستطيع أن نرصد بعض الآثار المرتبطة بالديانات القديمة (الوثنية) وهذا من خلال الرواسب الثقافية [١٣١] Survival التي ظلت عالقة في الذهن وتوارثها الناس

[١٣١] لمعرفة المزيد عن مصطلح الرواسب الثقافية Survival في الدراسات الأنثروبولوجيا, يمكن الرجوع إلى مؤلف, إيكه هولتكرانس, قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور, ترجمة د. محمد الجوهري و د. حسن الشامي

جيلا بعد جيل. وهم يجسدون ملامحها في تلك الصور اللاشعورية التي تقف خلف العديد من الممارسات والتصورات المتوارثة. وهي التي يمكن أن نرصدها

هنا ونستخلص منها بعض الصور لما كانت عليه أحوال البلاد في عصورها الغابرة. وأمر كهذا لا محال سيزيدنا جهدًا وعناء لم يكن بالحسبان كون هذه الدراسة معنية أكثر شيء بالوصف والتوثيق. إلا أن الخوض فيها وتحليلها كان للضرورة الحتمية التي تتطلبها طبيعة مثل هذه المواضيع.

وفيما يتعلق بديانة أقوام عاد فقد ذهب المؤرخون الكلاسيكيون إلى أن (الوثنية) القائمة على عبادة الأصنام هي الديانة السائدة لدى العاديين. وأنهم بزعمهم أول من أعاد للبشرية عبادة الأصنام بعد طوفان نوح. وهم (أي المؤرخون) وإن اختلفوا في مسميات بعض تلك الأصنام جمعوها في ثلاثة أسماء وهو مايذكرنا بـ(الثالوث المقدس) الذي عرفته العديد من الشعوب السامية القديمة بما فيها سكان العربية الجنوبية وإن تباينت صوروأشكال تلك العبادات بين هذه الشعوب. فعلى سبيل المثال ورد عند المؤرخ والمفسر إبي الفداء (إسماعيل بن كثير) نقلًا عن ابن إسحاق قوله: ((ذكر محمد بن إسحاق وغيره انهم (أي قوم عاد) كانوا يعبدون أصنامًا فصنم يقال له صداء وآخر يقال له صمود وآخر يقال له الهباء)) [١٣٢]. إن اسم صداء الوارد يقودنا إلى اسم صُداء كاسم لاحدى بطون قبيلة مذحج [١٣٣]. ولاندري إن كان ثمة علاقة ما بين هذا الصنم وهذا البطن القبلي. خاصة أن غالبية القبائل القحطانية تدعى انتماءها لأولئك الأقوام العادية. و في كتابه (البداية والنهاية) أشار ابن كثير إلى أن هذه الأصنام الثلاثة هي ((صدا وصمودا وهرا))

ط٢ الهيئة العامة لقصور الثقافة, ص٢١٤. وفيها أنها عبارة عن ((عناصر ثقافية تترسب من مواقف ثقافية قديمة كانت أكثر تكيفاً معها. ومن التعريفات الأخرى الاستخدام الحالي لهذا المصطلح, تعريف هوبل بأن: الراسب الثقافي هو عنصر أو مركب ثقافي تغيرت وظيفته بمرور الزمن, بحيث أصبح استعماله مجرد اتفاق شكلي. ويعرفه جاكوبز وستيرن قائلين: الراسب – في الانثروبولوجيا الاجتماعية – هو سمة ثقافية مستبقاة بوظيفة ضئيلة أو بدون وظيفة على الإطلاق. ولكن يفترض أنها كانت تؤدي وظيفتها على نحو أكثر أهمية في عصر سابق. وهي بذلك تدلنا بشكل مفيد – في سياق النظرة التاريخية على أشكال ثقافية أقدم. ويعرفه وينيك بأنه: بقايا عصر سالف مازالت موجودة في الثقافة المعاصرة...)) انظر المرجع المذكور ص٢١٤. وانظر كذلك قاموس الانثروبولوجيا ص٩٣٦.

[١٣٢] ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء ٨، (٤٣٥/٣) المسعودي، مروج الذهب (١١٢/٢). البكري، المسالك والممالك (٤٥/١). ويلاحظ عدم ورود أي ذكر لأسماء أصنام عبدها قوم عاد في الكتاب الشهير الموسوم بـ(الأصنام) لابن الكلبي في حين أوردها محقق هذا الكتاب الأستاذ أحمد زكي باشا نقلاً عن مروج الذهب للمسعودي.

[١٣٣] المقحفي، معجم البلدان (٨٩٨/١).

[134]. وفي مؤلفات أخرى اسم الصنم الأخير (البغاء). وفيه أشار (مرفد بن سعد) وهو كما قيل أحد الناجيين من قوم هود وفقًا وللروايات الأخبارية بقوله [135]:

عصت عاد رسولهم فأمســـــوا	عـطاشــا ماتبلهم السمـــاء
أتانا والقلــــوب مصمــــدات	على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمــــــــــود	يقابله صداء والبغــــــاء

أما المسعودي فقد آشار إلى أن قبيلة عاد كانت تعبد القمر.[136] وفي مصنف آخر له أشار لعبادتهم الأصنام.[137] ولاحقًا كترجيح لإشارة المسعودي عن عبادة العاديين للقمر عثرت أحد البعثات الأجنبية على آثار معبد لإله القمر قريبًا من منطقة حريضة بحضرموت. [138] ويعد القمر رمزًا للإله (سين) أو سين ذو مذاب (مذبم). ويظن الأهالي أن هذا المعبد وما حوله من آثار هي من بقايا قوم عاد. في حين أشارت مراجع أخرى إلى أن تاريخية هذه الآثار ربما تعود إلى آواسط القرن الخامس فما بعده إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد.[139]

ويعد الإله (سين) الإله الرئيس والرسمي لمملكة حضرموت القديمة [140]. إلا أننا لا نستطيع أن نؤكد أن هذا الإله كان معبودًا للعاديين في ازمنتهم الغابرة. كما لا نستطيع أن نؤكد أيضًا إن كان أولئك الأقوام عبدوا شيئًا من الأصنام أو الأوثان بالرغم مما اشارت إليه الكتب الكلاسيكية العربية. إذ ينقص الكثير منها البينة والدليل القاطع.

[134] البداية والنهاية، مرجع سابق (١/٨٦).

[135] ابن كثير البداية والنهاية (١/٩٢). وعن هذه الأصنام انظر كتاب الأصنام للكلبي ص١١٠-١١١.

[136] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/٣١). القرماني، اخبار الدول (١/٦٧) البكري، المسالك والممالك (١/٤٥).

[137] المسعودي، أخبار الزمان ص٨١.

[138] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣/١٣١).

[139] المفصل، مرجع سابق (٣/١٣٢، ١٦١).

[140] فرانتسوزوف، سيرجيس، تاريخ حضرموت، مرجع سابق ص٨٢. وقد أرجع الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي إلى أن الإله سين إنما هو صنم. إذ كتب يقول عند حديثه عن الديانات القديمة التي عرفتها حضرموت عامة قوله: ((أما ديانتهم فهي عبادة الأصنام ومما اشتهر منها أو لعله أشهرها الصنم (سين) معبودهم إذ ذاك..)) المرجع السابق ص٤٧.

وممن ذهب لتبني القول إن عبادة العاديين كانت الأصنام أشاروا أيضًا إلى أنها مؤنثة [١٤١]. وسنأتي على ذلك.

وبغض النظرعن إن كانت عبادة قوم عاد أصنامًا أو أوثانًا أو على أية هيئة من الديانات الطوطمية Totemism [١٤٢] أو كانت عبادة للأجرام الفلكية أو أن لها أشكالا وصورًا تعبدية أخرى. إذ إن الذي يهمنا ونؤكد عليه هنا (أن أولئك الأقوام عرفوا شكلًا من أشكال (التعددية الدينية) وإن كانت جميعها ذات مضمون وثني باستثناء ديانة التوحيد التي أتى بها نبي الله هود وبها قضى (مؤقتًا) على الوثنيات السائدة قبله).

ومن الواضح أن الديانات التوحيدية عامة وخلال مسارها التاريخي خضعت للمؤثرات الزمنية. فما أن يبزغ ويسطع نور إحداها في السماء فترة من الزمان إلا ويعقبه تضاءل وخفوت إلى أن ينتهي تمامًا بالوثنية ليجدد نور التوحيد السماوي نبيًا أو رسولًا توحيديًا آخر. وهكذا إلى أن جاءت الديانة الإسلامية لتبقى خالدة أبد الأزمان. حيث لا نبي أو رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

وعليه ومن خلال سياق الآيات القرآنية التي تعرضت لخبر أقوام النبي هود عليه السلام نستطيع أن نلحظ أن قوم عاد على وثنيتهم عرفوا ما اصطلح على تسميته في الأدبيات بـ(تعدد الآلهة) وان لم تتضح لنا صور وأشكال تلك الآلهة المتعددة أو صفاتها وتأثيراتها على مجتمعها بصورة كاملة. نستطيع تلمس هذا من خلال بعض الإشارات الواردة عنها في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)) سورة الأعراف الآيات(٦٥-٧١). أو **قوله تعالى على** لسان قوم هود: ((قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ)) سورة هود الآيات (٥٣-٥٥).

---

[١٤١] انظر على سبيل المثال كشار، عز الدين، لمحات، مرجع سابق ص٣٣.

[١٤٢] لمعرفة المزيد عن الطوطمية يمكن الرجوع لكتاب قاموس الأنثروبولوجيا ص٩٧٩. ومعجم الفولكلور ص٣٢٨ – ٣٢٩.

إن اتهام أولئك المشركين لنبيهم (هود) بقولهم (اعتراك بعض آلهتنا بسوء) فيه إشارة واضحة لوجود هذه التعددية في الآلهة ولوجود التخصص الوظيفي لها أيضًا. فبعض هذه الآلهة مسؤولة عن إصابة الإنسان بسوء من مرض أو جنون أو خبل [١٤٣] (أي أنها مسؤولة عن إيقاع الشر) وهذا يدفعنا لتبني فرض آخر يفيد بالضرورة لوجود آلهة أخرى مضادة مختصة بالخير والصحة. فضلًا عما قد يرتبط بأي بيئة ذات طابع ديني تعددي بوجود آلهة أخرى قد تتعلق بالأرض أو الجدب أو الحصاد أو الخصوبة أو بالصيد والقنص أو بالبحر وأخطاره أو تلك الآلهة الفلكية..إلخ. بل وهناك أيضًا الدهريون والملاحدة.

وفيهم كما أخبر به سبحانه وتعالى في قوله: ((ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)) سورة المؤمنون الآيات (٣١-٣٧). وقيل في كتب التفاسير إن المقصود بهما هنا في هذه الآيات قوم عاد أو قوم ثمود. وقيل أيضًا كلاهما.

إن اعتقاد أولئك الأقوام بوجود آلهة مختصة بالشر كما حكى عنه القرآن الكريم لم يكن بجديد عليهم. فقبلهم وصف قوم نوح نبيهم نوح عليه السلام بمثل ما وصف به النبي هود. كما وصف به أيضًا من جاء من بعدهم من الأنبياء والرسل.

كما ان أية تعدد في الآلهة سيرافقه لا محالة تعدد في شكل ومكان العبادة بما تحتويه كل عبادة من طقوس ومراسيم وصلوات وابتهالات خاصة بها. وما يرتبط أيضًا بكل عبادة من وجود أناس قائمين بأمرها (كهنة أو سدنة) وهم من يشكل في الغالب فئة (علية القوم، الملأ) المقربين من الحاكم إن لم يكونوا أنفسهم الحكام. وهم من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة في المجتمع. كما أن هذه الفئة غالبًا تكون الأشد من بين من قد يتصدى لأي دعوة دينية جديدة من شأنها أن تهدد مصالحهم وتزلزل مكانتهم ووضعهم الاجتماعي. قال تعالى: ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) سورة الأعراف الآيات (٦٥-٦٧).

---

[١٤٣] جاء في تفسير هذه الآية على سبيل المثال عند المفسر أبي الفداء إسماعيل ابن كثير قوله: ((يقولون ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها)) انظر تفسير ابن كثير (٤٥٠/١).وانظر كذلك (٣٣٦/١).

ومن الإشارات القرآنية الأخرى لتلك الديانات العادية كما نرى أنها ديانات متطورة بمعنى أن أجدادهم وآباءهم ليسوا هم وحدهم من ساهم فيها وتوارثها عنهم الخلف وإنما هم أيضا (أي الخلف) من ساهم بصورة أو بأخرى في نشأتها وتطورها أو تعزيز وجودها عن طريق الإيمان والرقي بها. وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ((قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)) سورة الأعراف الآية ٧١.

كما نلاحظ في الآيات السابقة ومن خلال أسلوبي الحوار والمجادلة بين النبي هود عليه السلام وبين قومه المعارضين لدعوته كأن ثمة ما يشير فيها إلى وجود شكلٍ من أشكال الإنفتاح الديني والقبول بالآخر وفقًا لمفاهيم عصرنا المتعلقة بالعبادة وحرية العقيدة والرأي. ولا عجب في هذا إذ إن ذلك المجتمع كما أشرت سابقًا تسوده فكرة (تعدد الآلهة) وتعدد الأديان. وبمجتمع كهذا يفترض فيه أن يكون الدين عامة خاضعًا لمبادئ حرية الاعتقاد وحتى التنقل الديني.

إن هذه المبادئ السابقة لعصرها من جهة أخرى سمحت حتى لهذا الدين التوحيدي الجديد، -دعوة النبي هود لعبادة الله الواحد الأحد- بالظهور والتحرك بحرية. حيث لم نجد في الآيات ما يشير إلى وجود أية تهديد أو وعيد من الكفار والمشركين (المعارضين لهذه الديانة التوحيدية) سواء كان بالنبذ أم الطرد أم بالقتل والحرق؛ وهو مافعلته لاحقًا الجهات المعارضة مع غير واحد من الأنبياء والرسل اللاحقين. فقد فعلوا هذا مع نبينا لوط عليه السلام كما أخبر عنه في قوله تعالى: ((فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)). سورة النمل الآية ٥٦. وكذلك مع سيدنا إبراهيم حينما خالف قومه في عبادتهم ((قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)) سورة مريم الآية ٤٦. وفي قوله تعالى: ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)) سورة الأنبياء الآيات (٦٨-٧٠). وأذية الكفار والمشركين لموسى وعيسى عليهما السلام معروفة ومعلومة وكذلك آذيتهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان نهاية ذلك الجدل كما أخبر به الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه هود: ((قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)) سورة الأعراف الآية ٧١. فكان من أمرهم كما أخبر به سبحانه وتعالى: ((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠))) سورة هود الآيات (٥٨-٦٠).

وتذهب بعض الروايات إلى أن هودًا ومن اتبعه من المؤمنين اعتزل قومه ((في حضيرة مايصيبه ومن معه إلا ماتلين عليه الجلود وتلذ الأنفس وأنها لتمر على عاد بالظعن مابين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة)). [١٤٤] وقد علق المفسر (ابن كثير) على هذه الرواية المطولة بقوله: وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة. وقد قال تعالى((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)) سورة هود، الآية ٥٨. [١٤٥].

وتذهب بنا المرويات إلى أن هود وقومه المؤمنين وبعد أن حل بمشركي قومهم العذاب بالأحقاف في واد لهم يدعى (مغيث) نزحوا إلى الجهات الجنوبية من حضرموت واستوطنوا سواحلها (الشحر). وقد سبق أن أوردنا بعض الروايات الاخبارية التي تقول بوجود قبور لبنات عاد بمقبرة الحور في مدينة الشحر.

---

١٤٤ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٣٣٧).

١٤٥ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

مدينة إرم ذات العماد

وعن مدينة إرم الأسطورية تلك التي احتج بعضهم بأنها عاد الثانية، وأن عادًا الأولى هي التي بعث الله فيهم نبيه هودًا كما في قوله تعالى:((وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى)) سورة النجم الآية ٥٠. أما عاد الثانية وهي التي أهلكها الله بالصرخة، فهي عاد إرم مستندين لقوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)) سورة الفجر الآيات (٦-٨).

وتشير بعض الكتب الكلاسيكية إلى أن من أبناء عاد (شدادًا وشديدًا) وأن شديدًا هذا توفي قبل أخيه بعد أن كان ملكًا في قومه فتولى الملك بعده أخوه (شداد) وهو باني مدينة (إرم) الأسطورية [١٤٦]. في حين ذهب آخرون إلى أن بانيها هو (إرم بن عاد) [١٤٧] وبه سميت. ومنهم من يقول بانيها (جيرون بن سعد بن عاد) [١٤٨]. وعند ابن منبه أن هودًا النبي دعا ربه خلق هذه المدينة كدليل نبوته بعد ان سأله قومه ذلك. وفي رواية أخرى لوهب بن منبه أن (عادًا بن رقيم) ملك قوم عاد هو من بنى مدينة ليضاهي بها جنة السماء. وقد اختلف في تحديد موضعها إلا أن الغالب من بين تلك الروايات المتباينة أنها بموضع ما جنوب الجزيرة العربية. وعلى الأكثر جهة حضرموت وهناك من ذهب إلى أنها في إحدى صحاري عدن. [١٤٩] أما المؤرخ المسعودي فقد ذهب في إحدى مروياته بعيدًا حينما أشار إلى وجود مدينة على ضفتي أحد الأنهار التي تصب في بحر الروم تدعى مدينة (إرم ذات العماد). [١٥٠]

إن مدينة إرم الأسطورية توسع في وصفها خيال الرواة وتناقلها الأخباريين وهي لا تخرج عن كونها مدينة أحجارها من الذهب والفضة وأعمدتها من الزبرجد والياقوت وحصباؤها من اللؤلؤ والمسك والعنبر والزعفران. [١٥١] أراد منها بانيها (شداد بن عاد) [١٥٢] وفي روايات أخرى (إرم بن عاد) [١٥٣] أن تضاهي على الأرض جنة السماء في حسنها وبهائها. وأنه وبعد أن أتم بناءها جمع جنوده وعبيده

---

[١٤٦] ابن حبيب، محمد، المحبر ص٣٦٤. لقمان، أساطير، مرجع سابق ص٣٦.

[١٤٧] انظر على سبيل المثال لقمان، مرجع سابق ص٣٩.

[١٤٨] موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦٠٥/٢).

[١٤٩] انظر ماكتبه لقمان، حمزة علي، أساطير، مرجع سابق ص٣٩.

[١٥٠] المسعودي، مروج الذهب (١٥٠/١).

[١٥١] يونس، عبدالحميد، معجم الفولكلور ص٥٥. باوزير، د. محمد عبد الله، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها ص٣٤.

[١٥٢] البكري، المسالك والممالك (٤٥/١).

[١٥٣] لقمان، حمزة، المرجع السابق ص٣٩.

وجواريه وخواصه وغيرهم بغية اصطحابهم معه إلى تلك المدينة للإقامة فيها. وأنه خلف على حكم حضرموت ابنًا له يدعى (مرثد) وأنهم ما إن بلغوا مشارف تلك المدينة حتى أخذتهم الصيحة فهلكوا جميعًا ولم يدخلوها فأصبحت خالية من الناس. وأن الله أخفاها عن الأبصار وهي ما زالت إلى اليوم قائمة من دون أن تحدد لنا المرويات موقعها [١٥٤].

وهناك من ذهب للقول إنها مدفونة بمنطقة ما في الربع الخالي. وآخرون قالوا في أحد المفاوز بين عدن وابين وما زال لليوم يطلق بعضهم على المنطقة الصحراوية الواقعة في جهة الشمال الشرقي من مدينة عدن بينها وبين أبين بمحاذاة الساحل اسم (إرم) كما يقال لها (العماد) وهي المنطقة التي كان ينقل منها قديما ماء الشرب إلى عدن. [١٥٥] وآخرون كما أشرت سابقا قالوا ببلاد الشام ومنهم من قال بمصر بالإسكندرية. بل وهناك من زعم أنه زارها أو رآها كما حدث في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وزيارة شخص لها يدعى (عبد الله بن قلابة) [١٥٦]. كما زعم المؤرخ ابن هشام عن وهب ابن منبه في التيجان أن (تميم الداري) رآها زمن الخليفة الفاروق [١٥٧] وغيرها من الروايات.

ونجد المؤرخ المسعودي يزعم أن جماعة من تجار اليهود في عصره غرق ذات يوم مركبهم فنزلوا في جزيرة ترابها وأحجارها وكل ما فيها من الذهب. و أنهم ظلوا في الجزيرة أياما لا يأكلون إلا السمك. إلى أن مر بهم قارب فصعدوا فيه وحملوا معهم كمية كبيرة من ذلك الذهب مما أثقل القارب وأغرقه في عرض البحر ولم ينجُ منهم إلا من كتب الله له السلامة [١٥٨].

وتزيد بعض المرويات أن (مرثد بن شداد بن عاد) بعد أن علم بما حل بوالده وقومه من مهلكة أمر بإحضار جثة أبيه إلى حضرموت مطلية بمادتي (الصبر والكافور) و أنه أمر بحفر مغارة على أحد الجبال (لم تحدد) ووضع في وسطها

---

[١٥٤] القرماني، أخبار الدول (٢٣٧/٣). البكري، تاريخ حضرموت السياسي (٣٠/١)، لقمان، مرجع سابق ص٣٩-٤٢.

[١٥٥] انظر المقحفي، معجم البلدان، مرجع سابق(٥١/٢).

[١٥٦] وهي من الروايات المشهورة في كتب الأخباريين انظر تاريخ حضرموت السياسي (٣١/١). باوزير، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها ص٣٥. وعننها أيضًا انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦٠٦/٢).

[١٥٧] وهب بن منبه، التيجان ص٤٨.

[١٥٨] المسعودي، أبو الحسن، أخبار الزمان ص٤٥.

سرير من ذهب وعلى السرير وضع جثة والده (شداد)[١٥٩]. كما وضع على شاهد قبره لوحًا ضم أبيات شعر للعظة والعبرة. ليغلق على القبر باب المغارة بإحكام.[١٦٠]

إن وجود ذلك القبر وبتلك المغارة هو ما دفع بالخيال الشحري المتفاعل جيدًا مع المرويات الخيالية للظن أنه بجبل ضبضب السابق ذكره أو قريبًا منه. كما نرى من زاوية أخرى أن الرواية التي تقول إن الجثة كانت مطلية بالصبر والكافور فيها إشارة إلى أن هذه الجثة حنطت.

وثمة إشارة وردت في (موجز دائرة المعارف الإسلامية) عند الحديث عن مادة إرم ذات العماد وتحديدا في نهايتها للقول بإن تاريخ الكشف عن قبر أسرة عاد ابن إرم قد اورده د. هـ. ميلر. ولم نقف على تفاصيل هذه الإشارة.[١٦١]

---

١٥٩ القرماني، مرجع سابق (٢٣٨/٣).

١٦٠ تاريخ حضرموت السياسي (٣١/١).

١٦١ موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦٠٧/٢).

الفصل الثاني

الديانات القديمة التي عرفتها المنطقة

الديانات الوثنية

الديانات القديمة التي عرفتها المنطقة

كما أشرت مسبقًا وبغض النظر إن كانت عبادة قوم عاد أصنامًا او أوثانًا أو على هيئة طوطمية ما أو كانت جرمًا فلكيًا أو منهما معًا. فإن الذي يهمنا وهو ماتوصلنا إليه أن أولئك الأقوام الذين سكنوا المنطقة عرفوا شكلًا من أشكال التعددية الدينية وأن مجتمعهم كان أكثر تسامحًا وانفتاحًا مع الآخر. إلى أن حسم الله سبحانه وتعالى أمر ذلك الجدل الديني لتسود المجتمع الديانة التوحيدية. ثم مالبث أن عادت الوثنية مجددًا للمنطقة وخاصة بالفترة التي عثر فيها العلماء والباحثون على عدد من الآثار والنقوش الدالة على تلك الحقب الموغلة في القدم. وعن طريقها استطاعوا كشف بعض المضامين المتعلقة بالديانات القديمة للمنطقة. وسنحاول في هذا الفصل تبيان الديانات الوثنية التي عرفتها المنطقة.

الديانات الوثنية

الثالوث الكوكبي المقدس

كانت ديانة جنوب شبه الجزيرة العربية بحكم البيئة الحضرية واستقرارية المجتمع أكثر تطورًا من ديانة وسط شبه الجزيرة العربية. إذ عرف العرب الجنوبيون عبادة الأجرام السماوية وأقاموا لها الهياكل والمعابد. والتزموا لها بالطقوس والممارسات التعبدية المختلفة بما فيها الطهارة وإيفاء النذور. كما ظهر لديهم فئة من المجتمع اختصت بعملية الإشراف على تلك المعابد والهياكل.[١٦٢]

وتكاد تكون هذه العبادة (الأفلاك والأجرام السماوية) أهم أشكال العبادات القديمة بالمنطقة وفيها كان الإله الرسمي والرئيس لمملكة حضرموت القديمة الإله (سين) [١٦٣] إله القمر. كما عبدوا إلى جانبه الشمس والزهرة ليشكلا معاً ماعرف بـ(الثالوث الكوكبي

---

[١٦٢] داؤد، جرجس داؤد، أديان العرب قبل الإسلام ص٣٢٦.

[١٦٣] د. فرانتسوزوف، سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده ص٨٢؛ وانظر الشيخ، حسين، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر، ١٩٩٣م ص٢٠٢ وص١٨٩ومابعدها؛ وللمزيد عن الإله (سين) انظر الحسني، جمال محمد ناصر، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، إصدارات جامعة عدن، ط١، ٢٠١٤م؛ والجرو، أسمهان، الديانة عند قدماء اليمنيين، مجلة دراسات يمنية العدد ٤٨ اكتوبر – ديسمبر ١٩٩٢م ص ٣٣٢. وترجمات يمانية ص١٦٨.

المقدس) وهي عبادة كانت منتشرة إلى حد كبير في معظم مناطق الجنوب العربي مع بعض التباينات الطفيفة في الأسماء والصفات والرموز. [١٦٤]

الإله سين (إله القمر):

هذا الإله يعد الإله الرسمي عند قدماء الحضارمة. وقد وصلت عبادته إلى منطقة ظفار (خورروري) بسلطنة عمان. ويقابل هذا الإله عند السبئيين الإله (أل مقه) وعند القتبانيين الإله (عم) وعند الأوسانيين والمعينيين الإله (ود). [١٦٥] كما عرف لدى قبيلة (كندة) التي سكنت قرية (الفاو) في وسط شبه الجزيرة العربية وباسم (كهل). [١٦٦]

وبالرغم من اختلاف تلك التسميات التي أطلقت على إله القمر تكاد دلالتها وطقوسها الدينية تكون واحدة أو متقاربة في جميع المناطق. [١٦٧] ويسمى الإله (سين) كما هو في حالة الإله (عم) عند القتبانيين بأسم (شقير) اي الساطع البهي. [١٦٨]

وقد عرفت مملكة حضرموت القديمة العديد من المعابد التي خصصت لعبادة الإله (سين) ولكل معبد منها تسميته الخاصة التي تميزه عن غيره، فهناك على سبيل المثال معبد (سين ذو اليم) في شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة. وفي منطقة باقطفة معبد (سين ذو حلسم) وفي حريضة (سين ذو مضيم) وفي مدينة ريبون (سين ذو ميفعان)..إلخ. كما عثر على معابد لهذا الإله في ظفار (أرض اللبان). [١٦٩]

---

[١٦٤] لمعرفة المزيد عن العبادات القديمة في اليمن والجنوب العربي بشكلٍ عام انظر الشيبة، عبدالله، دراسات في تاريخ اليمن القديم. كما يمكن الرجوع إلى بحث د. الجرو، أسمهان، الديانة عند قدماء اليمنيين. مجلة دراسات يمنية العدد ٤٨ اكتوبر–ديسمبر ١٩٩٢م.، وكتاب بافقيه، محمد عبدالقادر، التاريخ اليمني القديم؛ أو كشار، عز الدين، لمحات من التاريخ اليمني القديم ص٣٨. والحسني، الإله سين، مرجع سابق؛ عبدالكريم، منذر، دراسة في الميثولوجيا العربية: الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، المجلة العربية للعلوم الإنسانية تصدر عن جامعة الكويت العدد (٣٠) المجلد (٨) ربيع ١٩٨٨م. وغيرها من مؤلفات.

[١٦٥] عبدالكريم، منذر، الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق ص١٠٨–١٠٩. الجرو، أسمهان الديانة، مرجع سابق، ص٣٢٦.

[١٦٦] الجرو، المرجع السابق، ص٣٢٩.

[١٦٧] للمزيد عن هذه المعابد الحضرمية انظر الجرو، الديانة عند قدماء اليمنيين ص٣٤١.

[١٦٨] الشيبة، عبدالله دراسات، مرجع سابق ص٨١. وكتابه الآخر ترجمات يمانية ص١٦٩.

[١٦٩] بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم ص٤٨. الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة.

وعلى الرغم مما عثر عليه المنقبون من معابد عدة في حضرموت [١٧٠]لم تظهر تلك التنقيبات لليوم أي أثر لمعبد ما في مدينة الشحر أو حواليها خصص لهذا الإله أو حتى لغيره. ولكن من الناحية العملية لايعني هذا انعدامها لارتباط المعابد والهياكل غالبًا بالمستوطنات البشرية. كما أن عمليات الحفر والتنقيب بالمنطقة ما زالت في طورها الجنيني ولم تستكمل.

كما يلاحظ أن معظم المعابد في العربية الجنوبية كانت تشيد بعيداً عن المستوطنة بنحو كيلومتر واحد أو كيلومترين شرقًا أو غربًا وخاصة حينما يكون المعبد مشتركًا بين القبائل المجاورة للمستوطنة التي تقصده أيضًا للزيارة ونيل البركات. ولهذه المعابد قائمون عليها أطلق عليهم في حضرموت كما هو في دولة سبأ اسم (رشو) [١٧١].

والحضارمة عامة يطلقون على القمر اسم (شهر) وما زالت هذه التسمية مستعملة إلى اليوم وبالدلالة نفسها. و(الشهر) هو اسم لإله القمر عند الآراميين [١٧٢] تمامًا مثلما عرف (سين أو سن) كإله للقمر عند الاكاديين والبابليين. [١٧٣] كما ذكر أيضًا وبالاسم نفسه في مدينة (يحا) بالحبشة [١٧٤] وهذه على جبالها وجبال (هاولتي) وجدت رسوم عدة للوعول ووجدت أيضًا صور للثور على جبال (مطرة). وماهذه الرسومات إلا رموز لإله القمر المقه عند السبئيين والإله سين عند الحضارمة. [١٧٥]

كما عثر على عدد من العملات الحضرمية القديمة منقوش على أحد وجهي تلك العملات إله القمر[١٧٦] في دلالة واضحة لما يتمتع به هذا الإله الأثير من مكانة كبيرة في نفوس معتنقيه الحضارمة.

---

١٧٠ الجرو، المرجع السابق ص٣٢٩؛ ولتفصيل أكثر انظر الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، مرجع سابق.

١٧١ الحسني، الإله سين، ص١٥٢؛ عبد الكريم، الديانة الوثنية، مرجع سابق ص٨٢، ص١٢٦

١٧٢ ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ص٣٢٦.

١٧٣ الجرو، الديانة، مرجع سابق ص٣٣٢.

١٧٤ عبد الكريم، منذر، الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة ص١١٣.

١٧٥ الجرو، أسمهان، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مج٢، العدد ٣، يناير–يونيو ١٩٩٩م، ص٣٦.

١٧٦ للمزيد عن هذه العملات الحضرمية القديمة المكتشفة انظر ولكر، جون، إله القمر في العملة الحضرمية، ترجمة د. خالد عوض بن مخاشن، مجلة حضرموت الثقافية،العدد (٥) محرم ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص٤٠.

وقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى أن الآله (سين) هذا إنما هو اسم لصنم رجحه بعضهم على أنه من أصنام قوم عاد. وهذا يخالف ماذهب إليه الأثريون في اكتشافاتهم. فعلى سبيل المثال أشار المؤرخ (محمد بن أحمد الشاطري) عند حديثه عن ديانة قدماء الحضارمة (قوم عاد) للقول: ((أما ديانتهم فهي عبادة الأصنام ومما أشتهر منها أو لعله أشهرها الصنم (سين) معبودهم إذ ذاك..)). [١٧٧] كما أشار المؤرخ (صلاح البكري) إلى أنه في سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م كشف سيل كبير عن مجموعة من الاصنام بحضرموت ترجع لعهد عاد. [١٧٨]

حقيقة ليس بالضرورة أن يكون قصد أولئك المؤرخين أثناء تحديدهم للفترة الزمنية لتلك الأصنام بفترة قوم عاد التي هي في الأصل مجهولة زمنيًا. وانما هي عادة درج عليها مؤرخو الحضارمة من نسب كل ماهو قديم إلى قوم عاد وتسميته بـ(العاديات) حتى وإن كان ذلك الأثر سبئيًا أو حميريًا وهو قريب زمنيًا لهم مقارنة بزمن أقوام عاد.

وفي المأثورات الشعبية وهو مايهمنا هنا كثيرًا ماتتكرر لفظة (ياسين) على ألسنة الناس كقول العامة والنساء على الغالب (ياسين عليك) بمعنى يحفظك ياسين أو بمعنى أدق (يحفظك الإله سين) وإن كان الكثير لا يعلمون مدلولها. وقد فسرها بعضهم على أنها من بقايا تلك الاعتقادات القديمة المرتبطة بالإله سين [١٧٩]. ومثل هذا الاعتقاد موجود كذلك لدى الظفاريين في عمان [١٨٠]. وقد ذكر المؤرخ أحمد الملاحي في كتابه (المذكرة التاريخية) (مخطوط) قوله: ((كان للحضارم صنمان ولكثرة تعظيمهم بقى ذكر اسمهما بعد اختفائهما قبل الإسلام بقرون مجهولة وجاء الإسلام وذكرهما على ألسن الحضارم بدون تعقل وتنبه للكلمتين التين تصدران من ألسنتهم عندما يريدون المطر – أو – عندما يترحمون على أحد أو يثنون عليه. وتوارثها البنون والأحفاد جيلًا بعد جيل. وهل تدري ماهذان الاسمان ؟ هما قولهم لمن به وجع: يا السِّيْن عليك. وقولهم عندما يريدون المطر: ياحَوْل – ياحَوْل. حَوْلاه. فالحضارم ينطقون بهذه الكلمات ولم يعلموا أصل معنى الكلمتين. ولو علموا أن هذين اسمان لصنمين لكرهوا النطق بها. وما عرفنا ذلك إلا بعد التنقيب في حضرموت فعثروا في الآثار القديمة على صنمين مكتوب على أحدهما (سين) وعلى الآخر (حول) ومكتوب معهما تعليمات وتاريخ على شأن هذين الصنمين ومزية كل

[١٧٧] الشاطري، محمد أحمد، ادوار التاريخ الحضرمي (٤٧/١).
[١٧٨] البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي (٧١/١).
[١٧٩] بافقيه، محمد، الديانة في الممالك الجنوبية القديمة، مجلة الرسالة التربوية، العدد الأول، السنة الثالثة، تصدرها إدارة المعارف، المكلا، ١٩٦٤م ص٢٨.
[١٨٠] الشحري، علي، لغة عاد. ص١٨١.

منهما: فالنصر والصحة ونحو ذلك من خصائص (سين) والمطر ونحوه من خصائص (حول)..)) [١٨١].

في حين ذهب المؤرخ الشاطري سابق الذكر للقول إن هذه اللفظة (ياسين) التي ما زال الحضارمة ينطقونها ويتعاملون بها أن المقصود بها عندهم هي (سورة ياسين) [١٨٢] إحدى سور القرآن الكريم اعتقادًا منهم أنها حافظة للإنسان.

ومن العادات التي اختفت حديثًا ولعلها من رواسب الماضي السحيق المرتبط بعبادة القمر أن بعض الأهالي وخاصة في ليالي الخامس عشر من الشهر العربي حيث يكون البدر مكتملًا. يصعد الآباء إلى أسطح منازلهم مصطحبين معهم أطفالهم الصغار ويضعون أمامهم فنجانًا به ماء ويظل الجميع يراقبه إلى أن ترى داخل الفنجان صورة القمر المنعكسة. يفعلون هذا وهم يرددون: (يا شطاطا، هاتي القاقا، في الفنيجان المغطى) وبعد ظهور صورة القمر المنعكسة على الفنجان يطلب الآباء من ابنائهم أن يتمنوا مايشاؤون من هدايا أو طعام مؤكدين لهم بإيجادها في الفنجان في الصباح الباكر. وقد يقوم بعض الآباء بوضع هدية أو طعام في هذا الفنجان أو قريبًا منه ليجدها طفلهم في الصباح الباكر فيعتقد أن أمنيته حققها لهم القمر. [١٨٣] كما يلاحظ اعتقاد بعضهم في الأطفال المولودين مختونين أو شبه مختونين بأن القمر من قام باختتانهم وهم في بطن أمهاتهم. ومثل هذا في وقتنا يقال للأطفال على سبيل الدعابة إلا أنه يخفي تصورات قديمة اعتقدها الكبار.

ومما يؤكد هذا أن هذا التصورنفسه موجود لدى بعض القبائل الظفارية وبالمعنى نفسه.[١٨٤] إلى جانب ماراج في كلتا المنطقتين من إدعاء الأمهات للأطفالهن أن موت الاطفال الرضع خاصة سيذهبون إلى القمر. [١٨٥] وحديث موت الرضع يقودنا إلى اعتقاد سائد بأن هؤلاء الرضع سيشفعون لآبائهم يوم القيامة كما يسقونهم الماء في الجنة.

---

١٨١ الملاحي، أحمد عبدالقادر، المذكرة التاريخية الشحرية،(مخ) ص٤٤٦.

١٨٢ جاء في هامش كتابه في هذا الشأن قوله: ((ومما يلاحظ أن بعض الصحف المحلية نشرت عن قول العامة (ياسين عليك) وقولها (ياحول ياحول) أن القصد بهما صنمان والواقع أنها تقصد سورة يس وتقصد تحسن الحول عند المطر بأن يمطر ويخصب الزرع فيه)). الشاطري، محمد أدوار التاريخ الحضرمي (٤٧/١).

١٨٣ بايمين، سعيد، دراسات، الأساطير والحكايات الشعبية، ص٦٩.

١٨٤ يقال في اللغة الشحرية للطفل الذي يولد مختوناً أو شبه مختون بـ(ختنوتش أريت) أي ختنه القمر، وأريت في اللغة الشحرية بمعنى القمر. الشحري، علي أحمد، لغة عاد، مرجع سابق ص٣١٠.

١٨٥ ادعاء الأمهات لأطفالهن في ظفار بأن موت الطفل الرضيع يعني ذهابه للقمر، الشحري، لغة عاد، ص٣٣٣.

وجاء في أحد كتب الطب الشعبي المحلية المسمى بـ(مجربات باهرمز) لمؤلفه (سالم بن أحمد باهرمز) (ت: ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) وهو من مواليد مدينة الشحر وفي إحدى فقراته: أن لعلاج وجع الضرس النظر إلى الهلال لحظة طلوعه ويتبعه مباشرة الحلف بـ(إله القمر) أن لا يأكل في هذا الشهر لحم فرس أوهندبا. [١٨٦] إذ تستوقفنا هنا لفظة الحلف (القسم) فهل المقصود بها بـإله القمر وهنا القمر كإله. أم أن المقصود بالحلف بـ(إله) أي رب القمر وهو الله سبحانه وتعالى.

ويلاحظ عند قدماء الحضارمة أنهم في الغالب لايصورون آلهتهم على شكل أصنام أو تماثيل بشرية بالرغم مما تلعبه تلك الديانات القديمة من أدوار في حياتهم اليومية. وإنما يكتفون في الغالب برسم أو نحت رموز بسيطة لها كشكل الهلال أو قرص الشمس.[١٨٧] أو نحت صور حيوانات تمثل في غالبها الإله القمر كصور الوعل أو الثور وأحيانًا النسر.

وعلى الرغم من ذهاب عدد من الباحثين إلى أن القمر يعد من الأسماء المذكرة في حين أن الشمس مؤنثة. فالشائع في أسماء الأعلام عند الحضارمة أن أسم (قمر) من دون أل التعريف، تسمي به النساء فقط. ولا يوجد فيهم رجل واحد سمي قمر من دون أل التعريف أو حتى القمر معرفًا. أما اسم شمس فلا يوجد في أسماء الذكور ويندر في الإناث. أما الزهرة (زهرة أو زهراء) فهي من الأسماء الشائعة في حضرموت وخاصة الاسم زهراء وليس زُهرة.

وإلى جانب إله القمر (سين) كإله رسمي عبد الحضارمة أيضًا إله الشمس الآلهة الحامية للعائلة والإله عشتر أو عشتار (الزهرة). وهي تشكل معًا (الأب – الأم- الابن).

عبادة الشمس

وبالنسبة لعبادة (الشمس) فقد عرفها الحضارمة وعبدوها أسوة بغيرهم. وقد ورد ذكرها إلى جانب الإله (سين) إله القمر. ونجد في بقية نقش بشبوة (عاصمة

---

[١٨٦] جاء في الكتاب مانصه: ((فائدة: لوجع الضرس قال بعض الحكماء (الماهرين) إن من نظر الهلال قبل أن يرأسه أولا وحلف (بإللاه) القمر أن لا يأكل في هذا الشهر لحم فرس ولا هندبا أمن فيه من وجع الاسنان مجرب)). باهرمز، سالم، مجربات باهرمز المسمى بكتاب الطب، تحقيق عادل حاج باعكيم، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٦م ص٤٠-٤١.

[١٨٧] بافقيه، محمد الديانة في الممالك الجنوبية القديمة ببلاد العرب مجلة الرسالة التربوية، العدد الأول، السنة الثالثة، تصدرها إدارة المعارف، المكلا، ١٩٦٤م ص٢٥.

مملكة حضرموت القديمة) وورود اسمها في صيغة (ذات حميم، وذات حسول). و((الصيغة الثانية تتطابق مع صيغة ذات بعدان السبئية وذات حنث القتبانية من حيث المعنى))[188]. وهذه الآلهة ربما تسربت للحضارم من دولتي سبأ وحمير اللتين امتد سلطانهما لحضرموت والشحر في عهد ملوكها التبابعة. أو من خلال الاحتكاك الجغرافي المباشر مابين هذه الممالك القديمة مع بعضها في حالات السلم.

وقد ذكر القرآن الكريم أن أقوام مملكة سبأ كانوا يسجدون للشمس. قال تعالى على لسان هدهد سليمان: ((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)) سورة النمل الآيات (٢٣-٢٤). وفي سورة فصلت يقول الله عز وجل: ((وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)) سورة فصلت الآية ٣٧.

وقد ذهب بعضهم للقول إن عبادة الشمس أول ماعرفت عند العرب عرفت عند السبئيين وانتقلت عنهم إلى سائر المناطق المجاورة بما فيها البلدان البعيدة كالحبشة وبلاد الشام [189]. وقد تسمت العرب بالشمس مضافًا إليها العبودية فقيل (عبدشمس، عبشمس، عبدالشارق). وفي هذا قيل إن العرب إذا سموا ابناءهم نسبة إلى الشمس كإله قالوا عبد شمس. أما إذا قصدوا به (صنم) معبود الشمس فيقال عبشمي [190]. وقد قيل إن أول من سمي من العرب بعبد شمس هو (سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود) لأنه أول من عبد الشمس [191] وهو كما قيل الباني لسد مأرب [192].

ويمكن القول هنا بناء على ما جادت به المرويات الإخبارية إن فترة ظهور هذه العبادة (الشمس) لدى السبئيين قد سبقت بمراحل الفترة التي ظهر فيها النبي سليمان عليه السلام وملكة سبأ (بلقيس). أي أن ظهورها كان في فترة ماقبل القرن العاشر قبل الميلاد. وحكم السبئيون في هذه الفترة امتد إلى حضرموت والشحر بناء على بعض الروايات الإخبارية. ويذهب بعضهم للقول إن الحضارمة عرفوا هذه العبادة في فترات متأخرة كمحاولة منهم تفسير انتقال تلك الآلهة السبئية (الشمس) إلى

---

[188] الشيبة، دراسات، مرجع سابق ص٨١.

[189] الجارم، أديان العرب في الجاهلية ص١٨٧.

[190] الكرملي، الأب انستاس، أديان العرب وخرافاتهم ص٤٥.

[191] الكرملي، المرجع السابق ص٤٦؛ داؤد، جرجس، أديان العرب قبل الإسلام ص٩٠.

[192] التيجان ص٥٨.

حضرموت. وهي العبادة التي استمرت كذلك في مملكة حمير إلى أن هودهم كما قيل ذو نواس الحميري [١٩٣]. ومن المرجح أن السبئيين في تلك الفترة التاريخية (القرن ١٠ ق: م) كانوا قد تحولوا من عبادة الشمس إلى الديانة التوحيدية على يد النبي سليمان عليه السلام.

وقد زعم الرحالة (آلان فليبرز) أثناء زيارته لمدينة الشحر أواخر سنة ١٩٤٨م أن الملكة بلقيس المشار إليها. هي من ابتنت المدينة وبها ابتنت أسطولها البحري الكبير.[١٩٤] وروايتة هذه لايعتد بها فهي مجرد رواية من الروايات الأسطورية المتداولة في المنطقة. خاصة وأنه يعترف أن هذه المعلومة تحديدًا قد أخذها من أحد نواخذة السفن الكويتية ممن يرتادون بسفنهم الشراعية هذه المدينة. وقد ناقشنا هذه الأسطورة في كتابنا (المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام) وفيه ذهبنا إلى أن أسطورة الملكة التي كانت تحكم المدينة (الشحر) ربما ألتبست على ذلك الراوي الكويتي الذي حتمًا سمع خبرها من رفقائه الملاحين والبحارة الشحريين لينقلها بصورة محرفة إلى فليرز. هذا إن لم نقل إنها من إبتداع خيال فليرز الواسع. إذ شاع ضمن المتواتر من أساطير وأخبار المدينة أن ملكة قضاعية تدعى (سمعون) كانت حاكمة على المنطقة قبيل الإسلام بقرون وقد جعلت من موقع المدينة (الأسعاء) مركزًا لحكمها [١٩٥]. وسنأتي لهذه الأسطورة وبتفصيل ضمن السياق.

ومن أسماء الملكات العرب اللاتي ذكرن في بعض الحوليات الأشورية الملكة (شمسي) (شمس) في القرن الثامن قبل الميلاد.

وعن عبادة الشمس بحضرموت ذهب المؤرخ الحضرمي صالح بن حامد العلوي بالقول: ((فالظاهر أنها كانت في العصور الماضية بالقسم الساحلي منها أكثر بل استمر عندهم تعظيم الشمس والسجود لها إلى العهد الإسلامي على ماحكى أبو الحسن الهمداني، فقد ذكر في أهل البراري من مهرة أنهم كانوا سليمي الصدور

---

[١٩٣] داؤد، جرجس، أديان العرب قبل الإسلام ص٣٣٧.

[١٩٤] فليبرز، آلان، أبناء السندباد، ص١٣١. ويبدو أن الطبيبة إيفا هويك قد اطلعت على هذه الأسطورة إذ نفت في كتابها (سنوات في اليمن وحضرموت) وصول ملكة سبأ (بلقيس) إلى حضرموت.

[١٩٥] لتفصيل هذه الأسطورة انظر بامطرف، محمد عبدالقادر، قبيلة قضاعية.

رحماء القلوب محبين لعلم النجوم يعظمون الشمس ويسجدون لها)) [١٩٦] وحقيقة هذا النص أوله الحامد بما لايحتمل قصده إذ كانت صيغة الهمداني على العموم[١٩٧].

والكثير من الحضارمة كما ذكر بعض المؤرخين عبدوا في عصورهم القديمة (الشمس) واطلقوا عليها تسمية (الإلاهة)[١٩٨] بقصد تعظيم هذا الجرم وعبادته. وهذه التسمية (الإلاهة/الإهة) [١٩٩] وعبادة الشمس عرفتها غالبية شعوب شبه الجزيرة العربية [٢٠٠]. إذن فهي ليست مقتصرة على الحضارم وحدهم أو العرب الجنوبيين. كما عرف عبادتها أيضًا المصريون القدماء والفرس المجوس وكذلك الصابئة عباد الكواكب والنجوم واليونانيين [٢٠١]. وقد جاء في أحد القصائد ذكر للفظة الإلاهة [٢٠٢]:

تروحنا من اللعباء عصـــــرا   واعجلنا الإلاهة أن تؤوبـا
على مثل ابن مية فـــــانعياه.   تشق نواعم البشر الجيوبا

أما الشاعر الأعشى فيقول في إحدى قصائده:

فلم اذكر الرهب حتى انفتلت   قبيل الإلاهة منها قريبا.

كما روي عن الشاعر أمية بن أبي الصلت وهي من المآخذ التي أخذت عليه قوله:

والشمس تطلع كل آخر ليلة   حمراء مطلع نورها متورد
تأبى فلا تبدو لنا في رسلها   إلا معذبـــــة وإلا تجلــــد.

وجاء في مادة (شمس) عند ياقوت الحموي: ((شُمْس بضم أوله صنم كان لبني تميم وكان له بيت وكانت تعبده بنو أد كلها: ضبة وتيم وعدي وثور وعُكل، وكانت سدنته في بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن

---

[١٩٦] العلوي، صالح الحامد، تاريخ حضرموت (١/٥٥).

[١٩٧] كتب الهمداني في صفة جزيرة العرب: ((.... وأما من كان في بلاد فونيقي يريد اليمن وبلاد تدمر وأصحاب البراري يريد مهرة فهم يشاكلون الأسد والشمس، ولذلك صاروا سليمي الصدور رحماء القلوب، محبين لعلم النجوم، يعظمون الشمس خاصة من بين جميع النجوم ويسجدون لها)). الهمداني ص٧٣.

[١٩٨] السقاف، عبدالرحمن، إدام القوت ص٢٨٩.

[١٩٩] انظر ابن منظور، لسان العرب، (٤٦٨/١٣).

[٢٠٠] الجارم، محمد نعمان، أديان العرب في الجاهلية ص١٨٨.

[٢٠١] انظر سعيد، حبيب، أديان العالم ص٣٧؛ الجارم، أديان العرب في الجاهلية والإسلام ص ١٨٤، ١٩١.

[٢٠٢] قيل إنها لمية بنت ام عتبة بن الحرث، وقيل لبنت عبدالحرث اليربوعي، وقيل لنائحة عتيبة بنت الحرث، وقيل لأم البنين بنت عتيبة بن الحرث. ابن منظور، مرجع سابق (٤٦٨/١٣).

عمرو بن تميم فكسره هند بن ابي هالة وسفيان بن أسيد بن حلاحل بن أوس بن مخاشن)) [٢٠٣]. ونلاحظ في هذا النص ورود عدد من أسماء القبائل كـ(بني تميم، ضبة، بن مخاشن) وهي أسماء لقبائل وجدت بحضرموت أيضًا. كما عبدت الشمس قبائل ثمود [٢٠٤] وجماعة من بني عذرة. كما انتسبت بعض القبائل للشمس كبني شمس وهم من كنانة عذرة من كلب من قضاعة [٢٠٥]. وقضاعة من أعرق القبائل التي سكنت المنطقة قبل هجراتها عبر العصور. وعن الصنم ذريح (ذرح) كما ببعض المؤلفات فقد عبدته كندة وموقعه حصن النجير.[٢٠٦] ويقال إنه يرمز إلى آلهة الشمس الأنثى.

ولا يعني في إشارتنا السابقة كون الشمس صنمًا. أن هذا الصنم يعبد لذاته وإنما اعتقادًا لتجسد إله الشمس فيه. وكذلك الحال مع أصنام القمر وغيرها.

وآلهة الشمس عند الحضارمة تسمى في النقوش (ذات مسولم) ويعني بها شمس الشتاء. [٢٠٧] والحيوانات التي رمزت لآلهة الشمس فهي اليعبوب وهو الفرس السريع الطويل، والأسد، والنسر. أما رموز هذه الآلهة فهي قرص الشمس أو دائرة أو كتلة أو هالة.

والحضارمة ككل الممالك العربية الجنوبية القديمة يؤنثون الشمس التي يرمز لها في ديانتهم بالأم. بينما القمر مذكر ويرمز للأب. ويعد بحكم طبيعته الذكورية كبير الآلهة. في حين اعتبر كوكب الزهرة (عثتر) الابن الذي جاء من تزاوج الشمس والقمر. وهذا هو الثالوث الكوكبي السابق الذكر. وقد جسد هيرودتس صفات وملامح هذا الإله على أساس أنه إله الحب مثله مثل فينوس اليوناني والروماني.
كما يلاحظ أن القمر لدى كل الشعوب السامية مذكر. وفي الحين الذي جعل عرب الجنوب الشمس مؤنثًا. جعلها الشماليون مذكرًا. أما الابن (الزهرة) فهو عند العرب الجنوبيين مذكر بينما عند العرب الشماليين مؤنث [٢٠٨].

ومن اعتقادات العرب في الشمس أنه وبزمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كسفت الشمس وصادف وقتها وفاة إبراهيم (ابن رسول الله) فقيل إنها كسفت لوفاة

---

[٢٠٣] الحموي، ياقوت، معجم البلدان (٣٦٢/٣).

[٢٠٤] الديانة الوثنية في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام ص١١٦.

[٢٠٥] بامطرف، الجامع ص٢٦٨.

[٢٠٦] كشار، عز الدين، لمحات، مرجع سابق ص٤٤.

[٢٠٧] الديانة الوثنية في جنوب الجزيرة، مرجع سابق، ص١١٥.

[٢٠٨] بافقيه، محمد عبد القادر، الديانة في الممالك العربية الجنوبية ببلاد العرب.، ص٢٣-٣١.

إبراهيم اعتقادًا أن كسوف الشمس لا يحدث إلا لوفاة أو حياة عظيم. فكان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعو الله)) [٢٠٩]. كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند شروق الشمس وعند غروبها وفي وسطها. لأن هذه الأوقات يسجد فيها الوثنيون (عبّاد الشمس) لها. فكره لذلك قطعًا لمشابهة الكفار ظاهرًا وسدًا لذريعة الشرك. [٢١٠] يقول رب العزة في كتابه العظيم: ((وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)) سورة فصلت الآية ٣٧.

ومن كل هذا نستشف أن لعبادة الشمس صلاة خاصة بها وإن كنا لا نعرف الكثير عنها ولا عن ابتهالاتها وتراتيلها وأدعيتها. بإستثناء تلك الترنيمة الشهيرة التي كشفتها لنا بعض النقوش والتي عرفت بـ(ترنيمة الشمس) [٢١١]. أو فيما اختزنته لنا الذاكرة الجمعية من ممارسات وسلوكيات يتجلى فيها التوجه نحو الشمس والتضرع لها أو للآلهة الوثنية الأخرى. [٢١٢]

وحقيقة الأمر تلك الترنيمة المشار إليها آنفًا لا نستطيع القول عنها إنها حضرمية. فمكتشفها وهو عالم الآثار الدكتور (يوسف محمد عبد الله) أكد أنها حميرية. كما أن اكتشافها سنة ١٩٧٧م كان بالمنطقة الخاضعة للنفوذ الحميري وتحديدًا في وادي (قانية) بناحية السوادية بمحافظة البيضاء. إلا أنه وكإفتراض نقول بما أن الآلهة واحدة في المنطقتين وإن اختلفتا في التسمية. وبما أن تلك العبادة للشمس قدمت لحضرموت من دولة حمير فهذا لا يمنع أن ينتقل معها ترانيمها وتراتيلها وصلواتها.

---

[٢٠٩] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وعليه تعليقات لعبدالعزيز بن باز وعبد الرحمن البراك، اعتنى به أبو قتيبة انظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٥م (٣/٤٠٠).

[٢١٠] الجارم، أديان العرب في الجاهلية ص١٨٧.

[٢١١] نشرت هذه الترنيمة التي اكتشفها الدكتور يوسف محمد عبدالله في مجلة ريدان الصادرة عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف – عدن. العدد الخامس لعام ١٩٨٨م. وقد صاغ تلك الترنمية شعراً سليمان العيسى؛ كما نشرت بعدها بعنوان (ترنيمة الشمس) من إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٨٩م؛ وعنها أيضًا انظر الملاحي، عبدالرحمن، الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص ثعين والحموم ص٦٩.

[٢١٢] انظر للتفصيل، الملاحي، الدلالات الاجتماعية، مرجع سابق ص٦٩ ومابعدها.

وتلك الترنيمة التي أشار إليها العالم الأثري يعود تاريخها إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي. وهي عبارة عن ابتهالات واستغاثات ورجاء إلى آلهة الشمس. وثمة قصائد حضرمية متوارثة مشابهة لترنيمة الشمس هذه من حيث الشكل وتنوع المقاطع والمضمون مع اختلاف بسيط بالموضوع وهذه خلفتها لنا ذاكرة بعض رجال القبائل المشقاصية الساكنة بحضرموت كقبائل (ثعين/الحموم). ما يرجح تقارب اللون الأدبي/الديني السائد في المنطقة عمومًا في تلك الفترات [٢١٣]. وسنختار هنا بضعة أبيات من تلك الترنيمة الشمسية وخاصة من الابيات التي قام بإعادة صياغتها شعرا فصيحًا سليمان العيسى: [٢١٤]

نستخير بك ياخير فكل مايحدث هو مما صنعت
بموسم صيد خنـــوان مائة أضحية سفحـــــت

إلى أن جاء فيها مخاطبًا إله الشمس:

الحمد يا خير على نعمائك التي قــــــــدرت
وعـــــــدك الذي وعدت به أصلحــــــت
اعتنــــــــــنا يا شمس إن أنت أمطـــرت
نتضـــرع إليك فحتى بالناس ضحيـــــــت.

كما أن لتلك العبادة أوقات محددة إما في الصباح الباكر أثناء طلوع الشمس. أو وقت الظهيرة حينما تتوسط هذه الشمس كبد السماء أو لحظة غروبها في المساء.[٢١٥]

ويمكن هنا أن نشير إلى مايقوله أبناء قبيلة الشحري الظفاريين عند شروق الشمس أو غروبها، فعند شروقها في الصباح يقال باللغة الشحرية: (ذروور ذرور الله يكفي الشر والظرور (الضرر)) وإذا غابت في المساء يقال: ((يغبيغذ شيش كل عييب شن)).[٢١٦]

---

[٢١٣] الملاحي، عبدالرحمن، المرجع السابق، الصفحات نفسها.

[٢١٤] مجلة ريدان الصادرة عن المركز اليمني للابحاث الثقافية والآثار والمتاحف – عدن. العدد الخامس لعام ١٩٨٨م.

[٢١٥] عبدالكريم، منذر، الديانة الوثنية، مرجع سابق ص١٢٥؛ الجارم، أديان العرب في الجاهلية ص١٨٧.

[٢١٦] انظر الشحري، لغة عاد ص٣٢٤.

تجليات عبادة الكواكب على النطاق الشعبي:

لقد ظلت بعض رواسب تلك العبادات عالقة في وجدان الأجيال يمارسها الناس اليوم كنشاط لا واعٍ وبصورة عفوية. فإلى جانب ماتردده النساء خاصة من لفظة (ياسين) التي تحدثنا عنها سابقًا وكذلك الحديث عن نشيد الشطاطا ومستقر الأموات من الرضع في القمر. نجد أيضًا صوراً أخرى لاتزال بقاياها حاضرة منها كأن يطلب الأبوان من طفلهم الذي سقط عليه أحد أسنانه، الاحتفاظ بها للاستيقاظ مبكرًا واستقبال عين الشمس (الشمس) لحظة طلوعها. وأن يمسك بطرفي السبابة والإبهام بتلك السن المخلوعة ويلوح بها نحوها، ثم يدير لها ظهره ويرميها في وجهها (عينها) كشرط ضروري. وأثناء آدائه هذه الطريقه عليه أن يردد مرات عدة الجملة الآتية:

(ياعين الشمس شليه ورجعيه) وبرواية أخرى (ياعين الشمس شليه وهاتي خير منه). أن لفظة (شليه) في اللهجة الشحرية (الحضرمية) تعني (خذيه) بينما لفظة (رجعيه) من الرجوع أي أعيديه.[٢١٧] وهذا اعتقاد أن الشمس هي المسؤولة عن إعادة نبته مرة أخرى سليمًا ناصعًا مافيه اعوجاج أو فلج. وهذا السلوك وجد مثيله عند قبائل الشحري في ظفار عمان وعندهم يقول الطفل:((يا شمس أبدليني بأحسن منها بواحدة من ذهب وأخرى ذات أخاديد جميلة))[٢١٨]. وكسلوك مشابه ببعض البلدان يقال: ((ياشمس ياشموسة خذي سنة الجاموسة وهاتي سنة العروسة)) [٢١٩]. أو يقال ((أبدليني بسن أحسن منها ولتجر في ظلمها آياتك)).[٢٢٠]

إن في مثل هذه السلوك المتجسد تعظيماً وتقديساً للشمس وكأنها هي المسؤولة عن النمو. يعد امتداداً لاعتقادات وتصورات عرفها العرب في جاهليتهم. فهذا الشاعر الجاهلي (طرفة بن العبد) يقول في إحدى قصائده:

شادن يجلو إذا ما ابتسمت	عن أقاح كأقاح الرمل غــر
بدلته الشمس من منــــــبته	بردًا أبيض مصقول الأشـر

---

[٢١٧] عن هذا الاعتقاد عند العرب انظر على سبيل المثال أديان العرب في الجاهلية ص١٨٩؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٨٦/١٢).

[٢١٨] الشحري، لغة عاد، ص٣١١. ويقال باللغة الشحرية: ((تخلوف بيس طيت ذ طييب بطيت ذ شغلني)). المرجع المذكور، الصفحة نفسها.

[٢١٩] سيد أحمد، عبدالحكيم خليل، دراسات في المعتقدات الشعبية ص٤٨؛ أديان العرب في الجاهلية ص١٩٠.

[٢٢٠] جواد، المفصل في تاريخ العرب (٣٨٦/١٢).

ويقول شاعر آخر واصفًا ثغر محبوبته:

سقته إياه الشمس إلا لثاته   أسف ولم تكدم عليه بإثمد.

وإذا كان توجه العرب عند فقدان أسنانهم إلى الشمس رغبة منهم في أن تعيد لهم اسنانهم ناصعة البياض وقوية. نجد مايشبه هذا التوجه لدى غير العرب ولكن ليس إلى الشمس وإنما إلى الفئران أو غيرها لاعتقادهم بقوة سن الفأر مقارنة بسن الإنسان. وقد أشار العالم (جيمس فريزر) في كتابه الشهير (الغصن الذهبي) لمثل هذه الممارسات التي عدّها من مبادئ (السحر التشاكلي) فالألمان كما أشار يضعون الأسنان المنزوعة خلف الموقد أو يقذفون بها من فوق رؤوسهم وراء ظهورهم ويقولون: (أيها الفأر، أعطني سنك الحديدية الصلبة وخذ بدلًا منها سني المصنوعة من العظم) وهم يعتقدون أن هذا الفعل كفيل بجعل أسنان المرء قوية وبيضاء على الدوام.(٢٢١)

وتشابهها في هذه الممارسات مايفعله أهالي (رارا تونجا) في المحيط الهادي حيث يردد الناس: (أيها الفأر الكبير.. أيها الفأر الصغير.. هذه سني القديمة خذاها وأعطياني بدلًا منها سنًا أخرى جديدة). ثم يلقي بالسن بعد ذلك فوق سطح منزله المغطى بالقش حيث تقيم الفئران جحورها هناك (٢٢٢).

ومن المظاهر الأخرى لتجليات تقديس الشمس وارتباطها بالنمو مايعرف بـ(التشريقة) أي قيام الأهل بتعريض أبنائهم المولودين حديثًا لأشعة الشمس لحظة بزوغها وتركهم معرضين لأشعتها مدة تتراوح مابين (١٥-٢٠) دقيقة. اعتقادًا بأن الشمس ستساعد أبناءهم على النمو وتقوية عظامهم الهشة.

كما استمر إلى فترات متأخرة تعليق (سن ثعلب) أو سن هرة على عنق الصبي كحرز للوقاية من العين أو الحسد. والواحد لو تأمل سن الثعلب تلك لوجدها تشبه الهلال (٢٢٣) المعبود الوثني القديم للحضارمة. وكذلك مايفعله بعضهم من تركيب قرن الوعل (تيس الجبل) بعد صيده في أركان البيت أو على مدخل المنزل.

---

[٢٢١] فريزر، جيمس، الغصن الذهبي ص١٨٤.

[٢٢٢] المرجع السابق ص١٨٥.

[٢٢٣] بافقيه، محمد، الديانة في الممالك الجنوبية القديمة ببلاد العرب، ص٢٩؛ وأيضاً كتابه تاريخ اليمن القديم ص٢٠٦.

وهو مظهر آخر لشكل الهلال. كما أن العقد التقليدي المصنوع غالبًا من الفضة وكان زينة للنساء الشحريات والحضرميات عامة يتخذ في وسطه أشكال مختلفة للهلال وأحيانًا هلال ونجمة. وعلى مايبدو أنه مرتبط بتلك العبادة القديمة أو بتأثير لاحق للنفوذ العثماني.

إن مثل هذه الممارسات وغيرها وإن كانت لها جذورها الوثنية ظل الناس يمارسونها كما اشرت بصور عفوية وغير واعية وإن اكتسب بعض منها مع مرور الوقت دلالات أخرى بعيدة عن ارتباطاتها الأولى بالوثنية. كأن تكون عملية وضع قرن الوعل على أحد أسطح البيت الخارجي لدلالة اجتماعية ترتبط بالمركز الاجتماعي وبالتباهي والتظاهر بالفروسية وليس وفقًا لتصورات وثنية سابقة.

وعن أسماء الأسر أو القبائل الحضرمية المشتقة من الشمس نذكر على سبيل المثال بامشموس، بأنهار، مشيرق، ضاوي. وقد أشرت مسبقاً لاحد الفروع القضاعية (بنو شمس). كما يلاحظ حديثاً خلو اسم الشمس في أسماء الحضارمة. بعكس القمر إذ نجد بدر، هلال، منير وهي من الأسماء المذكرة الشائعة. والغريب أن اسم (قمر) من دون آل تسمي به النساء في حضرموت ويعد من الأسماء الشائعة وقد أشرت لهذا مسبقاً. ويلاحظ أيضاً أن اسم (زهراء) وهو اسم مؤنث لا تسمى به إلا النساء وهو شائع بينهن. في حين أن (زهرة) أو(الزهرة) وفقاً للثالوث الكوكبي الحضرمي مذكر في الغالب وهو يمثل الأبن. ولا عجب إن لم تُسمَّ به النساء. كما لم يسمي به الذكور أيضاً.

الإله عشتار (عثتر) عند الحضارمة:

ان الثالوث الكوكبي الأخير إلى جانب الشمس والقمر لدى قدماء الحضارمة هو الكوكب الابن كوكب الزهرة أو كما تسمى (نجمة الصباح). وبعضهم يزعم أنه كوكب (الثريا) إلا أن الثريا ليست من النجوم الجنوبية. وإنما شمالية ويقابلها في الجنوب سهيل. وقد جاء هذا الإله الابن عند الحضارمة تحت اسم (عشتار) بينما هو عند المعينيين (فينوس) والسبئيين (عثر). أما القتبانيون والأوسانيون فجاء عندهم بأسم(عثتر) [٢٢٤] وهو نفسه الاسم الذي وجد في النقوش الأكسومية بالحبشة قبيل انتشار المسيحية فيها. [٢٢٥]

---

[٢٢٤] عبدالكريم، الديانة الوثنية في جنوب شبه الجزيرة ص١٠٨.

[٢٢٥] المرجع السابق ص١١٧.

وقد عثر على معبد للإله عثتر في مستوطنة السفيل ٢ في وادي العين بحضرموت. [٢٢٦]

والإله عثتر أو عشتار عرف عند العرب كافة ولكن بأسماء مختلفة اللفظ وفقًا للهجة فقد عرف بأسم عثتر، عثر، عشتر، اثر، عشتار، عشتروت، عشتاروت [٢٢٧]، اشتار. وهو عند الحضارمة عشتار. ولعل لهذا الاسم علاقة بلفظتي عفتار أو عفتور الحضرمية التي يطلقها الحضارمة على الأرض وعلى الزراعة. وسنأتي للفظة وارتباطها بالإله (عفتور) وارتباطه بالأرض والزراعة. ولنلاحظ أن إله الأرض والخصب عند الجنوبيين يدعى (عثتر ذو جرب) ولفظة جرب تطلق محليًا على قطع الأرض الزراعية الصغيرة البعيدة عن مجرى السيل أو النهر. ومفردها جربة. كما تأتي في النقوش بمعنى مدرجات (زراعية) [٢٢٨]. وما زالت هذه التسمية تستعمل لليوم وبهذا المعنى [٢٢٩].

ومن نعوث الإله عثتر نذكر: عثتر ذو قبضم، عثتر ذو رفصم، عثتر ذو يهرف، عثتر ذو ذبين، عثتر حجر، عثتر بأس..إلخ.

ويظهر هذا الإله في نقوش جنوب الجزيرة العربية كنجم له ثمانية خيوط إشعاعية وهو يشبه ماهو موجود عند البابليين. [٢٣٠]

آلهة وثنية أخرى

ومن الآلهة الأخرى التي عرفها الحضارم إلى جانب الثالوث الكوكبي سابق الذكر نشير إلى الإله عفتر، الإله حول، الإله إيل، الإله سوبان. والإله ذرح..إلخ وتعد هذه الآلهة آلهة ثانوية إلى جانب الثالوث السابق الذكر. كما أنها تفصح تمامًا عما أشرنا إليه مسبقًا أثناء حديثنا عن ديانة قوم عاد (قدماء الحضارم) حينما ذهبنا إلى وجود تعدد للآلهة في مجتمعهم. ولعل هذه الآلهة من بقاياها. وسنحاول هنا التعرف إلى هذه الآلهة وسماتها وصفاتها.

---

[٢٢٦] الحسني، الإله سين، ص ٢٣.

[٢٢٧] أورد الباحث سالم القميري في كتابه من التراث الشعبي في المهرة قصة شعبية لبطلة تدعى (عشكاروت) تدور حول علاقات الحب والزواج، وانتقال الأحوال. لعل فيها إشارات ما لأساطير عشتروت يمكن أن تفيد دارسي الميثولوجيا عند الشعوب. انظر المرجع ص٤٦.

[٢٢٨] مجموعة مؤلفين، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٢م. ص٥٠.

[٢٢٩] الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري، مرجع سابق ص٤٤.

[٢٣٠] عبدالكريم، المرجع السابق ص١١٧.

الإله عفتر:

إن لفظة عفتر التي ينطقها العامة هكذا جاءت اشتقاقًا من لفظة (عفتور) التي يقصد بها الفلاحون عامة أو أولئك الناس المرتبطين بالزراعة والأرض. وقد عدّ هذا الإله عند العرب الجنوبيين بأنه إله الزراعة [٢٣١]. وهو كما نراه يقابل في النقوش الجنوبية الإله (عثتر ذو جرب) السابق ذكره، وهو إله الأرض والخصب [٢٣٢].

أن الإله (عفتر) كما يراه بعضهم، حرّف عن الإله (عثـتر) المعبود المشترك لكل قبائل عرب الجنوب الذي يرمز إليه بنجم الزهرة أو نجمة الصباح. وإلى اليوم يستبدل كبار السن من الحضارمة حرف الثاء بالفاء. فيقال على سبيل المثال للثلاثة فلافة وللثوم فوم وهي صيغة وردت حتى في القرآن الكريم بهذا الشكل كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأرض مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا...)) سورة البقرة الآية ٦١.

فمن عفتر هذا اشتقت تلك التسمية التي وصف بها الأدب الشعبي المحلي الفلاحين بـ(عيال عفتور) أي أبناء عفتور [٢٣٣]. ونسبة الشعب نفسه للإله وجدت عند غالبية شعوب جنوب الجزيرة العربية فقد نسب لإله القمر على سبيل المثال بنو هلال وبنو بدر. [٢٣٤] أو القتبانيون يطلق عليهم ولد عم. أما المعينيون فهم أولاد ود. والسبئيون أولاد المقه. وجميعها أسماء آلهة [٢٣٥].

ومن أقدم ماوصلنا إليه من الشعر الشعبي ذاكرًا فيه عيال عفتور قصيدة للشاعر الشعبي (عبد الله بن عبود بامدحج) من رجالات القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي يقول فيها واصفًا المقاومة الشعبية الشحرية ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر آنذاك [٢٣٦]:

---

[٢٣١] بامطرف، محمد عبد القادر، الرفيق النافع ص٢١؛ حداد، عبد الله، معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٣٠.

[٢٣٢] عبد االكريم، الديانة الوثنية في جنوب الجزيرة العربية ص١١٩.

[٢٣٣] أشار المؤرخ عبد االقادر الصبان إلى أن أهالي ساحل حضرموت يطلقون على العمال والفلاحين لفظتي العوش، وعيال عفتور. انظر الصبان، عادات وتقاليد بالأحقاف ص٤٣.

[٢٣٤] من القبائل الساكنة القرى القريبة من المدينة وتنتسب لبني هلال، قبيلتا بيت شنين والنحتي. وقد نزحتا في عصور تاريخية قديمة من مناطقهما سرو حمير (جبال يافع) الملاحي، معيلي، الصراع الحمومي القعيطي ص٢٢٠.

[٢٣٥] عبد الكريم، منذر، الديانة الوثنية ص١٠٩.

[٢٣٦] حداد، معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٨٤؛ وانظر أيضا بامطرف، الشهداء السبعة ص١٢٨.

خرجت في النائبة عالعز باحادي   بالحيك والصيغ والبحار والحداد
وأهل المناسع وبلخطب وباشـادي   واهل السفن والقوارب جو عالميعاد
وعيال عفتور هم زادي ومـزنادي   كم من فتى يعجبك عند اللقاء هداد
عصبة قصار العصر ماقول مردادي   ماقصدنا شيء كفن أو غوط في الالحاد.

وللشاعر الشعبي سعيد ناصر بن حيمد [٢٣٧] قصيدة شعبية وصف فيها الفلاحين بقوم عفتر قال فيها:

عادنا بادخل الواسط إذا الله قدّر   باعصب اربعمائة من قوم عفتر وعفتور
باعمد النخل بالقي على القصع خنجر   عا سهالة وعا مضبي وعا نور وسرور

وواضح هنا أن الشاعر بن حيمد وصف الفلاحين بقوم عفتر (عثتر) ونسبهم إليه. ووصف الشاعر هذا لهم ماكان ليطلق عليهم وينسبهم إليه إلا لوجود ارتباط قديم بين المفردتين ربما غاب عن الشاعر وأهل عصره الدلالة التاريخية لهذا الارتباط.

وحول دلالة المفردة أيضًا نجد أن الدكتور (عبد الله باوزير) أورد لنا بيتاً شعرياً آخر للشاعر الشعبي (أحمد قشمر) وهو يشبه البيت السابق وذكر في البيت قوم عفتر وعفتور وبالهامش أوضح الدكتور أن المقصود بعفتر وعفتور هم (الجن). [٢٣٨]

وفي اللغة الشحرية الظفارية يطلق على الجن ككائنات خفية عبدتها وقدستها بعض الشعوب لفظة (إعيفيرور) أي الحمر. كما أطلقوا على التراب أو الأرض لفظة (اعفيروت). [٢٣٩] ولعل في هاتين اللفظتين الشحريتين علاقة ما بعفتر أو عثتر.

---

[٢٣٧] شاعر شعبي من مواليد غيل باوزير. كان كثير السفر إلى ممباسا بشرق أفريقيا باحثاً عن لقمة العيش، توفي غريقاً سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م. انظر ترجمته، حداد، عبدالله، معجم شعراء العامية ص١٣٠.

[٢٣٨] باوزير، عبد الله، مدينة العرفان، غيل باوزير. ص٢٤٩. ونص بيت قشمر هو:-
بعمد النخل وبانلقي عالقصع خنجر والعساكر بجنبي قوم عفتر وعفتور.
بينما عند الباحث عبد الله حداد البيت السابق وأشار فيه إلى ان عفتر إله الزراعة عند القدماء. حداد، معجم شعراء العامية ص١٣٠.

[٢٣٩] انظر الشحري، أحمد، لغة عاد، ص١٠.

الإله حول:

ومن الآلهة القديمة التي عرفتها شعوب المنطقة وذكرت في النقوش المسندية الإله (حول). وقد جاء ذكره في النقوش الحضرمية بصيغتين هي (ح و ل)، (ح ل أ ب) [٢٤٠]. وهذا الإله عرف إلى جانب عدد آخر من الآلهة لدى قوم ثمود. وهؤلاء كما عند الأخباريين من الأقوام اللاحقة لقوم عاد. وهم وإن عدّ بعض المؤرخين مساكنهم في بلاد الحجر شمال غرب شبه الجزيرة العربية. فإن بحضرموت أيضًا منطقة واسعة تحاذي الصحراء يطلق عليها (ثمود).

وتذهب الأسطورة المحلية إلى أن ثمود وقوم النبي صالح عليه السلام سكنوا هذه المنطقة المشار إليها، وانه وبعد أن حل عليهم العذاب هاجرت مجاميعهم إلى مواطن أخرى. كما قيل إن بوادي سر يوجد قبر النبي صالح [٢٤١]. وثمة روايات أخرى ترجح انتقال الثموديين من الحجر إلى حضرموت. [٢٤٢]

وقد ذكر المؤرخ (جواد علي) في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) عدداً من أسماء آلهة ثمود ومنها (عثيرت، يغوث، سين، حول ..إلخ) [٢٤٣]. ولفظة (حول) في التوراة ذكرت كاسم علم لأحد أبناء إرم (إرام) بن سام بن نوح. [٢٤٤]

إن الإله (حول) كما نرى عرفه قدماء الحضارمة وأدرج لديهم ضمن سلسلة الآلهة والمعبودات المتعددة القديمة التي عرفتها منطقتهم. إلا أن تفاصيل ماهيته وصفاته إلى جانب حدود ونطاق قدرته ومواضع انتشاره أو أماكن عبادته تكاد تكون ضئيلة جدًا. وهو في هذا لايختلف عما لدينا من معلومات ضئيلة عن بقية الآلهة القديمة. وبالمقابل ما زالت تصورات الناس الشعبية محتفظة ببعض الممارسات والافكار المتوارثة عنه التي يمكن أن تقدم لنا بعض الإضافات الأخرى عن هذا الإله.

---

[٢٤٠] الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة ص٢٧.

[٢٤١] إدام القوت، ص٤٩٥. الحامد، صالح، تاريخ حضرموت (٧١/١).

[٢٤٢] الحامد، تاريخ حضرموت (٧١/١).

[٢٤٣] علي، جواد، (٣٣١/١).

[٢٤٤] انظر سفر التكوين الإصحاح ١٠ العدد ٢٣.

ومن خلال هذه التصورات نستطيع القول إن ثمة ارتباطاً كبيراً بين هذا الإلـه وبين المطـر تجعلنـا نـرجح أنـه (إلـه المطـر) عند قـدماء الحضـارمة [٢٤٥]. وبمـا أن المطر كنعمة من أنعم الله لا يتوق إليها ويلتمسها في تضرعاته وتوسـلاته إلا مـن هـو في أشد الحاجة لها. كمـا لا توجـد شـريحة اجتماعيـة أشـد حاجـة للمطـر مـن شـريحة الفلاحين مقارنة بالشرائح الأخرى لارتباط المطر بحياتهم ومعيشتهم أيضاً. لذلك نجد أن مظاهر وجود هذا الإله في المناطق الزراعية والمناطق الداخليـة مـن حضـرموت (حضرموت الوادي) أكثر من المناطق الساحلية التي اقترنـت بمظـاهر لآلهـة أخـرى ساحلية/بحرية سنأتي اليها. وقد اكتشفت معابد للإله حول والإله سين بمواضـع قريبـة من حريضة وتريم وفقاً للنتائج التي بينتها البعثة الأثرية الفرنسية التي زارت المنطقة فـي الأعـوام ١٩٧٨-١٩٧٩م. [٢٤٦] فضـلًا عـن مواقـع أخـرى كريبـون ومنطقـة مكينون.[٢٤٧]

وطالما أن هناك علاقة بين (حول) و(المطر) فهذا يعني أن له علاقة أيضًا بالزراعة والري والخصوبة والإبذار والحصاد وهذا موجود لدى غالبية الشعوب التي لديها اعتقادات مشابهة.

ومن المظاهر التي لاتزال باقية لهذا الإله وذات ارتباط بالتصورات الشعبية تلك الصرخات التي يطلقها الفلاحون استبشاراً بهطول المطر أو قرب نزوله مرددين: (حول ياحول.. حول ياحول). ومثل هذا يقال أيضاً كلما لاح لهم وميض برق في السماء الملبدة بالغيوم رغبة منهم في استنزال المطر.

وبقرية المعدي على سبيل المثال وهي من القرى التابعة لمدينة الشحر. وكما يروي بعض كبار السن منهم [٢٤٨]أنهم ما زالوا إلى وقت قريب إذا أرادوا الاستسقاء يذهب جميع رجال المنطقة يتقدمهم (إمام المسجد) لمكان مرتفع ويبدأ هذا الإمام وبصوت عالٍ الدعاء والتوجه إلى السماء قائلًا: (حول.. حول بالرحمة) فيجيبه الجميع وبصوت واحد: (بشرك الله بالخير). ثم يقول (حول.. حول بالغيث) فيجيب عليه الجميع (بشرك الله بالخير). ثم يقول (حول.. حول بالسيل) فيجيب عليه الآخرون كذلك (بشرك الله بالخير). وبعد ذلك يتوجه الموكب لزيارة قبة (مشهد) أحد

---

[٢٤٥] أشار المؤرخ محمد بامطرف إلى أن حول هو إله المطر عند قدماء الجنوبيين. انظر الرفيق النافع ص٢١؛ وللمزيد عن هذا الإله وعلاقته بالمطر انظر حداد، عبد الله صالح، الرقص الطقوسي، من منشورات مجلة الواعدون، صادر عن الجمعية الأدبية للشباب بمديرية الشحر، نوفمبر ١٩٨٣م. ص٢٤.

[٢٤٦] الحسني، الإله سين ص٣٠.

[٢٤٧] المرجع السابق ص٣١.

[٢٤٨] من رواية سالم عوض البحسني وآخرين في جلسة خاصة ببيته بقرية المعدي ١٤ فبراير ١٩٩٨م.

أولياء منطقتهم منسوب للشيخ الجيلاني. تُقرأ عنده الفاتحة والتمسح والتبرك به. كما تقام قريبًا منه احتفاء بهذه المناسبة بعض الرقصات الشعبية والشروحات على قصائد زواملهم البدوية المعروفة.

وعن عادة صلاة الاستسقاء في المهرة كما رواها الباحث علي سعيد باكريت ، يقول فيها: ((فعندما يرى المواطنون انعدام الغيث وتبدأ المواشي بالضعف ويتأخر نزول المطر يدعى مواطنو القرية إلى الكرم (صلاة الاستسقاء) يعني يتكرم كل شخص بما عنده من تمر أو أرز ويأتي به في مجمع خاص وهناك يجتمع المواطنون جميعا ويبشرون أولا بصلاة الاستسقاء والدعاء يا رب ياأرحم الراحمين. ثلاث مرات والرابعة فرّج على المسلمين، وعند الانتهاء يقولوا يا حول يا حول)).[٢٤٩]

التحويلة وارتباطها بالإله حول:

التحويلة هي صيغة تفاؤلية تقال كلما بدأت زخات المطر بالتساقط أو لاحت علائم مقدم السيل في الوادي ويتكرر فيها ذكر لفظة حول. ففي ببعض مناطق وادي حضرموت كلما لاح للمزارع قدوم السيل أو الماء إلى أرضه يرفع صوته قائلًا: ((حول حولاه كل وادي ملان حولاه)). أو مايردده (المختص) بشؤون الري والزراعة كلما لاحت له مياه مقدم السيل حيث يردد بصوت مرتفع:

حول –حولاه بالسيل ياحـــــول
حول-كل وادي ملان ياحول

وهنا يرد عليه الرجال القريبون منه كل من مكانه بالقول: ((وا-بشرك الله بالخير)) كما تزغرد النساء كلٌّ من موضعها أو مكانها في الحقل. وعلى هذا المختص ومن خلال تجاربه السابقة وتوقعاته الحدسية أن يبين للمزارعين إن كان هذا السيل القادم سيسقى الدبر (الأرض) أو النخل أو الدبر والنخل معًا ليحتاط لمقدمه المزارعون ولا يفاجأون. وبالمقابل يتحصل هذا المختص إن صابت توقعاته وإرشاداته على كمية من الحبوب أو التمر يهبها له المزارعون. [٢٥٠] يقول الشاعر الشعبي باحريز في إحدى مساجلاته الشعرية:

غن يا مبارك بن علي يا خو عوض لا سيلّت
حوّل إذا سالت قعوضة واسقنا من كل بير.

---

٢٤٩ باكريت، علي سعيد، بحث بعنوان ملامح من العادات والتقاليد والأعراف في محافظة المهرة، مجلة آفاق العدد ١٨ فبراير ١٩٩٨م ص٩٠.

٢٥٠ حداد، عبد الله صالح، الرقص الطقوسي ص٢٦-٢٧.

وتلك التحويلة السابقة ((مع إضافة بسيطة تتعلق بالصلح والصلاح لأمور الناس وطلب العافية والمزيد من الخير. تقال عقب الانتهاء من الاحتفالات الدينية فيوردها أحدهم بأعلى صوته وهو محمول على الأكتاف)) [٢٥١].

ويلاحظ أن الأطفال وخاصة ببعض مناطق وادي حضرموت واثناء نزول المطر يرددون أهزوجة تقول كلماتها [٢٥٢]:

الليلة السماء تمطر ياحولاه الليلة ياحولاه
جات طشة في عيني ياحولاه الليلة ياحولاه
نخل بوي بايشرب ياحولاه الليلة ياحولاه

ونلاحظ أن ببعض أهازيج الأطفال المشابهة لهذه، إذا سلمنا بأقدميتها وارتباطها بالوثنية أنهم أبقوا على صيغة (ياحولاه الليلة ياحولاه) بينما تغيرت بقية الصيغ بما يتلاءم وتوجهات الدين الجديد (الإسلام) أو بما يتوافق مع بعض المناسبات الاجتماعية الأخرى. وهي صيغ بعيدة كل البعد عن المطر أو الزراعة. وقد أورد الباحث سعيد عوض بايمين بعض نماذج لهذه الأهازيج المتشابهة [٢٥٣].

أما في المناطق الساحلية كمدينة الشحر ومايجاورها فاللأطفال أهزوجة أخرى مرتبطة بالمطر. وهي تختلف عما هو موجود في مناطق الوادي. فعندما تبدأ زخات المطر بالتساقط يردد الأطفال ابتهاجاً هذه الصيغة [٢٥٤]:

يامـــطيرة صبي لبن
سيد عبد الله ديخل عدن..

---

[٢٥١] المرجع السابق ص٢٧.

[٢٥٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[٢٥٣] انظر بايمين، دراسات، الأساطير والحكايات الشعبية، من أدب الأطفال، الطب الشعبي القديم، ص٣٩. ص٥٥.

[٢٥٤] هذه الأهزوجة يرددها كذلك أطفال غيل باوزير انظر سامي شيخان نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير ص١٦٣ . وبعضهم يرددها بصيغة : (سيد عبد الله سافر عدن) . انظر من الأدب الشعبي للطفل ص٢٣٥. كما تردد هذه الأهزوجة ببعض مناطق السودان .

وهذه الأهزوجة عرفت حتى ببعض مناطق السودان وبالصيغة نفسها. وقد توسعنا بشرح هذه الأهزوجة وارتباطاتها الشعبية والتاريخية في كتابنا الخاص بأهازيج الاطفال وألعابهم (مخطوط). ومن أهازيج المطر الأخرى عند الأطفال هذه الأهزوجة [٢٥٥]:

مطر مطر جات من جده   على دكاكين السدة

مطر مطر جات من فوق   على دكاكين السوق

ونلاحظ هنا خلو أهازيج أطفال الساحل الحضرمي من لفظة حول أو حولاه. على عكس أهازيج الداخل. ما يرجح أن وجود الإله (حول) وانتشاره على الأكثر بالمناطق الزراعية (الداخلية) منه بالمناطق الساحلية. وأن وجوده النادر ببعض المناطق والقرى الريفية الساحلية إنما جاء كما نظن من مناطق الداخل الحضرمي.

الرقص الطقوسي المرتبط بالإله حول :

ذهب بعض الباحثين إلى أن ببعض الرقصات الشعبية المتوارثة التي يمارسها الإنسان الحضرمي في بعض المناسبات الاجتماعية دلائل ومؤشرات تفيد بأن هذه الرقصات إنما هي رقصات طقوسية من المخلفات الوثنية لتلك الآلهة القديمة التي عبدها. ففي الرقصة الشعبية الشهيرة المعروفة بـ (نعيش البقارة) [٢٥٦] اعتبر المستشرق الإنجليزي (روبرت سارجنت) أن هذه الرقصة من الرقصات الخاصة بالزراعة.[٢٥٧] وفيها يقوم الراقصون ببعض الحركات والأفعال التي توحي بخصوبة الزرع ونمائه. وفيها يردد الراقصون لفظة (حول) ما حدا بباحثين آخرين لافتراض

---

[٢٥٥] بايمين، سعيد عوض، دراسات، من أدب الأطفال ص ٤١.

[٢٥٦] يلاحظ أن المستشرق سارجنت جعل من رقصتي الرزيح ونعيش البقارة كأنها رقصة واحدة (انظر نثر وشعر من حضرموت ص٦١-٦٢) بينما ميز المؤرخ جعفر السقاف بين هاتين الرقصتين، انظر كتابه (لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت) منشورات دار الفارابي، بيروت، وزارة الثقافة، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، عدن، ص٢٦-٢٧.

[٢٥٧] سارجنت، روبرت، نثر وشعر من حضرموت ص٦٢.

أن هذه الرقصة هي الرقصة الخاصة بالإله حول ولكن اعتراها بعض التحريف والتبديل. (٢٥٨)

إن تلك الرقصة التي يؤديها المزارعون والعمال تتطلب وجود عدد من الراقصين ممن ينتمون لشريحة (البقّارة) وهم العاملون في حراثة الأرض باستخدام الثيران. وهؤلاء البقّارة يمتازون بشعورهم المسدلة والمنفوشة. حيث يتطلب منهم قبل بدء الرقصة دهن رقابهم (أعناقهم) بزيت النارجيل لتسهل عليهم تحريكها اثناء الرقص. وتبدأ الرقصة بضرب الطبول على إيقاع بني مغراة. (٢٥٩) كما تتطلب من الراقصين اثناء الرقص بالدق على الأرجل (الرزيح أو الترزاح) والتمايل بأجسامهم مع تحريك رؤوسهم يمنة ويسرة لتحريك الشعر المسدل، تمامًا مثلما تفعله النساء في حفلات الزواج الخاصة بهن أثناء أدائهن لرقصة (الزفين). (٢٦٠) وتسمى الرقصة التي فيها تمايل للنصف العلوي من الجسد مع تحريك الشعر المسدل والمنفوش يمنة ويسرة بـ(النعيش) سواء مارسها الرجال أم النساء.

وقد ذهب الباحث (جعفر السقاف) إلى إن تحريك البقارة لشعورهم ذات اليمين وذات الشمال جاء من مشاهداتهم اليومية لأبقارهم وهي تحرك رؤوسها أثناء الزراعة.(٢٦١)

ويبدو لنا أن هذه الحركة (النعيش) كانت تؤديها النساء قبل أن تستبدل لاحقًا بالرجال (البقّارة) لبعض الاعتبارات اللاحقة المرتبطة بالعادات والتقاليد أو نتيجة لقوانين فرضت كالذي حدث على سبيل المثال في مصر في عهد (محمد علي باشا) حينما قام بنفي الراقصات (الغوازي) بعيدًا عن المدن. فحل بدلًا منهن الغلمان الراقصون للقيام بالرقص في تلك المدن (٢٦٢).

ولا يعلم لماذا تم اختيار أناس من هذه الشريحة تحديدًا (البقارة) لأداء تلك الرقصة التي حملت اسمهم (نعيش البقارة) أو (نعشة البقارة). وهذه الشريحة كما أشار سارجنت على الرغم من امتهانها الحراثة وانتسابها لفئة المزراعين كجزء من

٢٥٨ حداد، عبد الله، الرقص الطقوسي ص٢٥. وانظر كذلك بحثه الموسوم بالتعبير الحركي عند القدماء نشر في مجلة الثقافة الجديدة العدد (٣) أبريل ١٩٨٩م السنة التاسعة عشرة تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام، عدن.

٢٥٩ السقاف، جعفر محمد، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت، ص٢٨. وعن رقصة القنيص وبني مغراه. انظر كتابه هذا ص٢٩-٣٣.

٢٦٠ نثر وشعر، مرجع سابق ص٧٧.

٢٦١ السقاف، لمحات عن الأغاني، مرجع سابق ص٢٨.

٢٦٢ الخادم، سعد، الرقص الشعبي في مصر ص١٩، ص٥١.

طبقة إجتماعية متدنية (الضعفة) تعد أعظم تشريفًا من بقية أفراد هذه الطبقة. بل واشار إلى أن هؤلاء يعدون انفسهم من طبقة (الضعفة) [٢٦٣].

إن مايهمنا هنا ارتباط تلك الرقصة بالإله حول، إله الزراعة. وعلاقتها كذلك بالاخصاب والتلقيح. وقد أشار سارجنت أثناء حديثه عن رقصة (الرزيح) التي جعلها متداخلة مع رقصة (نعيش البقارة) بالقول: ((ومن الثابت اذًا أن هذه الرقصة في الغالب تعتبر من رقصات الزراعة وفي مرحلة من مراحل الرقصة يضع الراقصون العصي بين ارجلهم ويقومون بتمثيل الحركات الجنسية مع الآخرين المتواجدين الذين يبدون تجاوبًا بتحريك الأيدي والأرجل. وخلال آداء هذا التمثيل الجنسي يقوم اللاعبون بأحداث أصوات يزبدون فيها كما تفعل الجمال في شدة الحر، مما يثير الضحك والتعليقات اللاذعة..)) [٢٦٤].

إن مثل تلك الايماءات والإشارات الجنسية التي يقوم بها الراقصون اثناء أداء تلك الرقصة قد عرفتها العديد من الشعوب العربية وغير العربية وما زالت تمارسها وربما بصور وأفعال أكثر خلاعة وبذاءة ووثنية مما هي هنا. بل هناك رقصات أخرى ترتبط بالوثنيات القديمة أشد مما يمارس هنا ففي مصر على سبيل المثال العديد من الرقصات والحفلات الفاضحة كتلك التي تقام في أعياد شم النسيم أو النيروز وغيرها. [٢٦٥]

وفيما يأتي أنموذج من الشعر الشعبي ذكر فيها حول وارتباطه بالمطر. منها هذه الابيات للشاعر الغنائي المعلم (عوض أحمد حميدان) (١٩٢٥-١٩٨٦م) وهو من مواليد مدينة الشحر يقول في إحدى قصائده:

حوّل وقل يا حول طاب الجنا   واخصبت أرضكم حول حوّل وقل ياحول.

---

٢٦٣ سارجنت، روبرت، نثر وشعر، ص٦٣-٦٤.

٢٦٤ نثر وشعر من حضرموت، ص٦٢.

٢٦٥ للمزيد عن الرقصات ذات الإشارات الجنسية انظر الخادم، الرقص الشعبي في مصر. أو كتاب ستاتي، عصام، شم النسيم، أساطير وتاريخ وعادات وطقوس.

إله البحر سوبان:

إذا كان الإله (حول) السابق ذكره كإله وثني عرفه قدماء الحضارمة مرتبطًا كثيرًا بالمطر والخير وبخصوبة الأرض. وأن أكثر وجوده وانتشاره بالمناطق الزراعية. فإن الإله (سوبان) يمكن أن نسميه إله المناطق الساحلية أو هو (إله البحر) عند القدماء في وثنيتهم السابقة على ظهور الإسلام. لارتباطه الكبير بالبحر والبحارة وبالصيادين الذين يرتادون تلك المياه.

ولسوبان هذا عدد من الأهازيج المتوارثة يرددها الصيادون أثناء انشغالهم بصيد الأسماك في البحر أو أثناء قيامهم بأعمالهم اليدوية على الساحل كإصلاح الشباك أو تنقية القارب من الشوائب العالقة به.[٢٦٦]

كما أن لسوبان هذا يومًا معلومًا لدى أهل المدينة يأتي في منتصف دخول نجم البلدة [٢٦٧] ويطلقون عليه يوم سوبان. وفيه يمارس وخاصة فئة الصيادين بعض الطقوس والرقصات المحاكية التي تحاكي عملهم على القارب وأثناء رمي الشباك يرددون فيها أهازيج تتكرر فيها لفظة سوبان. وسنأتي لتفاصيل هذا. ولعل في هذا مادفع بعدد من الباحثين الذهاب إلى أن سوبان هو إله البحر لدى قدماء العرب الجنوبيين. وقد تلاشى في المدينة كل مايمت بصلة لسوبان نهاية ستينيات القرن العشرين ولم يبق غير رواسب ذكراه وبعض الأهازيج المتعلقة به أبت ذاكرة كبار السن إلا الاحتفاظ بها واستمرارية ترديدها وإن اختفت طقوسها ورقصاتها وارتباطاتها الوثنية.

نقول هذا بالرغم من تشكك بعضهم في العلاقة التي تربط بين (سوبان وأن يكون إله البحر). [٢٦٨] ومن شكك في العلاقة بين لفظة سوبان كإله ذهب إلى أن هذه اللفظة (سوبان) لم تورد في أية من النقوش العربية الجنوبية القديمة أسوة بأسماء العديد من الآلهة التي عبدت في المنطقة قديمًا كالإله سين، حول، عثتر...إلخ. وقد ذهب الباحث (عبد الرحمن الملاحي) للقول إن لفظة (سوبان-سوبان) التي يرددها الصيادون في أهازيجهم ورقصتهم الإحتفائية بيوم سوبان ليس لها أية علاقة بالتعبد

---

[٢٦٦] انظر السقاف، جعفر، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية، مرجع سابق ص٩-١١.

[٢٦٧] لمعرفة المزيد عن نجم البلدة ودخوله في حضرموت انظر الملاحي، عبد الرحمن نجم البلدة بين المفهوم الفلكي والمدلول الثقافي الشعبي، كتيب صدر بمناسبة مهرجان البلدة السياحي الثاني بالمكلا ٢٠٠٥م، ص٦. وعادة يبدأ دخول هذا النجم في ١٥ يوليو ويستمر حتى ٢٨ يوليو ليحل بعده دخول نجم المرزم. وهذا النجوم وغيرها من نجوم فصل الخريف.

[٢٦٨] من شكك في هذه العلاقة الباحث عبد الرحمن الملاحي، والباحث عمر عوض خريص. وبعدهما الباحث أحمد عمر مسجدي في كتابه مقدمات في التراث والموروث الشعبي ص١٤٧.

أو الوثنية. وإن تلك اللفظة المرددة ليس إلا ((مصدرًا لكلمة سَوَّب-يُسَوّب-بتشديدة على الواو فهو –سوبان)).[٢٦٩] وسوب تعني جدف. والسايبة عند الصيادين بمعنى المجداف.

وحقيقة إن الاعتماد فقط على اشتقاقية اللفظة (سوبان) من الفعل سوب وأنها بمعنى التجديف وبالتالي نفي كل ما يمت لهذه اللفظة من صلة بالديانة الوثنية القديمة تدحضه عدد من الشواهد الأخرى التي تميل وترجح لأن يكون لسوبان علاقة بالآلهة القديمة وتحديدًا بإله البحر. وقد تبنى الرأي القائل بأن (سوبان) هذا هو اسم لإله البحر لدى الجنوبيين القدماء المؤرخ (محمد عبد القادر بامطرف) في كتابه الرائع (الرفيق النافع) فعند حديثه عن تقليد (الفوله) التي يؤديها الملاحون في البحر وسنأتي لها لاحقًا أشار إلى أنها عادة قديمة جدًا حين كان العرب الجنوبيون وثنيين يدينون للأرباب المتعددة كالإله عفتر إله الزراعة والإله حول إله المطر والإله سوبان إله البحر. [٢٧٠] إلا أنه لم يقدم تفاصيل عنه. وتبعه في هذا ولكن بتفصيل أكثر تلميذه الباحث (عبد الله صالح حداد).[٢٧١] كما نجد علاقة سوبان بإله البحر في إشارة عند الباحث والمؤرخ (جعفر محمد السقاف).[٢٧٢]

بل وكما نلاحظ أن الباحث (عبد الرحمن الملاحي) سابق الذكر وفي دراسات سابقة له وأخرى حديثة حاول الإشارة إلى تلك العلاقة ولكن بتحفظ شديد. وهذا نجده من خلال استعراضه بعض أهازيج سوبان وإشارته لاحتفال الصيادين بيوم خاص اطلقوا عليه بيوم سوبان الذي يقام كما أشار في منتصف نجم البلدة (٢٢يوليو). فضلًا عن استعراضه بعض الطقوس والممارسات التي كان الصيادون يقومون بها كما أشار لرقصتهم الشهيرة التي تقام داخل أحد المساجد وتعرف بـ(صنبوقي).[٢٧٣]

ففي بحثه المعنون (الصيادون شعرهم وعاداتهم المهنية) أشار إلى أن الصيادين وفي موسم نجم البلدة يدشنون موسم الصيد الجديد ((بمراسيم ابتهالية يطوف الصيادون فيها بالقباب والمساجد، وبعد تلاوة الفاتحة يشكل المبتهلون زورقًا من أنفسهم داخل المسجد.. وينشدون الأهزوجة الأثرية التقليدية سوبان سوبان... وسوبان كما أشار إليه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في مقدمته لكتاب الرفيق

---

[٢٦٩] الملاحي، عبد الرحمن، نجم البلدة، مرجع سابق ص١٠.

[٢٧٠] انظر بامطرف، محمد عبد القادر، الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع ص٢١.

[٢٧١] انظر حداد، عبد الله صالح، الرقص الطقوسي، منشورات منظمة الواعدون، الجمعية الأدبية للشباب بمديرية الشحر، نوفمبر، ١٩٨٣ م، والتعبير الحركي عند القدماء، نشر بمجلة الثقافة الجديدة، العدد (٣) ابريل ١٩٨٩م السنة التاسعة عشر، وزارة الثقافة والاعلام، عدن.

[٢٧٢] السقاف، جعفر محمد، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت ص١٠-١١.

[٢٧٣] لفظة صنبوقي مشتقة من كلمة الصنبوق أو السنبوق التي تعنى القارب.

النافع ص٢١.. بانه إله البحر في العبادات الجنوبية القديمة وهذا مايفسر لنا جولة الصيادين السابقة. وربما انتقل هذا التقليد من صورة التعبد في معابد الآلهة الجنوبية القديمة إلى الجولة المعروفة في المساجد والقباب بعد أن اتخذت الطابع الديني الإسلامي. وبالطبع لم تحتفظ الأهزوجة بكلماتها القديمة ففقدت أصولها ولم تبق منها إلا كلمات معبرة عن العمل. كما لم تبق إلا الإشارة الرئسية لأسم الإله سوبان.[٢٧٤] ثم أورد لنا الملاحي الأهزوجة الخاصة بسوبان التي جمعها من أفواه الصيادين: نص الأهزوجة: [٢٧٥]

سوبان .. سوبان

يعين الله	هيله سوبان
بالهواني	هيله سوبان
يابوي انا بالجواني	هيله سوبان
توهن لخشاب بتدبيره	هيله سوبان
يا بوي انا	هيله سوبان
حالي فنـــا	هيله سوبان.

إلى آخرها. ويلاحظ أن أغاني وأهازيج سوبان التـي أدرجهـا بعـض البـاحثين ضمن أغاني العمل. [٢٧٦] لم تقتصر على مدينة الشحر وحدها أو مع مايجاورهـا مـن مناطق ساحلية قريبة. بل وامتدت حتـى إلـى قريـة (شـقرة) السـاحلية بمحافظـة أبـين. وهذا مايرجح امتداد تلك الديانة الوثنية عبر سواحل العربيـة الجنوبيـة. وقـد أورد لنـا الباحث (علي محمد عبيد) في كتيبـه (أغـاني صـيادي السـمك الشـتوية بقريـة شـقرة) أهزوجة لصيادي السمك في تلك المنطقة وتنص على:[٢٧٧]

سوبان سوبان عادني عادني

سوبان سوبان سعد مانا خلي

---

٢٧٤ الملاحي، عبد الرحمن عبدالكريم، الصيادون شعرهم وعاداتهم المهنية، ص٩. بقليل من التصرف. وانظر كذلك بحثه بعنوان نجم البلدة، مرجع سابق ص١٠.

٢٧٥ انظر الأهزوجة كاملة عند الملاحي، الصيادون شعرهم وعاداتهم المهنية ص٩، وبن غودل، أحمد صالح، اغاني العمل ص٩. كما خصننا جزءاً كاملاً من سلسلتنا هذه عن الفولكلور الحضرمي الخاص بمدينة الشحر بأهازيج العمل ومنها هذه الأهازيج.

٢٧٦ للمزيد عن أغاني العمل واغاني البحر انظر السقاف، جعفر محمد، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية، مرجع سابق ص٩-١١.

٢٧٧ عبيد، علي محمد، أغاني صيادي السمك الشتوية بقرية شقرة، صادر عن اتحاد الادباء والكتّاب اليمنيين فرع أبين، ص٤.

سوبان سوبان بيع السلب وارضني
سوبان سوبان يا الله اني دعيتك..الخ.

إن الممارسات أو الأغاني والأراجيز الخاصة بسوبان والتي أطلق عليها المستشرق الانجليزي سارجنت بـ(الابتهالات)من دون أن يتوسع في إيضاحاتها [٢٧٨]، أو يورد نماذج لها. [٢٧٩] على ارتباط بتلك الوثنية الموغلة في القدم ظل العقل الجمعي يمارسها من دون وعي أو فهم منه لدلالتها الوثنية وقد أصبحت في نظر ممارسيها مجرد رقصات فولكلورية وطقوس اعتاد الناس على ممارستها في أيام وأوقات معلومة. وقد سبق أن أشرنا إلى وجود الديانة التعددية عند أقوام عاد الذين سكنوا هذه المنطقة. كما سبق أن أشرنا إلى أسماء عدد من الآلهة القديمة التي عبدت كالإله سين، حول، عثتر، الشمس.. ووجودهما معًا يوحي بوجود تعددية في الديانة. وطالما أن بعضها مسؤول عن النماء والخصب أو المطر والزراعة. فمن الطبيعي أن توجد أيضًا آلهة مسؤولة عن البحر وعن الصيد. وأن يكون وجود هذه الاخيرة في المناطق الساحلية من دون غيرها. ولعل سوبان هو ذلك الإله كما أن وجوده وجود ساحلي.

ومما قد يدعم هذا الرأي تلك الأسطورة التي رواها المؤرخ القرماني في مصنفه أخبار الدول أثناءحديثه عن النبي (حنظلة بن صفوان الرسي) الذي قيل فيه إنه بعث لاصحاب الرس. وقد اختلف في مكان هذا (الرس) فهناك من قال إن الرس في مأرب باليمن ومنهم من قال في وادي سر بحضرموت وإن (سر) هذه حرّفت من الرس. [٢٨٠] وهناك من قال إن قبر حنظلة في دمخ حساي أو بمنطقة بور الحضرمية

---

[٢٧٨] في حديثه عن ترانيم الصيادين أشار المستشرق سارجنت بقوله: ((لم أجد وقتاً لدراسة فئة الصيادين كما تقتضي لهجتهم العربية الدارجة ودراستها دراسة متفحصة إلى حد ما. وعلى أية حال يبدو أن للبحارة نوعاً من الترانيم يسمى (سوبان) وهو بلا شك منظوم على بحر الرجز ويتناسب مع إيقاع التجديف وأعمال الملاحة البحرية..(ثم يقول) ومن المحتمل أن يكون السوبان هو ذلك الغناء الذي يسمعه المرء كل يوم حين يمر القارب على مقربة من المرفأ لجلب الماء والذي يسمعه أيضاً مع دقات الطبول والغناء أثناء تكسير المحار البحري. وقد أخبرني الميجور أي سنل وهو رجل على صلة وثيقة ومعرفة جيدة بهذه الأمور أكثر مني أن لكل مركب شراعي ضارباً خاصاً على الطبل أثناء مختلف الأعمال في البحر وهو رجل من الأهمية بمكان حيث يأتي في الترتيب الثالث بين أصحابه الملاحين بعد القبطان ونائبه)). سارجنت، نثر وشعر من حضرموت ص٧٦.

[٢٧٩] اكتفى المستشرق سارجنت في هامش حديثه عن اغاني الصيادين بالإحالة إلى ماكتبه دبليو كلاين **w.cline** في مقاله بعنوان: (الأمثال وأغاني الأطفال في جنوب الجزيرة العربية) في المجلة الأمريكية للغات السامية، شيكاغو ١٩٤٠م، ص٢٩١.

[٢٨٠] المقحفي، معجم البلدان (٦٨٦/١).

إلى آخر تلك الروايات. [٢٨١] إن مايهمنا هنا في الأسطورة أن هناك رسين وكليهما بعث الله فيهما أنبياء فكذبوهما وقتلوهما. وإن أحد الرسين على ساحل البحر العربي وكانوا يعبدون (إله للبحر) وإنه في كل شهر يتمثل لهم الشيطان فيخرج إلى الشاطئ حيث يقدمون له القرابين ويذبحون عنده ويتخذون ذلك اليوم عيدًا. وإن الله أرسل لهم (وليًّا) استطاع أن يكشف لهم حقيقة ذلك الشيطان إلا انهم تمادوا في طغيانهم واستمروا في كفرهم. ليخسف بهم الله ويقذف بهم إلى البحر. [٢٨٢]

سوبان والفولة:

ومما يرجح اعتقاد الحضارمة قديمًا بوجود آلهة للبحر أو قوة غيبية مسيطرة، تلك الإشارات التي وردت ببعض مصادر القرون الوسطى عن وجود تقاليد وثنية يقوم بها بحارة وملاحو المنطقة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي منها ماعرف بـ(تقليد الفولة) وقد ذكر هذا التقليد المؤرخ الشهير ابن المجاور (٦٠١-٦٩٠ هـ/ ١٢٠٥-١٢٩١م) حينما أشار لذلك القربان الذي يقدمه الملاحون للبحر بقوله: ((فإذا حاذى مركب المسافر مدينة سقطرى أو جبل كدمل تسمى تلك المحاذاة الفولة. يؤخذ قدر يعمل عليه شراع وسكان من جميع آلة المركب ويعبي فيه من الأطعمة من قليل نارجيل وملح ورماد. ويلقى في البحر مع الأمواج الهائلة. قال أهل التجارب والخبرة إنه يصل بالسلامة إلى لحف الجبل)). [٢٨٣]

وهذا القربان أو مايشبهه استمر إلى فترة متأخرة [٢٨٤] وقد جاء في منظومة الملاح باطايع وهو من مواليد مدينة الحامي(شرق الشحر) عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م قوله:

الفتك يـــــــفتك	والجوهري ذاك ســدك
ذا رأس فـــــرتك	بعده الطريق الوطـــية
(فوله) على الــرأس	ذلك مسوس على سأس
من هو فتـــى رأس	يقسم لنــا في الهـــدية.

[٢٨١] للمزيد عن النبي حنظلة وأصحاب الرس انظر الحامد، تاريخ حضرموت (١/٧٣-٧٦). وانظر ماذكره المقحفي في معجم البلدان، مادة (بور) (١/٢٠٢).

[٢٨٢] القرماني، اخبار الدول، مرجع سابق (١/٢٣٢).

[٢٨٣] ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها وطبعها أوسكر لوفغرين طبعت في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٥١م، كما أعيدت طباعتها بمطابع بيبلوس الحديثه، بيروت أيار (مايو) ١٩٦٧م، ص١١٤.

[٢٨٤] لمعرفة المزيد انظر الكسادي، القاموس البحري ص٢٧٦-٢٧٧.

وجاء في شرح هذه الأبيات للمؤرخ (محمد عبدالقادر بامطرف) وهو أول من شرح منظومتي الملاح باطايع قوله: ((... إن تقليد الفولة مسوس على ساس على حد تعبيره. أي إنه عادة بحرية قديمة ترجع إلى الزمن القديم حين كان العرب الجنوبيون وثنيين يدينون للأرباب المتعددة كالإله عفتر إله الزراعة والإله حول إله المطر والإله سوبان إله البحر. ونحن في الشحر بالذات نحتفل كل عام بيوم سوبان ونؤدي فيها طقوسًا لانعلم مصدرها ولامدلوها ولكنا نرجو من كل ذلك أن يكون الحصاد السمكي وفيرًا)). [٢٨٥]

والفولة كما أشار إليها بامطرف تعني ضريبة النجاة من أهوال البحر وهي تتكون من كميات من التمر والحبوب والحلوى حيث ((يلقي بها البحارة إلى البحر لإدخال السرور على المارد البحري لدى اجتيازهم رأس فرتك في طريقهم من الخليج. ولإعرابهم عن فرحتهم بالنجاة من الأخطار التي سمح لهم المارد البحري باجتيازها في سلام))[٢٨٦]. كما أخبرنا المؤرخ (أحمد عبد القادر الملاحي) نقلًا عن أخيه الأستاذ الشيخ (عبد الكريم عبد القادر الملاحي) الذي كان حينها مديرًا لمدرسة ريدة آل عبد الودود (الريدة الشرقية) قوله إنه في ((عهد الاستعمار كان البحرة هناك يعتقدون أنّ العفريت (فلان) متسلط على البحر ولهذا لا يركبون البحر حتى يسترضوه بذبيحة كبش. وطريقتهم في ذلك يعملون سوبان.. سوبان..)) [٢٨٧].

وثمة تقليد آخر كان متبعًا لدى البحارة (الملاحين) يطلقون عليه (الفوالة) نعتقد أنها محرفة عن (الفولة) فعند وصول سفينتهم المدينة وقبل أن ينزل منها البحارة لملاقاة أهاليهم وأطفالهم الواقفين على الشاطئ بانتظارهم. يخرج من المركب بحاران ومعهما كيسان من الهدايا المخصصة للأطفال تحتوي على (الكزاب (جوز الهند) وحبات من البرتقال أو التفاح وحلوى الفيل والصار وغيرها). وعند وصول هذين الاثنين للشاطئ يسرع أحدهما للجري باتجاه الشرق والآخر باتجاه الغرب. ويرمون بما لديهم من هدايا يمنة ويسرى بينما يجري خلفهم الأطفال فرحين بالتقاط هذه الهدايا التي يسمونها (الفوالة).

---

[٢٨٥] بامطرف، محمد عبد القادر، الرفيق النافع مرجع سابق ص١٢.

[٢٨٦] المرجع السابق، ص٢١-٢٢. الكلدي، السفينة ماقبل المكينة ص٨٩. وعن تقليد الفولة بالتفصيل انظر الكسادي، القاموس البحري، ص٢٧٦.

[٢٨٧] الملاحي، أحمد عبد القادر، المذكرة التاريخية الشحرية، (مخ) في نهايتها عند الحرف (م).

تقليد إراقة الدم:

ومن التقاليد المتأخرة المرتبطة بالسفن والبحر ماعرف بتقليد (تطيور (إراقة الدم) وهو تقليد اعتاد على فعله بناة السفن والقوارب البحرية الجديدة. فعند الشروع بالبناء بوضع أول قطعة خشبية من خشب السفينة وهي التي يطلق عليها بـ(الهيراب) والتي تشكل العمود الرئيس للسفينة. يقوم مالك السفينة بإحضار رأس غنم ويسلمه للعمال. وهؤلاء بدورهم يقومون بذبحه على هيراب السفينة ويجعلوا الدم المهراق ينساب على أجزاء عدة من الخشب. اعتقادًا أن هذا الفعل سيسهل من عملية البناء ويجعل من هذا المركب أو السفينة سليمة وخالية من العيوب والأغلاط. وأن عدم اتباعهم هذا التقليد سيؤدي حتمًا إلى وقوع أخطاء وأفعال من شأنها تعوق عمل السفينة. وهذا التقليد يعد في نظرهم افتداء للسفينة وصيانة لها من الأعطال. [٢٨٨]

وحقيقة إن إهراق الدم ليس في حالة بناء السفن الجديدة فقط. وإنما يفعل مثل هذا حتى عند بناء البيوت الجديدة. حيث يذبح رأس غنم عند الشروع في البناء أو بعد الإنتهاء منه ويراق دم الذبيحة على الموضع الذي سيشيد فيه المنزل. [٢٨٩]

وهذا التقليد موجود كذلك لدى بعض القبائل في ظفار [٢٩٠]. وفي ظفار أيضًا وعلى مايبدو قد يكون هذا سائدًا عندنا لتداخل العادات والتقاليد والتصورات الشعبية التي دللنا عليها في الكثير من المواضع [٢٩١] إن المزارعين وخلال فترة الحصاد يطوفون بين الحقول ومعهم بقرة. ثم تذبح ويراق دمها على أحد الجداول. ويقطع لحمها إلى أوصال صغيرة جدًا يتم تُنثَر على أرجاء الحقول. [٢٩٢] كما يراق الدم أيضًا على اعتاب بيت الزوجية عند مقدم العروس يزفها زوجها وأمام مدخل البيت يذبح رأس غنم ويطلب منها المشي عليه وأحيانًا القفز عليه قفزة خفيفة. وهذا تقليد متبع إلى فترات متأخرة.

---

[٢٨٨] الكسادي، القاموس البحري ص٢٧٣. الكلدي، محمد قاسم، السفينة ماقبل المكينة، ص٨٩. ولدى الظفاريين تقليد مشابه أورده الشحري، علي، في كتابه لغة عاد ص٣٢٧.

[٢٨٩] لمعرفة مثل هذا الطقس من إراقة الدماء عند الشعوب الاخرى انظر ماورد على سبيل المثال في معجم الحضارات السامية ص٦٢.

[٢٩٠] البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي (١٢١/٢)، (٢١٦/٢).

[٢٩١] نقول هذا نظراً لتقارب وتشابه العديد من العادات والتقاليد فيما بيننا، فضلاً عن الجوار الجغرافي والصلات التاريخية. وهي أمور ليست بخافية.

[٢٩٢] المرجع السابق (٢٠٥/٢).

وثمة مايشابه تقديم القرابين لآلهة البحر أو جنه وعفاريته في ماكان يفعله أهالي (عدن) في عادة يطلقون عليها (النشوح). إذ اعتادوا أنه في موسم الخريف وحين تتعذر دخول السفن لمرفأهم. يصحبون سبعة ثيران إلى جبل صيرة وقت الغروب ويتركونها هناك، ثم بحلول منتصف الليل يعودون إليهن ويأخذون ستة ويتركون واحدًا. ومع مطلع الفجر يذبحون هذا الواحد ويرمون بلحمه في البحر. اعتقادًا أنهم بهذه الطريقة ستجعل السفن تدخل بسلام. وقيل إن بني زريع أبطلوا هذه العادة أثناءحكمهم لعدن. [٢٩٣]

إن وجود آلهة للبحر في تصورات الشعوب المطلة على البحار يمكن القول عنها إنها منتشرة في فولكلورهم وهي على ارتباط وثيق بتاريخ وثنيتهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أن قدماء الفينيقيين كانوا يعتقدون في إله السمك ويدعى (داجون) Dagon وهو نفسه إله الزراعة، ويصور على هيئة إنسان نصفه الأعلى بشر ونصفه الآخر من البطن إلى أسفل سمكة. في مشابهة لما عرف في الأدبيات الفولكلورية بحورية البحر. وهذا التوصيف يقترب من هيئة ربة البحر العاصف وربة الغرقى عند النرويجيين القدماء وتدعى (ران) Ran وكان يقدم لهذه الربة قربان بشري قبل الإبحار في رحلات طويلة. وهناك الإله (نيورد) Niord إله مياه الشواطئ وإله الصيد والتجارة الإسكندنافية.

وفي أسطورة لدى سكان هاواي وجود إله للسمك يدعى (أوكوبانيبو)[٢٩٤] Ukupanipo وهو المتحكم في السمك بدفعه إلى الشاطئ أو إبعاده عنه. ولا ننسى كذلك (بوسيدون) Poseidon إله البحر في الأساطير اليونانية. وفي الأساطير الهندية شيطان البحر يدعى (بانتشاجانا)[٢٩٥] Panchagana وسنأتي لرقصات بعض تلك الشعوب المتعلقة برقصاتهم البحرية حينما نتعرض لرقصة سوبان.

---

[٢٩٣] لقمان، حمزة، أساطير، مرجع سابق ص١٩.

[٢٩٤] انظر حرب، طلال، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م ص٧٢.

[٢٩٥] المرجع السابق ص٩٨.

علاقة افتراضية بين سوبان وإله البحر اليوناني:

يطلق على آلهة البحر لدى قدماء اليونان بـ(بوسيدون)[٢٩٦] وهي كما نرى لفظة مركبة تتقارب مكونات مقاطعها الصوتية بمكونات المقاطع الصوتية للفظة (سوبان) التي ربما اعترى لمقاطعها الصوتية (الحروف) قلب وإبدال لتقادم السنين والأعوام تمامًا مثلما استبدلت لفظة الآلهة عثتر بلفظة عفتر أو عشتار أو عشتروت. نقول ذلك خاصة إذا علمنا أن مجاميع عديدة من قدماء اليونان أرسلهم إمبراطورهم الأسكندر المقدوني بناء على مشورة معلمه أرسطو طاليس ليستوطنوا جزيرة سقطرى القريبة من ساحل حضرموت. [٢٩٧] كي تكون الجزيرة قاعدة لهم ولنشر عقائدهم الوثنية فضلًا عن الاستيلاء على خيرات الجزيرة.

فهل سوبان من بقايا تلك العقائد الوثنية لتلك الأقوام؟ بعد أن حرّف اسميًا؟ وشاع وانتشر إلى سواحل العربية الجنوبية؟ مع ملاحظة ان جميع آلهة اليونانيين تأخذ الطابع البشري. وثمة أقوال تذهب إلى أن يونانيي سقطرى أو بعض منهم إنما كانوا يدينون بالنصرانية بعد ظهور المسيح خاصة. مما يبعد ذلك التقارب المفترض. وهذا يدفعنا للسؤال أيضًا إن كان سوبان من بقايا عقائد من سكن في الجزيرة من الهنود أو الأفارقة؟.أم إنها ديانة أصيلة بالمنطقة؟. وعن مقاربة أخرى لبوسيدون ثمة جزيرة صغيرة على بحر العرب يطلق عليها بجزيرة بوسيدوه!.

كما توجد جزيرة أخرى صغيرة على الجنوب من صولو بإندونيسيا مساحتها حوالي ٤ كم٢. تدعى (نو سوبان). ولاندري إن كان ثمة علاقة ما بين الاسمين ودلالتهما ولكن جل مانعرفه أن الحضارم ومنذ القدم اتصلوا بمختلف المناطق الواقعة جنوب شرق آسيا واستقروا فيها.

---

[٢٩٦] لمعرفة المزيد عن بوسيدون **poseidone** إله البحر ومعاونيه عند قدماء اليونان انظر على سبيل المثال كتاب الألهة والأبطال في اليونان القديمة تأليف أ . أ . نيهاردت ترجمة د . هاشم حمادي ، الأهالي للطباعة والنشر – دمشق – ط١ ١٩٩٤م ص١٩–٢٠. وأسطورة بوسيدون أو باسيدون موجودة كذلك عند الرومان والأمازيغ.

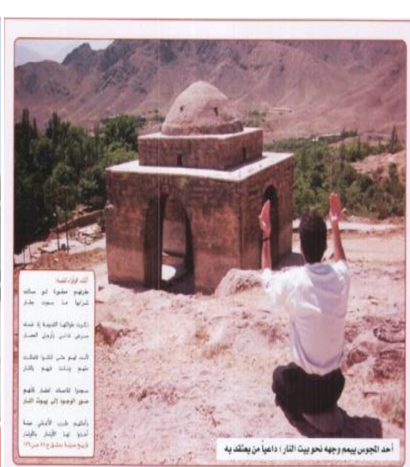
[٢٩٧] حول أصول بعض السقطريين اليونانية انظر علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣/٢٤–٢٥) . ط٤ الناشر دار الساقي ٢٠٠١م . وانظر أيضاً معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٢٢٧) والمسعودي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . كما أشار لذلك القزويني في آثار البلاد وأفعال العباد...إلخ.

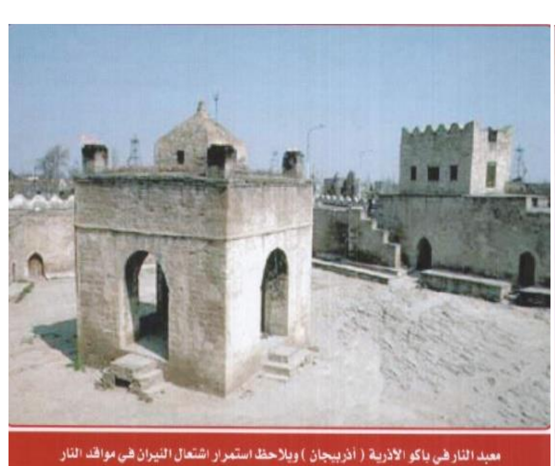
ومن المفارقة أن هناك إلها آخر تتقارب مقاطعه الصوتية من سوبان وجد في الأساطير الأفريقية كما تشير له بعض المراجع ويدعى (سوبونا)[٢٩٨] إلا إنه ليس إلهًا للبحر وإنما إله للأمراض والمصائب.

المسوبان معبد المجوس:

من بيوت النار المعظمة التي وجدت في بلاد فارس والتي ذكرها (الإصطخري) في كتابه (مسالك الممالك) بيت نار يدعى (مسوبان) وموضعه كما أشار بقرية تدعى البركان بشيراز [٢٩٩]. والمسوبان لفظة تتقارب من إله البحر السابق ذكره (سوبان). بل إن هذه اللفظة المحلية (سوبان) ينطقها بعض الصيادين (مسوبان) هكذا. وللفرس حضور ملموس في المنطقة سواء كان هذا قبيل ظهور الإسلام أم بعده.

وهذا الحديث عن سوبان ومعبد المسوبان الفارسي يستوقفنا أمام تلك السقايات المتفرقة التي دأب الحضارم على إشادتها في أنحاء متفرقة من منطقتهم سواء كانت داخل المدن أم على بعض طرق سير القوافل القديمة. والهدف من هذه السقايات تقديم الماء للعابرين وأبناء السبيل. إن الشكل الخارجي لهذه السقايات يتشابه إلى حد ما مع الشكل الخارجي لبعض معابد المجوس (بيوت النار) باستثناء كبر حجم الأخيرة واتساعها وتوسط النار فيها وصغر حجم الأولى ذات الفتحات الضيقة التي تسمح فقط لمرور يد الشارب أو سكب الماء على الحوض الموجود بوسطها.


أحد المجوس يمم وجهه نحو بيت النار ؛ داعياً من يعتقد به


معبد النار في باكو الأذرية (أذربيجان) ويلاحظ استمرار اشتعال النيران في مواقد النار

---

[٢٩٨] حرب، طلال، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة ص٢٠٦.

[٢٩٩] الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، طبع في مدينة ليدن، بمطبعة بريل، ١٨٧٠م. ص١١٩.

الصورتان أعلاه توضحان بيوت النار عند المجوس. المصدر أطلس الأديان ص٦٠٣، ص٦٠٧.



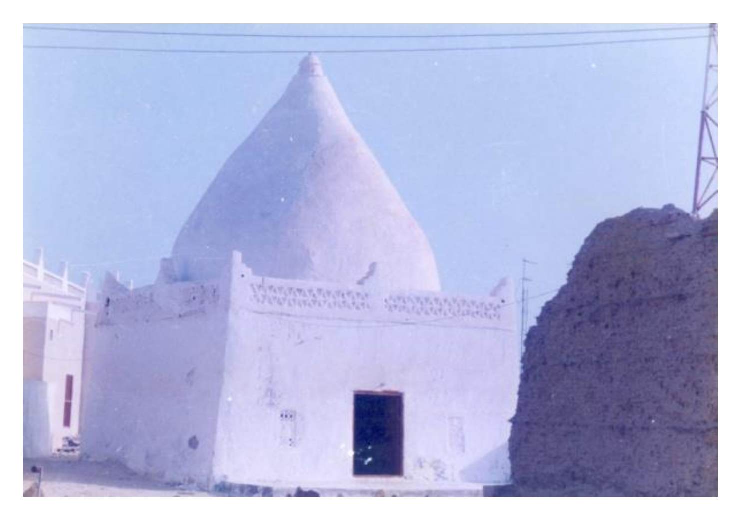

سقاية ماء قديمة على مقربة من مسجد الجامع بالشحر   سقاية في حضرموت الداخل

والملاحظ أن بعض مناطق في حضرموت تطلق على سقاية الماء ألفاظًا أخرى منها سُبل أو سبيل وتجمع على أسبلة. ولفظة أخرى هي (المربدة) ولا ندري في هذه اللفظة الأخيرة إن كان ثمة من علاقة ما تربط بين هذا الاسم (المربدة) واسم (هربذ أو هرابذة) الذي يعني كما في لسان العرب لابن منظور: (((هربذ) الهِرْبِذُ بالكسر واحد الهَرابِذَة المجوس وهم قَوَمَة بيت النار التي للهند فارسي معرب وقيل عظماء الهند أو علماؤهم والهِرْبِذَى مِشْيَةٌ فيها اختيال كَمَشْي الهرابذة وهم حكام المجوس)). [٣٠٠]

وفي المفصل لجواد علي: ((قد عرف عالم المجوس ورئيسهم الروحي عند العرب بـ "الموبذ" و"الموبذان"، وعرف كبيرهم بـ "موبذان موبذ")) ([٣٠١]). وفي مدينة الشحر وجدت عدة قباب بداخلها أضرحة وقبور ومثلها في أرجاء حضرموت تتشابه غالبيتها في تصميمها الخارجي على الأقل مما أوردناه من تصميم لمعابد النار المجوسية مع الفارق طبعًا. فهل هذه التأثيرات الفارسية من قبيل المصادفة!؟.

---

[٣٠٠] لسان العرب (٥١٧/٣).
[٣٠١] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٧١/١٢).





نماذج من بعض القباب في مدينة الشحر وبداخلها اضرحة أولياء

دلالة لفظة سوبان:

أما عن دلالة اللفظة (سوبان) لغةً واصطلاحا في المعاجم والقواميس العربية فبالرغم من بعدها عن الآلهة أو البحر مثبتة كعلم في تلك المعاجم نافية أن تكون هذه اللفظة كما ذهب لها بعضهم على أنها (مجهولة أو غير ذات معنى). فقد جاء عنها في معجم البلدان لياقوت الحموي: ((السوبان بضم أوله، وبعده واو وباء موحدة وآخره نون: علم مرتجل لاسم وادٍ في ديار العرب. وفي شعر لبيد: اسم جبل. وقيل أرض بها كانت حرب بين بني عبس وبني حنظلة. قال أوس:

كأنهم بين الشميط وصارة   وجرثم والسوبان خشب مصرع))[٣٠٢].

وجاء في قصيدة لتميم بن مقبل يصف فيها سحابًا :

فأمسى يحط المعصمات حبيه   وأصبح زياف الغمامة أقمرا

كأن به بين الطراق وداهـــق   وناصفة السوبان غابا مسعرا.

وفي تاج العروس للزبيدي: ((سوبان كطوفان: وادٍ ذكره غير واحد من الأئمة. أو جبل أو أرض ويوم معروف: قال أوس بن حجر يعير طفيل بن مالك بن جعفر وقد خذله يوم السوبان:

لعمرك ما آسى طفيل بن مالك   بني أمه إذ ثابت الخيل تدعي)) [٣٠٣].

كما وردت اللفظة في بعض أشعار الجاهليين كقول لبيد:

درس المنا بمتالع فأبـــــان   بالحبس بين البيد والسوبان

ومن شعر لبيد أيضًا

جون بصارة أقفرت لمـــــــزاده   وخلاله السوبان فالبرعوم.

وأنشد الجوهري لزهير:

وركن بالسوبان يعلون متــنه   عليهن دل الناعم المتـــــنعم

ولزهير كذلك:

خرجن من السوبان ثم جزعنه   على كل قيني قشيب ومفأم. [٣٠٤]

قد يظن بعضهم أننا هنا نسعى لاقحام مواضيع متباعدة لإثبات فكرة ما بعيدة عنها. لكننا نؤكد أننا لا نهدف إلا البحث عن الحقيقة وسبر أغوارها حتى وإن كانت كامنة في المجاهيل السحيقة أو غير المتوقعة أو البعيدة عنا.

وخلاصة القول إن تلك الدلائل والقرائن المتوفرة أو بعضًا منها تشير بوضوح إلى وجود ارتباط ما بين سوبان والعبادات الوثنية القديمة. وبينه وبين البيئة البحرية والرغبة في الصيد الوفير تؤهلة لأن يكون إله البحر لدى القدماء وإن غابت

---

٣٠٢ الحموي، ياقوت، معجم البلدان (٢٧٧/٣).

٣٠٣ الزبيدي، تاج العروس (٧٦/٣).

٣٠٤ ابن منظور لسان العرب (٤٧٧/١)، وكذلك (٧٣٩/١) وكذلك (٣٥/٨) و(٤٤١/١٢-٤٥٩) وغيرها.

حقيقته اليوم لتقادم السنين الطوال وظهور الإسلام الذي قضى على كل وثنية. وفي الوقت نفسه نجد أن آثاره بقيت كما أشرنا مترسبة في ذاكرة الأجيال على هيئة ممارسات وسلوكيات لا واعية يقوم بها وبصورة عفوية الصيادون والبحارة سواء كان على شكل قرابين تقدم لقوى غيبية كلما اقتربوا من موضع بحري محدد أو عند ترديدهم لأهازيج العمل البحري التي يتردد فيها ذكر سوبان. أم أثناء قيام الصيادين برقصات وطقوس تمارس في يوم معلوم يسمى عند الشحريين بـ(يوم سوبان) وفي هذه الرقصة محاكاة لما يقوم به الصيادون في عرض البحر ويتردد فيها لفظة سوبان. وهي لا تعدو اليوم في نظر العامة عن أن تكون مجرد رقصة فولكلورية فاقدة للدلالات والمضامين التعبدية كطقس كان يمارس رغبة في النجاة والصيد الوفير. وهذه الرقصة انتهت نهائيًا أواخر خمسينيات القرن العشرين.

رقصة سوبان (صنبوق):

بحلول فصل الخريف الزراعي (الصيف) حيث هبوب الرياح الموسمية التجارية (الكوس) يعزف الصيادون عن ارتياد البحر لخطورته. وفي هذا الفصل وتحديدًا في نجم البلدة تقريبًا (١٧ يوليو-١٢غسطس) وكعادة متبعة يحدد الصيادون يوم الاثنين في الأسبوع الأول من ظهور هذا النجم. حيث يتجمعون صباح هذا اليوم المحدد أمام بيت مقدم الصيادين بحي المجرف، ثم التحرك بجموعهم لزيارة عدد من الأضرحة والمساجد القديمة المعلومة. لتمارس في بعضها رقصتهم الخاصة بهم التي تسمى (صنبوق). والصنبوق أو السنبوق اسم لنوع من القوارب المستعملة في الصيد. ويقوم في هذه الرقصة بمحاكاة عمله في البحر.

أما عن كيفية ممارسة الرقصة الصنبوقية تلك داخل المساجد فيصفها الباحث حداد نقلًا كما أشار عن فلكلوري راصد: ((فنراهم وكأنهم قاعدون على سفن الصيد ينشدون بعض الأهازيج الخفيفة. وتكون إيقاعات الرقصة عبارة عن ضرب الاكف بالأرض بضربة واحدة جماعية متناسقة إلى حد بعيد مع اللحن البسيط. وهي تعبير ذكي ورائع في أسلوب مرح يمثل وقع المجاديف على سطح ماء البحر. ويقوم آخر بإلقاء الشبكة باستعمال ردائه أو بحركات من يديه. ويقوم ثانٍ بعملية التكوير. وهو أن يغطس في البحر ليجمع أطراف شبكته التي ربما تكون قد حوت جمعًا من الاسماك الصغيرة. ويتحرك آخرون لجر الشبكة أو الحبال. وهكذا والشدو مستمرًا وصوت ضرب الأكف يصل واضحًا إلى أسماع المشاهدين. ثم يقوم آخرون – بتقليد عملية

الاصطياد برمي (العدة) ويطلقون بعض الألفاظ والعبارات التي اعتادوا أن يقولوها عند الاصطياد...)) [٣٠٥] وخاصة تلك التي يتردد فيها ذكر لفظة سوبان.

ومثل هذه الرقصة (صنبوق) التي أوردها حداد، أشار اليها كذلك المؤرخ أحمد الملاحي في مخطوطته (المذكرة التاريخية) ولكن على نحو مختلف قليلًا ونحن نوردها هنا للأمانة العلمية إذ يقول: ((ومن عادات البحرة إذا انتهى الخريف وأرادوا الركوب في البحر يزورون أولًا صاحب البحر. ثم يزورون القبب وأضرحة الأولياء المشهورين. وفي كل قبة يدخلونها يمثلون رواية ركوب البحر والاصطياد. فيفرش أحدهم ثوبه على الأرض ويجلس فيه منهم نفران (مثال للسنبوق) ويسوبون (يجذفون) بأيديهم ويترنمون بقصيدة أولها: سوْبَانْ سوْبَانْ. وكلهم يترنمون بصوت واحد معًا. وفي أثناء ذلك يخطفون واحدًا من الصبيان المتفرجين ويرمونه على الثوب ويضربونه بكفوفهم الخشنة ويتلقفونه من واحد إلى واحد (مثال للحوت) وبعضهم يخطفون الصبيان بإلقاء ثوب عليهم ويسحبونه في وسط الثوب حتى يضعوه في سنبوقهم الممثَّل ويدحرجونهم من واحد إلى واحد في وسط الثوب. والصبيان يبكون ويصيحون وباقي الصبيان المتفرجين يترنمون: (سوبان سوبان) ويضحكون. والبحرة الممثلون في جهد جهيد (يمثلون حالتهم وقت الاصطياد). ثم يرتبون الفاتحة بنية أن الله يزيّن لهم البحر ببركة هذا الولي. وهكذا يفعلون في كل قبة. ويومهم هذا يسمى (سوبانْ سوبانْ) كما أن فعلهم هذا يسمى (سوبان سوبان). فإذا سألت ماذا يفعلون؟ يرجع إليك الجواب: يفعلون سوبان سوبان. فبعضهم يتصدقون ويخرجون بالجريف حاملينه على أكتافهم ومعهم البخور ويزفون به وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى السيف ويركبون على السنبوق)) [٣٠٦].

(وأضاف الباحث عبدالله حداد): وقد أكد لي بعض كبار السن من الصيادين أنهم في احتفال يوم سوبان يذهب بعضهم إلى قبة الولي (سالم بن عمر العطاس) ويركب أحدهم التابوت الذي يغطي قبر الولي. ويتخذ فيه وضعية كأنه في قارب ويحرك يديه كأنه يجدف بهما يمنة ويسارا. ثم يقوم برمي عمامة رأسه بعد أن ينشرها كأنها شبكة صيد ليمسك بطرفها ويحاول التمايل معها كأنه بالفعل في قارب

---

[٣٠٥] للمزيد من التفصيل انظر، حداد، عبد الله صالح، الرقص الطقوسي، كما أن له محاضرة بحثية ألقاها بمعهد رباط المصطفى للدراسات الإسلامية بمدينة الشحر وذلك بتاريخ ٣ / ٨ / ٢٠٠٧م بعنوان العادات والتقاليد في منزلة البلدة بحضرموت – الشحر أنموذجًا، وفيها تناول هذا الموضوع بتفصيل أكثر، وقد تحصلت على نسخة خطية منها وبخط الباحث نفسه، بعد أن تفضل مشكورا بإهدائي إياها، وقد استعنت ببعض ماجاء فيها هنا.

[٣٠٦] الملاحي، أحمد، المذكرة التاريخية (مخ) نهاية المخطوط حرفا القاف والكاف.

تتلاعب به الأمواج. ثم يقفز من التابوت أو يقوم بالقفزة شخص آخر وكأنه يغوص تحت الشبكة ويعاملها. في حين يردد الآخرون أهازيج سوبان.

وأهازيج سوبان التي تردد في تلك الاحتفالية لا تخرج عن ثلاثة أنواع وهي:

١) سوبان سوبان ويقال فيها (٣٠٧):-

عادنا عادنا سوبان سوبان

يازين مانا خلي لك سوبان سوبان

لا يا الله القفل بيدك سوبان سوبان

ولا تغلق عبيدك سوبان سوبان

٢) هيه سوبان ويقال فيها (٣٠٨):-

يا باعلي هيه سوبان

قطعت بي هيه سوبان

قطع نخيل هيه سوبان

من عا سعف هيه سوبان

٣) هيلا سوبان ونأخذ منها مقتطفات (٣٠٩):-

يعين الله هيلا سوبان

بالهواني هيلا سوبان

يا بوي انا بالجواني هيلا سوبان

توهن الخشب بتدبيره هيلا سوبان

---

[٣٠٧] حداد، الرقص الطقوسي ص١٢؛ وجاءت هذه القصيدة في كتيب الباحث علي محمد عبيد(أغاني صيادي السمك الشتوية بقرية شقرة) بصيغة أخرى مشابهة، انظر المرجع المذكور ص٤.

[٣٠٨] الرقص الطقوسي ص١٢.

[٣٠٩] للمزيد منها انظر الملاحي، عبدالرحمن الصيادون شعرهم وعاداتهم المهنية ص٩، بن غوذل، أحمد صالح، أغاني العمل ص٩.

يا بوي انا	هيلا سوبان
حالي ضنا	هيلا سوبان
يا بن عويش	هيلا سوبان
والخير فيش	هيلا سوبان
والخير جم	هيلا سوبان
مابه عدم	هيلا سوبان

ومن الأهازيج المتأخرة عن سوبان لا تزال عالقة في الأذهان ويرددها حتى صغار السن قولهم:

سوبان... سوبان

الجذب قال شلونا

سوبان... سوبان

شلونا بغيت المكلا.

ومثل هذه الأهازيج التي أوردناها توجد غيرها وفيهن جميعا تتداخل وتتحور وتتنوع المفردات بناء على ذاكرة الرواة وحفظهم. وتلك الأهازيج يرتجزها الصيادون أثناءممارستهم مختلف الأعمال الخاصة بالبحر والاصطياد. وسنتطرق إلى تفاصيلها أكثر في الجزء الخاص بأغاني العمل من هذه السلسلة بمشيئة الله تعالى.

أما عن المساجد التي كان يزورها الصيادون وفي بعضها تمارس تلك الرقصة (الصنبوق) فنشير إلى أن أولها في الصباح الباكر مسجد الولي (سعد الدين بن علي الظفاري) (ت: ٦٠٧هـ/١٢١٠م) بحي المجرف. ويعد مسجده من أقدم المساجد بالمدينة. حيث تمارس بداخله الرقصة. ثم تتجه جموع الصيادين لضريحه الواقع على مقربة من مسجده. ومن ثم زيارة الأضرحة المجاورة وخاصة ضريح الولي (سالم بن عمر العطاس) (ت: ١٢٢٥ هـ/١٨١٠م). وضريح الولي (عبد الله بن شيخ العيدروس) (ت: ١٠٧٢ هـ/١٦٦١م). ثم التوجه إلى مسجد الشيخ الولي (عمر المحضار) (ت:٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الموجود بعقل باعوين. وبداخله تمارس الرقصة نفسها (الصنبوق). وبعدها زيارة ضريح الولي (عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل) (ت: ٩١٨هـ/١٥١٢م) وهو الضريح الموجود بداخل قبته بمقبرته (بلحاج)

المجاورة لمسجد بن عتيق. ثم التوجه إلى مسجد الشيخ الولي (عبد الله باهارون) (وهو من رجال القرن العاشر). ثم التوجه إلى مسجد وضريح الولي (شيخ بن إسماعيل) (ت: ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، وفيه أي المسجد تمارس رقصة الصنبوق. ثم التوجه إلى مسجد الشيخ (عمر المحضار) الموجود في حي الخور لتمارس فيه الرقصة أيضًا.

وفي عصر ذلك اليوم الخاص باحتفالية سوبان، تقرأ قصة المولد النبوي الشريف بمسجد الشيخ (أبو بكر بن عبد الله العيدروس) (العدني) (ت: ٩١٤ هـ/١٥٠٨م) بحافة الرملة (حي الصيادين) وعلى الساحة المجاورة للمسجد تقام رقصة الشواني. وقبيل المغرب بقليل تمارس بالموقع رقصة صنبوق السابق ذكرها. وكانت تلك الممارسات تجرى وسط حشود كبيرة من المتفرجين [٣١٠].

وكعادة متبعة في ذلك اليوم ظهرًا يقوم ربان كل صنبوق (قائده) بتقديم ذبيحة (رأس غنم) مع الأرز كوجبة غذاء لرفاقه العاملين معه في هذا الموسم. وكعرف ساد بينهم فيتوجب على كل من تناول من هذه الذبيحة أن يعمل صيادًا لدى هذا الربان طيلة أيام الموسم القادم.[٣١١]

إله البحر عند المشقاصيين وأهالي شحير:

سبق أن أشرنا إلى أن سوبان هو إله المناطق الساحلية في جنوب الجزيرة العربية. إلا أن المؤرخ (أحمد بن عبد القادر الملاحي) نقل لنا رواية أخرى عن أخيه الشيخ الفقيه (عبد الكريم الملاحي) وكان معلماً في ريدة آل عبدالودود (الريدة الشرقية) بأنهم كانوا يمارسون طقوسًا وابتهالات إرضاء للقوة الغيبية المتسلطة على البحر دون أن يسمي هذه القوة بالرغم من معرفته بسوبان. مما يوحي وكأن هناك اسمًا آخر لدى المشقاصيين[٣١٢] غير سوبان. إذ كتب يقول: ((إن البحرة هناك يعتقدون أن العفريت (فلان) متسلط على البحر. ولهذا لايركبون البحر حتى يسترضوه بذبيحة كبش. وطريقتهم في ذلك يعملون سوبان سوبان أو ماهو أشبه منه. وينشرون سبع جرف [٣١٣] على البطاح في السيف (وأرض الريدة كلها بطحاء) وهم

---

[٣١٠] حداد، عبد الله صالح، الرقص الطقوسي بتصرف قليل. ص٧-٩.

[٣١١] الرقص الطقوسي، ص٨.

[٣١٢] المشقاصيون نسبة إلى المشقاص وهي أرض واسعة تشمل عدة مدن وقرى أشهرها مدينتا الريدة وقصيعر. والمشقاص في العربية الجنوبية جهة يعني بها الشرق. للمزيد انظر المقحفي، معجم البلدان (١٨٩٤/٣).

[٣١٣] الجرف: جمع جريف وهو الشبك الكبير الواسع، ويصطاد به سمك العيد(الساردين).

ينشدون نشيدهم المعروف عن أجدادهم الجهلة. ويأتون بالكبش المسمى للعفريت الفلاني (له اسم نسيته) [٣١٤] ويرمونه تحت الجريف الأول ويتبادلون رميه ويدحرجونه من هنا ومن هنا ويصكصكون به حتى يصل إلى الجرف الثاني والثالث والرابع وهكذا حتى ينتهي من السابع وهو تعبان جدًا جدًا، لغاية أنه لا يستطيع أن يجلس. عندئذ يذبحونه من ورائه ويلقونه في البحر باسم العفريت. وبعد ذلك يركبون بالجريف. وهذه العادة ألفوها منذ أجيال قديمة)) [٣١٥].

وقد بينا من قبل بعض التقاليد التي كان يقوم بها البحارة القادمون من البصرة أو الهند أثناء مرورهم بالقرب من رأس فرتك وكيف كان يتطلب منهم تقديم قربان الفولة إرضاء للجان أو المارد البحري الموجود هناك كضمان لسلامة المرور. وكذلك ماتفعله السفن القادمة من شرق أفريقيا إذ يقدمون قربانهم الرمزيأثناءمرورهم عند رأس عسير أو جزر عبد الكوري[٣١٦]

من الواضح أن هناك ارتباطًا ما بين هذه الممارسات والاعتقادات الوثنية القديمة ظلت عالقة في ذاكرة المجتمع لم يؤثر فيها تغير الزمان. بل وبعضها غلّف بغلاف إسلامي. ولعل في قيام بعض الرقصات المرتبطة بسوبان في المساجد عوضًا عن قيامها قديمًا في المعابد التي لم يعد لهذه المعابد أي اثر أو ذكر على الإطلاق. كما أن السدنة الوثنيين السابقين استبدلهم الزمان بسدنة من نوع آخر يرتدون وشاحًا إسلاميًا. نستطيع ان نلمس هذا بوضوح فيما أورده الشيخ أحمد الملاحي عن عادات صيادي شحير في احتفالاتهم الطقوسية تلك إذ كتب:

((وأما بحرة شحير، فيذبحون الذبائح أولًا في شحير ويتصدقون منها على من عندهم من مناصب آل باوزير. ثم يحملون الباقي إلى الغيل ليقسموه على من فيها من آل باوزير. وكل بيت منهم لهم شيء معين. ويعدون ذلك حقًا من حقوقهم على آل شحير السذج المساكين الجهلة. والكراع والأمعاء ونحو ذلك للجن حق آل باوزير. يضعونه في غار بين قرية شحير وقرية غيل باوزير. اعتقادًا منهم أن الجن ساكنون فيه. كما أنهم يعتقدون أن التقصير في هذا العمل يسبب تعطيل البحر كما يوحون إليهم المشائخ الجهلاء بذلك. ثم يرجعون إلى شحير ليحملوا جرفهم إلى السيف في كبكبة من الناس. رجالًا ونساء. ويزفون بالجرف بالفرح والسرور ومرددين الصلاة والسلام على الرسول سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم. وبحرة شحير لا يصطادون إلا العيد بخلاف بحرة الشحر فهم رجال البحر وماهرون ويفهمون مواضع الحوت وأنواع

---

[٣١٤] هكذا وردت في النص المقتبس.

[٣١٥] الملاحي، أحمد عبد القادر، المذكرة التاريخية الشحرية (مخ) حرف اللام نهاية المخطوط.

[٣١٦] للتفصيل انظر الكسادي، القاموس البحري ص٢٧٦-٢٨٤.

الأسماك والنجم الذي يأتي فيه الصيد الفلاني. ولهم مهارة في مقاتلة الحوت المهاجم بسيفه ونحو ذلك من أنواع الحيتان)) [٣١٧].

وبمقارنة سريعة لما تفعله بعض الشعوب الأخرى من رقصات طقوسية تتعلق بصيد الحيتان أو ركوب البحر فإن الإسكيمو على سبيل المثال وقبيل ركوبهم البحر لإصطياد الحوت يقومون ((بحركات تمثيل صيده بنجاح، تلعب فيه امرأة دور الحوت ويرش على الثلوج بعض الرماد لطرد الأرواح الشريرة ويترنم الصيادون ببعض الاناشيد. وفي بعض الجهات يرقص الصيادون وهم عرايا وعلى وجوههم أقنعة خشبية تصل إلى أكتفاهم. وفي جهات أخرى تقبل زوجات صيادي الحيتان وهن يرتدين ثيابًا خاصة بهذه المناسبة ويرقصن ويترنمن ببعض الأغاني وترقص زوجات الصيادين وأطفالهم في حلقة من أضلاع حوت. ويقوم الراقصون بحركات عنيفة يهزون فيها أذرعهم ويقفزون. بينما تقوم الراقصات بحركات يؤرجحن فيها جذوعهن وأذرعهن وهن في أوضاع الجلوس أو الوقوف. واخيرًا تأتي فترة حداد يستمر لمدة ثلاثة أيام لتهدئة روح الحوت وتنتهي بإقامة وليمة فخمة ورقص محموم ترتدي فيه الراقصات أقنعة أثناء تلاوة الرقي)) [٣١٨].

أما سكان جزر (أولاند) وهي تتبع الآن فنلندا في حين يتكلم سكانها اللغة السويدية، فنجد انهم يحتفلون بيوم في السنة يطلقون عليه (يوم البحر) وفيه يمارس السكان طقوسًا غريبة من الرقص والغناء أوردها لنا مؤلف كتاب (عادات الشعوب وتقاليدها) أديب أبي ضاهر. وفيها يقول إن الناس في الجزيرة يغنون ويرقصون في ذلك اليوم ((ثم لا تلبث أن تصل مجموعة أخرى إلى المكان نفسه ترتدي أقنعة غريبة تشبه رووس حيوانات غريبة. ومن بين هذه المجموعة تبرز فتاة يحملها خمسة أشخاص يقودهم شاب مقنع يحمل رمحًا مزخرفًا بأصداف البحر. ثم تلقى الفتاة في البحر ويسود صمت عميق. وتظهر الفتاة بعد برهة من تحت أقدام صخرة تشبه كهفًا فيتعالى الصياح والصراخ ويبدأ الرقص من جديد حول الفتاة التي تجلس على صخرة تحدق في البحر..)) [٣١٩].

---

[٣١٧] المذكرة التاريخية (مخ) حرف اللام.

[٣١٨] يونس، عبد الحميد، معجم الفولكلور، كتاب إلكتروني تعود ملكيته كما بالملصق إلى كتب عربية، ص٢٣٧.

[٣١٩] أبي ضاهر، أديب، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الكاتب العربي، دار الشواف للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ص٧٥.

عبادة الأصنام

نحب أن نذكر أننا في هذه الفقرة وفي الفقرات التي تليها كان تركيزنا أكثر على ماورد عن هذه الأصنام أو الآلهة في الأدبيات الكلاسيكية العربية وماتضمنه العقل الجمعي بعيدًا عن ماجاء في الآثار والنقوش إلا في حدود بعض الإشارات الداعمة. وهذا كما أشرت يعود لاهتمام دراستنا بالجوانب الشفهية والوجدانية الموجودة في تصورات الناس من جهة. ولقلة المصادر والمراجع الحضرمية التي قد تغنينا في دراستنا هذه من جهة أخرى.

فعن عبادة الأصنام في حضرموت ومنها الشحر في العصور القديمة فنشير وإلى أنه لا توجد إلى الآن أية إشارات قوية تؤكد عبادتها بالمنطقة. وفي هذا ذهب غير واحد من الباحثين. خاصة أن الديانات السائدة في المنطقة كما أشرت في الفقرات السابقة هي الديانات الفلكية. وبعضهم زاد عليها الديانات الكتابية. وبالمقابل لا نستطيع نحن نفي وجود هذه العبادة (الأصنام) على الأقل في العصور القريبة لظهور الإسلام. نقول هذا بالرغم من أن بعض الأصنام التي اكتشفت بالمنطقة أو ذكرت في بعض المؤلفات الكلاسيكية، لم تكن تعبد لذاتها وإنما تجسيدًا لإحدى تلك الآلهة القديمة التي عبدت في المنطقة. ونلاحظ أن عددًا من تلك الاصنام التي نسبت إلى حضرموت في المصنفات الكلاسيكية، خصت قبيلة كندة بعبادة العديد منها. وقبيلة كندة أو بطون منها تعد من آوائل القبائل التي استوطنت المدينة (الشحر) وهي التي اختطت كما قيل أول أحياء مدينة الشحر وهو حي (القرية). كما أن لكندة احتكاكًا كبيرًا بشمال شبه الجزيرة العربية. و إن صحت عبادة قبيلة كندة للاصنام فاحتمال أنها نقلتها من هناك إلى حضرموت.

وسنحاول هنا أن نشير إلى ماوقفنا عليه من أصنام ذهبت بعض الروايات إلى أنها كانت تعبد في مناطق من حضرموت عامة، منها:

<u>١) مرحب:-</u>

وسدنته ذا مرحب. ويقال إن ذا مرحب أحد أقيال حضرموت. [٣٢٠] ومرحب كما جاء في بعض معاجم الانساب والبلدان:((قيل ينتسب إلى آل ذي مرحب، ربيعة بن معاوية بن معدي كرب، كانوا يقطنون حضرموت)) [٣٢١].

---

٣٢٠ العلوي، صالح الحامد، تاريخ حضرموت (٥٧/١) وهو ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي، وهو ممن كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لقومهم. فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت السياسي ص٢٥٦.

ويلاحظ أن هذا الصنم لم يذكر في كتاب (الأصنام) الشهير لابن الكلبي وإنما ورد في ملحق الكتاب لمحققه أحمد زكي باشا نقلًا عن تاج العروس للزبيدي وفيه يقول: ((وذو مرحب ربيعة بن معد يكرب وكان سادنه أي حافظه)) [٣٢٢]. وثمة مواضع عدة في بلاد الجنوب العربي حملت هذا الاسم (مرحب). [٣٢٣] ولعل آل ذي مرحب الحضارمة هم سدنة ذلك الصنم وإليه ينتسبون. خاصة وأن الكتاب الذي سلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكبير ذي مرحب (ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي) بعد دخولهم الإسلام، يشير إلى الثروة الهائلة التي كانت تملكها هذه الأسرة. [٣٢٤]

وعن هذا الصنم أيضًا وكما جاء في كتاب تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي للدكتور سرجيس فرانتسوزوف قوله: ((ولم يميز المؤلفون العرب في العصور الوسيطة بين معتقدات سكان حضرموت الأصليين والمعتقدات الوثنية التي كانت سائدة في أوساط بادية العرب ومثال على ذلك ماذكر عن صنم (مرحب) الذي كانت تعبده حضرموت. فلقد زعموا أن له سادنا اسمه ذو مرحب، مثله مثل أي صنم كان في وسط الجزيرة العربية (ويقول) والمعلومات المتوافرة عن مرحب هذا يسيرة جدا وليست بواضحة وهو يشير – على أغلب الظن – إلى تقبل السكان الحضارمة الأصلاء للمعتقدات البدوية، بقدر ماتشير إلى الفهم المحرّف لديانات حضرموت الوثنية من طرف المؤرخين في الفترة الإسلامية. ويعني اسم (مرحبم) في النقوش العربية الجنوبية المتأخرة، اسمًا لمبنى معين...)) [٣٢٥] وقد ذكرت بعض النقوش المكتشفة بوادي سنا اسمًا لآلهة تدعى (مرحبت) [٣٢٦].

ويذكر ابن حبيب ان تلبيه ناسكي هذا الصنم ومتعبديه قولهم:

لبيك اللهم لبيك.. لبيك إننا لديك.. لبيك حببنا إليك [٣٢٧].

---

[٣٢١] الحامد، تاريخ حضرموت (١/٥٨)؛ المقحفي، معجم البلدان (٢/١٤٨٦).

[٣٢٢] الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد، الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية القاهرة ١٩١٤م ص١١١؛ وانظر ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، حسن نعمة، ص٢٦٩.

[٣٢٣] المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمينة (٢/١٤٨٦).

[٣٢٤] انظر فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت السياسي ص٢٥٦.

[٣٢٥] سرجيس، فراتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص٨٣.

[٣٢٦] للتفصيل انظر المرجع السابق ص٤٧؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (١١/٢٨٥).

[٣٢٧] ابن حبيب، المحبر ص٣١٤.

٢) ذريح:-

وهو كما أشرنا إليه في فقرة سابقة، اسم صنم يقال إنه لقبيلة كندة وموضعه في منطقة النجير القريبة من تريم [٣٢٨] على بعد حوالي ٦ أميال من الشرق منها [٣٢٩]. وكما أشرت سلفًا ذريح أو ذرح يقال إنه يرمز إلى آلهة الشمس الأنثى [٣٣٠].

وعن تلبية الحضارمة لذريح في الجاهلية أورد المؤرخ ابن حبيب التلبية الآتية:

لبيك اللهم لبيك

لبيك كلنا كنود

وكلنا لنعمه جحود

فاكفنا كل حية رصود.[٣٣١]

بينما وردت في مراجع أخرى بصيغة مختلفة وهي:-

لبيك اللهم لبيك، لاشريك لك، تملكه أو تهلكه أنت حكيم فاتركه)[٣٣٢]

وعن ذريح قال المؤرخ (فرانتسوزوف): ((ولا نجد في المصادر مايوضح نوع الإله الذي يمثله ذريح المذكور، وقد أعاد فلهوزين اسم ذريح إلى الفعل اليهودي (زرح) والآرامي (دنح) بمعنى أشرقت أو سطعت (الشمس)..)).[٣٣٣] ونلاحظ أن من ملوك مملكة سبأ وهي المملكة التي وصف القرآن الكريم عبادتها للشمس، ملكًا يدعى (يدع إل ذريح) وهو مؤسس معبد (إلمقه) بمأرب. [٣٣٤]

---

[٣٢٨] المحبر ص٣١٨؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت ص٨٣.

[٣٢٩] المقحفي، معجم البلدان (١٧٢٤/٢).

[٣٣٠] كشار، لمحات من التاريخ اليمني القديم ص٤٤.

[٣٣١] ابن حبيب، المحبر ص٣١٤.

[٣٣٢] العلوي، صالح الحامد، تاريخ حضرموت (٥٦/١).

[٣٣٣] فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت ص٨٣-٨٤. وعلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب (٢٨٦/١١).

[٣٣٤] الجرو، أسمهان، الديانة عند قدماء اليمنيين، ص٣٣٨.

٣) الجلسد:-

وهو كما قيل في وصفه: ((صخرة بيضاء عظيمة لها مايشبه رأس أسود إذا تأمله الناظر رأى فيه صورة إنسان. وكانت له حمى ترعى فيه بحرية تامة الإبل التابعة له. ويفقد المالك حق ملكيته لحيواناته إذا اضطرها الجوع لأن تدخل حمى الجلسد)) [٣٣٥] وهذا الصنم عبدته كندة وحضرموت ويقال إن سدنته من بني شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس الكندي [٣٣٦]. وانتقلت بعدها السدنة إلى بطن منهم يسمى (بني علاق) ومن تولى سدانته منهم رجل يدعى (الأخزر بن ثابت) وقيل عنه إنه أسلم عند ظهور الإسلام. وقديمًا كان يطلق على أولئك الكهنة أو سدنة المعابد اسم (رشو) [٣٣٧] أو شوع.[٣٣٨] ولا تزال أسرة في منطقة المشقاص تدعى آل بن شوع.[٣٣٩]

٤) صنم لوائل بن حجر الحضرمي ويقال أنه مصنوع من العقيق:- [٣٤٠]

٥) يغوث:-

لا توجد لدينا إشارات واضحة عن هذا الصنم وعبادته في حضرموت قديمًا إلا أن الملاحظ في أسماء بعض الأعلام الحضرمية في الجاهلية انتسابهم لهذا (الصنم/الإله) كالشاعر الجاهلي (عبد يغوث بن وقاص الحارثي) الحضرمي [٣٤١] صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها :

---

[٣٣٥] فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي ص٨٦-٨٧؛ وانظر عنه الحموي، ياقوت، معجم البلدان (١٥١/٢)؛ علي، جواد، المفصل (٢٨٠/١١)؛ وورد اسم هذا الصنم في كتيب عز الدين كشار لمحات، مرجع سابق بـ(الجلد) ونظن بأنه خطأ طباعي، انظر المرجع المذكور ص٤٤.

[٣٣٦] من أفخاذ بني شكامة كما عند المؤرخ بامطرف، سلمة، ربيعة، نصر. منازلهم الجوف بنجد. منهم أكيدر الكندي ملك دومة الجندل. الجامع ص٢٦٦.

[٣٣٧] الحسني، جمال، الإله سين ص١٥٢.

[٣٣٨] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب (١٣٧/٨).

[٣٣٩] الملاحي، الدلالات الاجتماعية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص، ص٢٨.

[٣٤٠] العلوي، صالح الحامد، تاريخ حضرموت (٥٧/١-٦٠).

[٣٤١] ذكره المؤرخ محمد عبدالقادر بافقيه وأنه حضرمي في كتابه تاريخ اليمن القديم ص٢١٠. ولمعرفة ترجمة هذا الشاعر انظر الزركلي، الأعلام (١٨٧/٤).

ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا فما لكم في اللوم نفعاً ولا ليا

وهو كما قيل من بني الحارث بن كعب. وقد ذكر في كتاب الأصنام لابن الكلبي [٣٤٢] ان يغوث اسم صنم عبدته مذحج وأهل جرش [٣٤٣]. وفيه يقول الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجزناهم قبل الصباح.

٦) الصنم عوض:-

وهذا الصنم ذكره المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف في فذلكته التاريخية (قبيلة قضاعة) حينما أشار فيها لوجود صنم عبده أهل الشحر وساكنوها من قبيلة قضاعة يدعى (عوض) ومعبده بقرية جمعوض (يمعوض). [٣٤٤] وهي قرية تقع شمال شرق مدينة الشحر وتبعد عنها بنحو ٢٠ كم. ويسكن المنطقة حالياً قبيلة بيت علي الحمومية. [٣٤٥] ويرى بامطرف أن اسم (يمعوض) أصله ريام عوض أي معبد الصنم عوض. [٣٤٦]

في حين أن اسم هذا الصنم كما جاء في نهاية كتاب الأصنام لابن الكلبي (تكمله) للاستاذ احمد زكي باشا بأن (عوض) اسم صنم لقبيلة (بكر بن وائل) وبه فسر ابن الكلبي قول الأعشى:

حلفت بمأثرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير. [٣٤٧]

ويرى المؤرخ الدكتور (جواد علي) أن لفظة (عوض) تعني أبدا أو الدهر أو الزمان [٣٤٨]. كما أشار جواد علي في فقرة أخرى إلى أن قبائل قضاعة قبل الإسلام كانت تحج إلى قبر (على مرتفع من الشحر)من دون أن يحدد بدقة هذا الموضع. زُعم

---

٣٤٢ ابن الكلبي، الأصنام ص١٠.

٣٤٣ جاء في معجم البلدان للمقحفي ان جرش اسم لعدة قرى يمنية في ريمة والبيضاء. وأن هناك عائلة حضرمية تدعى آل باجرش. وهي كما عرفها المؤلف ((عائلة من أهل مدينة تريم بحضرموت، ولهم مسجد هناك يحمل اسمهم. كما أن منهم رجل الاعمال عمر بن عبد الرحمن باجرش نائب رئيس غرفة تجارة وصناعة حضرموت بالمكلا)) انظر المرجع المذكور(٣١٤/١-٣١٥). وفي عهود سابقة قدم أفراد من هذه الأسرة إلى مدينة الشحر وأقاموا بها وتزاوجوا فيها ومنهم عائلة رجل الاعمال السابق ذكره.

٣٤٤ بامطرف، محمد عبد القادر، قبيلة قضاعة، مرجع سابق.

٣٤٥ المقحفي، معجم البلدان (٣٥٢/١).

٣٤٦ بامطرف، قبيلة قضاعة، مرجع سابق.

٣٤٧ ابن الكلبي الاصنام ص١١٠.

٣٤٨ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٥٢/١١).

أنه قبر جد قبائل قضاعة. [٣٤٩] هذا إلى جانب حجهم إلى مكة قبل ظهور الإسلام مع بقية قبائل الجنوب العربي. وهم من يطلق عليهم في الحج باسم (الطلس) وحجهم إلى مكة يتخذ شكل مجموعات مستقلة. [٣٥٠] وعوض أيضا كما في بعض المراجع اسم لاحدى النسور السبعة المنسوبة للقمان الحكيم. [٣٥١]

في قرية يمعوض السابقة الذكر كانت تقام وإلى فترة متأخرة زيارة شعبية مشهورة يقصدها أهالي مدينة الشحر وماحواليها من بدو وحضر تدعى زيارة (عايبات أو عوجبات) وتقام في أواخر فصل الخريف بالليلة ١٥ من الشهر القمري. ولا يعلم أحد شيئاً عمن تنسب إليه هذه الزيارة إن كانت لجد أسطوري أو ولي من الأولياء. وإنما يوجد (مشهد) على مرتفع من هذه القرية يطلق عليه عايبات. والمشهد يقصد به مبنى مسقوف يتوسطه ضريح من دون جثة. وأحياناً حتى من دون ضريح. تتوافد إليه الناس في أوقات محددة بغرض الزيارة. ولمشهد عايبات سدنة من أحد القبائل البدوية المجاورة. والناس تقصد هذا الموضع للزيارة والاحتفاء به ويكون يوماً مشهوداً. وتقام على مقربة من المشهد في تلك المناسبة الحضرات وقراءة المولد من المنتمين للتيار الصوفي. كما تمارس بالقرب منه الرقصات الشعبية والألعاب والزوامل البدوية.

ويرى المؤرخ محمد بامطرف أن اسم عوجبات من الأسماء الجنوبية القديمة ويعني ساحة النذور وتقديم القرابين [٣٥٢]. و بهذا الموضع الذي عليه المشهد كان يوجد الصنم (عوض). ومن المحتمل أن عوجبات جاءت من (عوج) وهذه اللفظة تقودنا إلى أحد الشخصيات الأسطورية المشهورة في الميثولوجيا وهو (عوج بن عنق). [٣٥٣] وهو أحد العمالقة الذين نجوا من طوفان نوح. وعمر طويلاً إلى أن تمكن في النهاية النبي موسى عليه السلام من قتله.

ويعد اسم عوض من الأسماء الشائعة والمتداولة بين أسماء الرجال الحضارمة إلى اليوم وتكاد معظم الطبقات سمي به أبناؤها. أما النساء فيسمين في الغالب باسم (عويضة).

---

[٣٤٩] المرجع السابق (١٧٦/٩). السقاف، عبد الرحمن، إدام القوت ص١٠١٩.

[٣٥٠] فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي ص٨٨، ص٢٦٨. وانظر أيضًا ابن حبيب، المحبر ص١٧٩.

[٣٥١] انظر لقمان، حمزة، أساطير، مرجع سابق ص٣٧.

[٣٥٢] بامطرف، قبيلة قضاعة اليمنية.

[٣٥٣] للمزيد عن هذه الشخصية انظر معجم الفولكلور ص٣٤٠.

وفي الأحاديث اليومية يقال (العوض على الله) عند الخسارة أو (المعوض الله) والمعوض اسم مفعول من عوض. ولا يوجد في أسماء الله الحسنى اسم (العوض) أو (المعوض) أسوة بأسماء أخرى كالرزاق أو المعطي أو البر ..إلخ.

من رواسب الوثنية:

أشار المؤرخ صالح الحامد في كتابه (تاريخ حضرموت) لبعض الأقسام التي يتفوه بها بعض الحضارمة سكان البوادي، وعدها من بقايا القسم بأصنام أو آلهة قديمة عبدت وقدست بالمنطقة، إذ كتب يقول: ((ورأيت بعض الفضلاء يستنبط من إيمان أهل حضرموت وأقسامهم اليوم ومن بعض الأراجيز القديمة في التاريخ فيما يظهر أصنام لهم أُخر: فمن أقسامهم المعروفة إلى اليوم (وحق ليلى) وبعضهم ينطقها بالهاء فيقول ليلة وليس ليلى اسما لامرأة صالحة في تاريخهم ولا لشخص معظّم لديهم. والظاهر أنه اسم صنم في عهد جاهليتهم بقي اسمه دارجاً على الألسن وفي لغو الأيمان ولاسيما في البادية. ولا يقصد به في الاستعمال اليوم إلا تأكيد الإيجاب وقد انمحى معناه الأصلي القديم. وهو القسم بالصنم المسمى ليلى فيما يظهر. وقد يبدلون ذلك بقولهم في المعنى نفسه بكلمة (وحق الله) وبعضهم يختصر ويقول (وحق آل) ولعل هذا الأخير كان تغييراً للكلمة الأولى تيقظاً منهم لما ذكرنا من معنى الكلمة الاولى (وحق ليلى) أو يكون ذلك من آثار وعظ الدعاة والمرشدين فهموا مافهمناه من هذه الكلمة، وهو أنها ليست إلا من بقايا أيمان الجاهلية بقيت جارية على ألسن البادية)) [٣٥٤].

وحقيقة إن تلك الأقسام التي أشار إليها المؤرخ صالح الحامد ما زالت إلى اليوم دارجة على ألسن الناس وخاصة عند بعض سكان البادية. وقد أشار الكلبي في كتابه الأصنام إلى وجود صنم يقال له (ياليل) [٣٥٥]. أما (حق آل) فلعلها نسبة إلى الإله (آل) وهو من الآلهة الجنوبية العربية القديمة [٣٥٦].

وإلى جانب تلك الأقسام ثمة من يردد أيضًا كلمة (والنبي عليك أو النبي عليك) كنوع من القسم أو الحلف. يبررها بعضهم بأنها قسم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. في حين نظن أنها أيضاً من بقايا الوثنية ومن اعتقادات قديمة مترسبة فلفظة (والنبي) كما نظنها جاءت من لفظة (انبي) وهذه اللفظة وردت في بعض النقوش

---

٣٥٤ العلوي، صالح الحامد، تاريخ حضرموت (٥٩/١ – ٦٠).

٣٥٥ ابن الكلبي، الأصنام ص١١١.

٣٥٦ بافقيه، محمد تاريخ اليمن القديم ص٢٠٣. الجرو، أسمهان، الديانة عند قدماء اليمنيين، ص٣٢٧.

الجنوبية القديمة كاسم لآلهة قتبانية [٣٥٧]. وما زال الكثير من سكان المناطق الواقعة على الغرب من حضرموت (القتبانيين) يلفظون ذلك القسم بالقول (وانبي عليك) بل وتغلغلت حتى في الشعر الشعبي لدى العديد من الشعراء الحضارم. [٣٥٨]

ففي بيت شعري من قصيدة للشاعر الشعبي عمر بن شيخ باوزير كنموذج يقول فيه:

لا والنبي مابغيت الركن يتهدم ولا بغيت الجمل يشرد على الخدّام

ومن الممارسات والألفاظ التي تدلل على ارتباطها بصورة أو بأخرى بالوثنية ترديد عامة الناس عند وضعهم اللبان على المباخر والتجول به داخل المنزل قولهم: ((يالبان ياكوكبان.. بلغ الإله السلام))

أو قولهم: ((يالبان ياكوكبان.. اطرد ابليس الشيطان))

وذلك اعتقاداً أن البخور تطرد الجن والشياطين..[٣٥٩] وطبعاً العامة لا تعلم مدلول قولها: ياكوكبان. ولقبائل الشحرة العمانية مايشابه هذا الاعتقاد مع تنوع في الترنيمة [٣٦٠].

وإلى جانب تلك الألفاظ نجد مفردات أخرى تردد في بعض صيغ أهازيج الأطفال عَدّها بعضهم على ارتباط بالوثنية القديمة أو أنها أسماء لآلهة قديمة منها قولهم في إحدى الأهازيج (يا التوش يا التوش) أو قولهم في أهزوجة أخرى (يا بلي يا بليلة) فضلاً عن لفظة (ياحتوش) أو (ياحيب). [٣٦١] كما سبق أن تطرقنا لألفاظ مماثلة تردد على ألسنة العامة من دون أن يفطن أحد لمدلولاتها وعدّها بعضهم من بقايا ورواسب الوثنية كما هي الحال في ألفاظ حول، سين، سوبان..إلخ.

---

[٣٥٧] انظر عربش، منير، عالم الآلهة في مملكة قتبان اليمنية القديمة قبل الإسلام، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص١٧. المفصل في تاريخ العرب (١٨٧/٣). وورد هذا الاسم بصيغة (ابني) كما هي عند عبدالكريم، منذر، الديانة الوثنية في جنوب شبه الجزيرة العربية ص١١٣. والأب جرجس داود في كتابه أديان العرب قبل الإسلام ص٩٦. والصحيح ما أثبتناه. ولتفصيل أكثر عن انبي القتباني انظر، الشيبة، عبدالله، دراسات في تاريخ اليمن القديم ص٧٤.

[٣٥٨] انظر على سبيل المثال ورود اللفظة في الشعر الشعبي كتاب قطوف حضرمية ص٥٦، ٧١، ٨٢. وغيرها.

[٣٥٩] بافقيه، تاريخ اليمن القديم ص٢٠٦.

[٣٦٠] من قول تلك القبائل: ((يا لبآن يآلبآن ياكبكبان، ياطالع السموات والأرض والليذان، إكفي عنا كيد النسوان وكيد عيال النسوان وكيد الأهل والجيران)). الشحري، لغة عاد، ص٣٢٨.

[٣٦١] تطرقنا إلى هذه الأهازيج وغيرها بتفصيل في الجزء الثاني من سلسلتنا هذه. وانظر عنها وعن علاقتها الافتراضية بالآلهة انظر بايمين، سعيد، دراسات ص٥٥ .

فعن ألفاظ مثل يا التوش أو يا حيب أو يا حتوش أو يا بلي وهي ألفاظ مناداة وجدت في بعض صيغ أهازيج الأطفال، افترض الباحث سعيد بايمين في تفسيرها أن هذه ((الأسماء لبعض الآلهة القديمة مجهولة التاريخ التي يعتقد أنها كانت تعبد في منطقة حضرموت في عهد الممالك القديمة كما هي الحال بالنسبة للإله سين إله الشمس الذي يتردد اسمه بين النساء حينما يردن أن يطرين على طفل أو طفلة فيقلن (ياسين عليك) أي يحفظك الإله سين. وكذلك الإله (خيبعان) الذي كثيرًا مايتردد اسمه في حفلات النساء وفي مناسبات الزواج إذ تصدع باسمه العوالم (المشترحات) دون أن يعرفن عنه شيئاً)). [٣٦٢] أما المستشرق سارجنت فقد تطرق للخيبعان دون أن يشير فيه إلى أية علاقة تربطه بالوثنية أو الآلهة القديمة. وعده فناً من فنون الرقص والغناء له مزاياه الخاصة به وتؤديه النساء في حفلات الزواج. [٣٦٣]

ونحن إذا اتبعنا ذلك المنحى التعليلي الذي اتبعه بايمين وغيره، قد يقودنا كمقاربة له للقول إن لفظة يا (بلي) و يا (بليلة) الواردة في بعض أهازيج الأطفال، مشتقة من أسماء بعض الآلهة الجنوبية العربية القديمة. فاللفظة يا (بلي) كما نراها ربما حرفت عن لفظة (بلو)، و(بلو) هذا هو اسم إله البلاء والبلوى والنوازل والموت عند الجنوبيين القدماء [٣٦٤].

وثمة صيغة أخرى مشابهة لها ومغايرة في الوقت نفسه وهي التي نجدها في إحدى أهازيج الصيادين، فبدلاً مما هي عند الأطفال (يا بلي يا بليلا) نجدها عند الصيادين حُرّفت الى يا بلي بالله للتأثير الإسلامي كما في الصيغة التالية:

يا بلي بالله

يا بلي بالله　　　يا بلي بالله

قم قيّم البحرة　　　بانحلق البكرة

قم خرّج المونه　　　ولبّس الفعمه

والقط لنا شوره

شيء الحوت عايشغم　　　قم خذ لنا غدفه

يشـلوا سوايبكم　　　بانـنـوش الغبه

---

[٣٦٢] بايمين، سعيد عوض، دراسات من أدب الأطفال ص٥٥.

[٣٦٣] سارجنت، نثر وشعر من حضرموت ص٧٦-٧٧.

[٣٦٤] علي ، جواد ، أديان العرب قبل الإسلام ، من سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، القسم الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، مجموعة مؤلفين ، مطابع جامعة الملك سعود ، ط١ ، ١٩٨٤م ، ص١٠٨.

وهذه من قصيدة تجاوزت العشرين بيتاً. قام الباحث عبد الرحمن الملاحي بشرحها وهي تمثل كما يراها (رحلة صيد بحرية). وعنها يقول أيضًا الملاحي: ((لا يعرف قائل هذه الأهزوجة وهي قديمة. وقد فقد الجزء الأخير منها. وكي يقدم الصيادون أحد حفلاتهم الأخيرة أكملوا القصيدة بكلمات مستحدثه تؤدي المضمون ..)) [٣٦٥].

إن لفظة (بلي) كاسم يعود إلى واد بدوعن [٣٦٦] وإلى قبيلة قضاعية كانت تسكن المنطقة. ومثلها لفظة بليل أو ياليل التي منها تسمى العرب (عبد ياليل). وقد أشار ابن الكلبي إلى اسم عبد ياليل بقوله: ((وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبدونها. لا ادري أعبدوها للأصنام أو لا منها: عبد ياليل، عبد غنم، عبد كلال، عبد رضى)). [٣٦٧] وثمة موضع في حضرموت يدعى (بليل) [٣٦٨] لعل له علاقة ما بهذا الصنم أو الإله.

---

[٣٦٥] الملاحي ، عبد الرحمن ، دراسات شعر الملاحين ، الصيادون شعرهم وعاداتهم المهنية . مطبوع بالآلة الكاتبة ولكن لم ينشر . وانظر كذلك مقاله بعنوان غناء الصيادين والملاحين لحضرموت ط، مجلة الخيصة العددان (٤٤-٤٥) يوليو – ديسمبر ٢٠٠٦م.

[٣٦٦] انظر المقحفي، معجم البلدان (١/١٩٥).

[٣٦٧] ابن الكلبي، الأصنام ص٣٠.

[٣٦٨] ذكره المؤرخ عبد الرحمن السقاف في كتابه إدام القوت وعنه أشار إلى أن هذا الموضع ((وراء ذي أصبح والشعب إلى الجهة الشرقية، يسكنه آل مرعي بن سعيد..)) انظر المرجع المشار إليه ص٦٠٧؛ المقحفي، معجم البلدان (١/١٩٦).

عبادة الأسلاف Ancestor Worship

لا نستطيع هنا أن نؤكد أو ننفي هذا الشكل من أشكال العبادة القديمة التي عرفتها العديد من الشعوب السامية ومنها العرب [٣٦٩] وإن كنّا نميل إلى وجود هذا الشكل من العبادة في المنطقة وذلك لوجود العديد من الأضرحة والقبور التي لجأ إليها الإنسان القديم تزلفاً وتقرباً سواء كانت قبور أنبياء وفقاً لإعتقادات الناس عنها أم قبور سادة جاهليين وأبطال. فقد وجدت بالمنطقة العديد من القبور يعتقد الناس على سبيل المثال أنها لنبي الله هود عليه السلام. وبعضها منسوب لأبنائه وأحفاده (هدون، ذي نيال، لقمان) أو أنبياء آخرين ورد ذكرهما في بعض الكتب ومنهم (حنظلة وحنيظلة) [٣٧٠].. إلخ.

وتلك القبور المنسوبة لأصحابها كانت وما زالت محل تقديس وتبجيل من بعض الناس وإن كنّا نعتقد بعبادتها في العصور الجاهلية من قبيل عبادة الأسلاف. إلى جانب وجود قبور وأضرحة أخرى اعتاد الناس بالتواتر على زيارتها وتقديسها تنسب لشخصيات مجهولة بين من يرى أنها لأناس قديسين أو أبطال عرفوا في الماضي. وبين من يرى أنها محدثة من قبيل التوسل بالأضرحة والقبور المنسوبة لعدد من الأولياء والصالحين المعروفين في عصرهم غاب عن الناس واندثر ذكرهم وزمانه كمشهد (عايبات) بقرية يمعوض [٣٧١] السابق ذكرها أو مشهد (مول الراكة) و(مول الليمة) و(مول شوخ) على مقربة من القرية نفسها.أو مشهد (المهوي) بقرية المعيان وغيرها كثير. والناس تقصد هذه المشاهد بغرض التبرك بها كما تقام عندها الزيارات والحضرات وقراءة المولد.

---

[٣٦٩] لمعرفة المزيد عن عبادة الأسلاف عند العرب يمكن الرجوع إلى علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب (١١/٤٧).

[٣٧٠] عن حنظلة جاء في معجم البلدان للمقحفي: ((حنظلة: موضع أسفل الجبل الغربي لمدينة بور بحضرموت. فيه قبر حنظلة بن صفوان عليه السلام، وفي شمال القبر قرية يقال لها الريبدة)) انظر المرجع المذكور (١/٥٢١)؛ إدام القوت ص٧٧٣؛ انظر بامطرف، الجامع ص١٨٦؛ الحداد، علوي، الشامل ص١٩٢؛ القرماني، أخبار الدول (١/٢٣١).

[٣٧١] جاء ذكرها في إدام القوت: ((جمعوض قرية صغيرة لا يزيد سكانها من – العمال والبادية آل بحسن – على مئتي نفس، وفيها معيانان وعدة أبور (آبار))) انظر ص٢٢٢. وعنها في معجم البلدان للمقحفي ((قرية شمال شرق مدينة الشحر بحضرموت، تبعد عنها بنحو ٢٠ كم. وفيها قبائل آل علي من الحموم والحضارم ينطقونها يمعوض)). (١/٣٥٢).

بـل والملاحـظ أن مـاجرى فـي حضـرموت عمومـاً مـن تقـديس للأوليـاء والصالحين والاعتقاد فيهم وفي فضلهم ولو حتى بعد ممـاتهم يقتـرب كثيـراً مـن تلـك الاعتقادات التي سادت في عبادة الأسلاف أو على أقل التقدير تقديسـهم بعـد أن غلفهـا قدماء الحضارمة بطابع إسلامي ليس من الإسلام في شيء. كما أن في هـذا الانتشـار الكبير لقبور الأولياء والصالحين وتقديسهم بعد ظهور الإسلام مايفترض بنـا أن نسـلم بوجود قابلية كانت لدى أجدادنا لمثل هذه التصورات والاعتقـادات التـي خبروهـا فـي جاهليتهم. وإن كانت الدراسات حول هذا الشكل من أشكال العبادة في بـداياتها الأولـى وتحتاج إلى نوع من التأني والبحث.

وقد بينت لنا بعض كتب التاريخ وهذا قد أشرت إليه مسبقاً، أن قبائـل قضـاعة وهـي مـن القبائـل العربيـة القديمـة التـي اسـتوطنت هـذه المنطقـة (إقلـيم الشـحر) ومايجاورهـا كانـت تحـج إلـى قبـر علـى مرتفـع مـن (الشـحر) يـزعم أنـه قبـر جـد قضاعة.[٣٧٢]

إن مثل هذه المواضيع تحتاج إلى تـأنٍ ودراسـة مستفيضـة وعـدم التسـرع فـي إصدار أحكام قد تبعدنا عن الحقيقة.

٣٧٢ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب (١٧٦/٩).

الفصل الثالث

الأساطير والخرافات

توطئة

كثيرة هي الأساطير والخرافات التي بنت عليها المجتمعات البشرية اعتقاداتها الأولى تجاه الكون والطبيعة والإنسان. بعضًا من هذه المجتمعات إن صح القول استطاعت مع مرور الزمن التخلص من تبريراتها اللاعقلانية تجاه تفسيرها للظواهر المختلفة سواء كان هذا بفضل قوة وتأثير المعتقد الديني (التنويري) الجديد أو كنتيجة لظهور وسيادة نمط التفكير العقلاني المحض أو سيادة العلم. فبدلاً من تلك التبريرات الأولى اللاعقلانية, حلت محلها تفسيرات أخرى ملائمة ومنسجمة مع المعارف العقلانية الجديدة (المكتسبة). وأصبحت تنظر إلى تبريراتها السابقة من قبيل (الفكر الزائف) الذي ينبغي أن لا يحظى باهتماماتها.

وبالمقابل هناك مجتمعات أخرى لم تستطع التخلص من قيودها الزائفة وأفكارها المنغلقة. فظلت أسيرة لمعتقداتها وتصوراتها الوثنية الأولى لتصبح مثل تلك المعتقدات سبيل المعرفة الوحيد لديها. ولعل مرد ذلك يعود إلى رغبة إنسان تلك المجتمعات التمسك بمعتقداته وتصوراته مع ما يرافقها من ممارسات وسلوكيات كنوع من الالتزام والوفاء لما خلفه الأسلاف. حيث لم يجد هؤلاء الأبناء بدّا من التمسكً بها دون إبداء أية استجابة لأي متغيرات تطرأ باتجاه نفيها. أو ربما لأن الأفكار التنويرية الجديدة (أياً كانت) لم تلق لديه صدى وقبولًا ولم تستسغها فطرته فآثر نبذها والتمسك بإرثه عميق الجذور. أو ربما يعود السبب إلى ما تفرضه عوامل الضبط الاجتماعي ولما جرت عليه العادة والعرف من فرض قيود وأحكام تحد من الخروج عليها. جعلت من الفرد في تلك المجتمعات البدائية والمنغلقة على نفسها لا يستجيب في مواقفه وممارساته المختلفة إلا وفقًا لها.

وفيما يتعلق بمجتمعنا الشحري فلا يختلف وضعه كثيراً عن المجتمعات الحضرمية الأخرى من جهة تنوع وغزارة بل وتشابه الخرافات والتصورات الزائفة (وفقًا لأحكامنا الشرعية) وهي اعتقادات وتصورات لها جذورها وامتداداتها التاريخية ولها أيضاً رواسبها المتراكمة في أذهان الأجيال. وقد ظلت تمارس في صور وأشكال متعددة ما عزز بقاءها بما فيها تلك التي فقدت مضمونها العقائدي.

وقد يلاحظ القارئ أنه على الرغم من غزارة الاعتقادات أو قل التصورات (الخرافية) التي حفل بها تراثنا المحلي. فهناك غياب شبه كامل لما يمكن أن نطلق عليه (تصورًا أسطوريًا) وفقاً لما يحمله مصطلح الأسطورة من معانٍ وسنأتي إليه. ولعل تفسيرنا لذلك يكمن في غياب المادة التراثية التي يمكن أن تزودنا بمعارف أسطورية وليدة النشأة الفكرية الأولى لهذه المنطقة. وأيضا لأن مجتمع الشحر ومثله حضرموت هو أساساً مجتمع (متدين) للمعتقدات الدينية على حياته قوة وتأثير كبير. وقد وجد الناس في الدين إجابات مقنعة أو قل مرضية لتساؤلاتهم وتصوراتهم

المختلفة التي أثرت من دون شك على دحض ونبذ وتجاهل أي فكر قديم مغاير (أسطوريًا كان أو خرافيًا) بما يحمله هذان المصطلحان (أسطورة, خرافة) من دلالات.

ولكن فوق هذا وذاك لم يستطع مجتمعنا الشحري خاصة والحضرمي عامة التخلص من مثل تلك الأفكار والتصورات نهائياً فقد ظلت لها رواسب راكدة في الذاكرة المتوارثة وفي ممارسات الأفراد اللاواعية. فضلاً عن وجود عدد آخر من الخرافات (المغلّفة) التي لم تستطع حتى التصورات الدينية محوها. هذا إن لم نقل ساعدت في بعض صورها على تثبيتها وتعزيزها وانتشارها. ولا يعني هذا أن الدين هو المسؤول أو من ساعد على نشر مثل تلك الخرافات. بل على العكس من ذلك تماماً. إنما الذي ساعد على هذا التفشي هو الفهم الخاطئ الذي تولد لدى بعض الناس تجاه بعض الاعتقادات والتصورات الدينية وتجاه بعض الأحداث والمواقف التي حدثت أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن جاء بعدهم. وتأويلها أو فهمها وفقاً لما يتلاءم وتلك العقلية العربية القديمة التائهة في التصورات الميتافيزيقية. وهي أمور جعلت الناس (جهلاً) تعتقد فيها وكأنها من الدين أو إن الدين أتى بها وهي غير ذلك. كما أن ترويجها من الإخباريين ورواة الأقاصيص والنقّالين ومن أناس استفادوا منها لتعزيز مكانتهم ونفوذهم الاجتماعي في المجتمع. ساعد إلى حد ما على سيادة مثل هذه الأفكار والتصورات وتفشيها.

كما أن وجود العديد من مثل هذه الأفكار والتصورات الزائفة ببيئتنا يعود إلى أن العديد منها فقد بمرور الوقت مضمونه الوثني أو الأسطوري وفي الوقت نفسه ظل متداولاً بين الناس على سبيل التندر والفكاهة أو على هيئة استجابات لا واعية تمارس في بعض المواقف والمناسبات الخاصة. ولعاملي الأمية والجهل الذين خيما على مجتمعاتنا ردحاً من الزمن, دور في جعل الناس غير قادرة على التمييز بين ما هو وثني محض وبين ما هو إسلامي خالص. كما أن التيار الديني (الصوفي) السائد بالمنطقة لليوم وما سبقته في الوجود من تيارات غنوصية أو باطنية (تفشت تاريخياً بالمنطقة ولو بصور غير مكتملة المعالم) عززت بقصد أو بدونه من مثل هذه الاعتقادات والتصورات. خاصة إن العديد من ممثلي تلك التيارات كانوا هم في الغالب من يمثل الشريحة المثقفة والمتعلمة بالمجتمع. وهي أيضا الشريحة المسؤولة والمسيطرة على الجانب الفكري والعقائدي والمسؤولة عن تنوير الناس وإرشادهم وخاصة الصوفي منها. إلا أنه تيار لطالما آمن في أدبياته المختلفة بالكرامات والخوارق والعجائب والغرائب التي تأتي على أيدي البشر وروّج لها ولما ارتبط بها من قصص وأعاجيب وحكايات. بل وأشاع طقوسًا وممارسات لم يأتِ الله بها من

سلطان. وله في ذلك تبريراته المقبولة منها وفقاً لاجتهاداتهم الفكرية وغير المقبولة. ولسنا هنا بصدد مناقشتها أو حتى عرضها. وإنما نتركها لدراسات أخرى.

كما أن لعامل العزلة وكثرة الصراعات والحروب التي منيت بها منطقة حضرموت عامة دورًا في تقوقع الكثير من التجمعات البشرية في حدود مناطقها وانعزالها عن الاخر. محافظة على ما اكتسبته من تراث قديم قد يمتد لما قبل الإسلام. وخاصة في مناطق الأرياف البعيدة عن التمدن.

ومن جانب آخر ومن باب الإنصاف فإن لذلك التيار وخاصة (الصوفي) دوره الريادي وفضله في مجال الوعظ والإرشاد ونشر تعاليم الدين القائمة على تقويم السلوك وتهذيبه إلى جانب مساهمته في فتح العديد من المدارس الدينية التقليدية ودعمه للمشاريع الخيرية المختلفة وغيرها من أنشطة ذات فائدة مجتمعية لا تنكر.

ونحن في هذا الفصل سنحاول عدم الخوض كثيراً في بعض الخرافات التي تدور حول خوارق وكرامات (بعض) الشخصيات المحلية المعروفة ممن وصفوا بالأولياء والصالحين أو بخوارق غيرهم من البشر. وما ذلك إلا لأن مثل هذه القصص والخوارق قد حفلت بها الكتب والمؤلفات المدونة ولم تُعد إرثاً شفهياً وإن كانت تندرج ضمن الإرث المكتوب والمدون. ذلك أن هدفنا الأساسي هنا هو البحث عن الجوانب الشفهية الكامنة في تصورات الناس وممارساتهم التي تناقلتها الأجيال بينها لتتخذ شكلاً سلوكياً وبعداً معرفياً ذا طابع مميز.

ونحن هنا إذا ما تناولنا بعض الخوارق والكرامات إنما هو من قبيل التصورات السائدة إجمالاً ولارتباطها بمواضيعنا. وسنحاول في هذا الفصل التعرض إلى ما وصلت إليه أيدينا من خرافات واعتقادات وتصورات موروثه أثرت في أنماط سلوك الناس ردحاً واستمرت الألسن في تداولها جيلاً بعد جيل كأفكار وتصورات واعية وأحياناً لا واعية إلى أن دونت هنا كنوع من الجمع والحفظ والتوثيق وليس لإحياء بدعها أو الترويج لها أو الرد عليها وفقاً لمعتقدات الدين[٣٧٣] أو قوانين المنطق أو حقائق العلم.

---

[٣٧٣] للشيخ أحمد بن علي برعود كتاب بعنوان (الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية) حاول فيه الرد بنوع من التهكم والقدح على العديد من العادات والسلوكيات السائدة بحضرموت والشحر خاصة. ونحن قد نتفق معه في بعض ماطرح من انتقادات وقد لا نتفق مع بعضها الآخر, خاصة أن انطلاقات المؤلف النقدية كانت أكثر شيء مذهبية النزعة فاقدة للموضوعية. وللدكتور فؤاد عمر بن الشيخ أبو بكر كتاب حمل عنوان (الأحكام الشرعية لبعض العادات الحضرمية) فيه رد لبعض ما ورد في كتاب الشيخ برعود المذكور. الكتاب من منشورات مكتبة تريم الحديثة, تريم, حضرموت, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠١٣م.

وقد عملت في هذا الفصل بأن أسبقه بلمحة موجزة عن تعريف كل من الأسطورة والخرافة في بعض الأدبيات. وما نعني بهذين المصطلحين هنا في الدراسة. وبعد ذلك وهو لب الموضوع عملت على سرد العديد من هذه الأساطير وما ارتبط بها من تصورات وممارسات وذلك وفقاً لموضوعاتها. أما الباب الثاني منه فجعلته للمعتقدات الشعبية والجانب الخرافي وشملته بفصول وموضوعات تتعلق بالجن والعفاريت أو تلك التي تدور حول السحر والسحرة أو الحسد, العين الشريرة، الحروز والتمائم، الشخصيات الوهمية، المواقف غير المعقولة، الاعتقادات الخرافية البسيطة، الأمراض والعلاجات.. إلخ. بالإضافة إلى بعض الأفكار التي وجدت هنا وهناك تقترب إلى حد ما من الأسطورة منها للخرافة. كما لم أغفل هنا بالبحث عما ورد بثراتنا المدون عنها سواء كان في مصادره المحلية أم تلك الخارجية وخاصة في المواضيع المرتبطة بموضوعنا هنا. ذلك أن هذا الفكر برمته إنما كان في بداياته الأولى شفهياً ثم دوّن وكذلك هي مواضيعنا هنا فهي في طورها الانتقالي من الشفهي إلى التدوين.

ونحب أن نشير هنا إلى ما قد يعتقده بعض ذوي الأفق الضيق أننا نعمل على تصوير مجتمعنا وكأنه مجتمع خرافات أو أننا نسعى لإلصاق تهم الوثنية به أو على الأقل إلصاقها بأجدادنا وهم من تفاعل بجدية وعمق مع تلك الاعتقادات والتصورات على وجه الخصوص. ونقول لهؤلاء, لا هذا ولا ذاك, وإنما دورنا كباحثين إن نقوم هنا بنقل وتصوير واقع الحياة الاجتماعية عبر التاريخ وصولاً إلى اليوم. بغض النظر عن آرائنا واتجاهاتنا الشخصية فيها. ومن جهة أخرى نقول أن معظم ما سيرد لاحقاً لم يعد له بين الناس وجود اعتقادي. وإذا وجد شيء منه فإنما هو كما أشرت مسبقاً على سبيل التندر والفكاهة بين الناس. كما أني حاولت في ثنايا مواضيع الدراسة وهوامشها ربط هذه المواضيع بما هو موجود عند بعض الشعوب والمجتمعات الأخرى القريبة منا أو تلك البعيدة وذلك لغرض التقريب الثقافي وإثراء الدراسة وليس لغرض إجراء المقارنات بينهما.

تعريف الأسطورة:

من الصعب على الباحث في أدبيات العلوم الاجتماعية استجلاء تعريف واضح ومحدد المعالم للأسطورة لتباين الآراء وتعدد المدارس التي تتناولها. وهي في هذا بحكم طبيعتها, لا تشذ عن الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي تتناولها العلوم الإنسانية عامة. ونحن في هذا المدخل لن نخوض كثيراً في هذا المصطلح وإنما سنحاول عرض بعض ما ورد عنها في بعض الأدبيات كنوع من التقريب وإثراء للدراسة.

الأسطورة في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة سطر: ((والأَساطِيرُ الأَباطِيلُ والأَساطِيرُ أَحاديثُ لا نظام لها واحدتها إِسْطارٌ وإِسْطارَةٌ بالكسر وأُسْطِيرٌ وأُسْطِيرَةٌ وأُسْطُورٌ وأُسْطُورَةٌ بالضم وقال قوم أَساطِيرُ جمعُ أَسْطارٍ وأَسْطارٌ جمعُ سَطْرٍ وقال أَبو عبيدة جُمِعَ سَطْرٌ على أَسْطُرٍ ثم جُمِعَ أَسْطُرٌ على أَساطير.. (إلى أن قال).. يقال سَطَّرَ فلانٌ علينا يُسَطِّرُ إِذا جاء بأَحاديث تشبه الباطل يقال هو يُسَطِّرُ ما لا أَصل له أَي يؤلف وفي حديث الحسن سأَله الأَشعث عن شيء من القرآن فقال له والله إِنك ما تُسَيْطِرُ عَلَيَّ بشيء أَي ما تُرَوِّجُ يقال سَطَّرَ فلانٌ على فلان إِذا زخرف له الأَقاويلَ ونَمَّقَها وتلك الأَقاويلُ الأَساطِيرُ)).[٣٧٤]

كما وردت اللفظة في كتاب (المنجد في اللغة) تحت مادة (سطر): ((سَطّرَ: ألف الأساطير.. (وكتب أيضا) .. أساطير: الصف من الشيء كالكلمات والشجر.. (وجاء أيضا)..الأسطور والأسطير ج أساطير: ما يكتب. الأسطورة والأسطيرة ج أساطير: الأسطور الحديث الذي لا أصل له. وفي القرآن: "إن هذا إلا أساطير الأولين" أي مما سطروا من أعاجيب حديثهم..)).[٣٧٥] وغالبية المعاجم والقواميس اللغوية العربية لا تخرج عن هذه المعاني.[٣٧٦]

---

[٣٧٤] ابن منظور, محمد بن مكرم لسان العرب دار صادر بيروت الطبعة الأولى عدد الأجزاء ١٥. (٣٦٣/٤).

[٣٧٥] مجموعة من المؤلفين, المنجد في اللغة والأعلام دار المشرق – بيروت ١٩٧٣م – الطبعة الواحدة والعشرون. ص٣٣٢ – ٣٣٣.

[٣٧٦] انظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٥٢٠–٥٢١؛ الرازي, محمد بن أبي بكر, مختار الصحاح تحقيق محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٩٩٥م ص٣٢٦.

أما في الأدب الغربي فكلمة أسطورة Myth اشتقت من اليونانية Mytho التي تعني كما يظهر في الإلياذة والأوديسة لهوميروس بمعنى الكلام والبيان. وثمة من يميز بين مصطلح الميثولوجيا والأسطورة.[٣٧٧]

مصطلح الأسطورة:

أما عن المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة فتعرفها بعض الأدبيات بأنها: ((قصة تقليدية من عالم غير موجود, وزمن غير معروف, ولمؤلف مجهول. أبطالها خياليون. وهم رجال وحيوانات وآلهة وأرواح ومخلوقات فوق طبيعية. وتفسر الأسطورة نشأة ومعاني الأعراف والمعتقدات والظواهر الطبيعية أو أية حقائق أخرى يعجز أفراد المجتمع عن تفسيرها. والموضوعات الرئيسة التي تتناولها الأسطورة هي خلق الكون والإنسان والموت وكيفية حصول الشعب على الموطن الذي يسكنه وما يشبه ذلك. وتلعب الأسطورة دوراً رئيساً في الحياة الاجتماعية والدينية للشعوب البدائية خاصة وأن طقوس تلك الشعوب واحتفالاتها ونظمها الخلقية والاجتماعية تحتاج إلى تبرير أو ربط بالماضي أو إلى جو من التقديس)) [٣٧٨].

تعليل خلق بعض الكائنات:

ثمة تصورات أخرى متداولة تحاول أن تقدم لنا تفسيراً للحكمة التي جعلت الله سبحانه وتعالى يخلق بعض الكائنات بالهيئة التي خلقت عليها. ولعل هذه التفسيرات

---

[٣٧٧] جاء تعريف الأسطورة في كتاب دليل القارئ إلى الأدب العالمي: ((الأسطورة حكاية متوارثة معروفة بين أفراد قبيلة أو سلالة أو أمة، تتضمن عادة قوى غيبية غايتها شرح بعض الظواهر الطبيعية)) انظر المرجع المذكور ص ٥٤٢؛ وللمزيد عن معاني الأسطورة ودلالاتها انظر على سبيل المثال د. مسعود, ميخائيل, الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام, دار العلم للملايين, ط١, ١٩٩٥م. ص٢١.

[٣٧٨] د. سليم, شاكر مصطفى, قاموس الأنثروبولوجيا, مرجع سابق ص٦٥٩. وللمزيد عن الأسطورة انظر د. إسماعيل, فاروق, الوثنية مفاهيم وممارسات دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٨٥م ص ٣٣؛ د. خان, محمد عبد المعيد, الأساطير العربية قبل الإسلام, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة ١٩٣٧م وخاصة الفصل الأول منه؛ د. عجينة, محمد, موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها, دار الفارابي, بيروت, لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٤م (١٦/١) وم ابعدها؛ يونس, عبدالحميد, معجم الفولكلور ص٦٠. د. مسهود, ميخائيل, الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام, دار العلم للملايين, ط١, ١٩٩٤م. الفصل الأول من الباب الأول. و. د. خليل, خليل أحمد, المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع, دار الحداثة للطباعة والنشر, لبنان, ط١, ١٩٨٤م, ص١٣, حجازي, محمد عبدالواحد, الأساطير العربية, مكتبة الإيمان, المنصورة, ط١, وغيرها.

تدخل ضمن إطار ما يسمى بـ(القصة الحيوانية Etiologlcal tale) [٣٧٩] فعن تبرير حكمة الله في خلق الشاة والضأن بهيئتين مختلفتين بأن جعل ذيل إحداهما (الضأن) متدليًا للأسفل وبالتالي يواري ويغطي سوأتها. أما الشاة فذيلها مرفوع للأعلى ما يُظهر ويكشف سوأتها.

والذي ساد في تصور بعض العامة كتبرير أن الشاة فتنت بالنبي صلى الله عليه وسلم (أي أوشت به) حينما أراد الاختباء والنجاة من مطارديه من الكفار والمشركين. على عكس الضأن التي صانت سره ولم تكشفه.

وبناء عليه كما تقول الأسطورة أعزَّ الله الضأن وأكرمها بستر عورتها. وأذل الشاة بكشف سوأتها كجزاء لما اقترفته من وشاية بحق النبي.

ومثل هذه الوشاية من الشاة بالنبي نجدها منسوبة أيضا لكائنات تدعى (الضفف). والضفف (جمع ضفة) وهي نوع من العضاءات (السحالي) الصغيرة التي توجد بالبيوت وتقتات على الحشرات والهوام. يعتقد فيها بأنها كذلك (أوشت بالنبي) عليه السلام. وبالتالي فهي تستحق القتل والتنكيل أينما وجدت. ولم توضح لنا الأسطورة من هو هذا النبي الذي أوشت به. وإن كان الخيال الطفولي يذهب بصاحبه إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وسنأتي لها بتوسع في الفقرة اللاحقة.

ومن التصورات التي نشأت نتيجة للمحاولات الخطأ التي غرسها الآباء في أذهان أبنائهم الصغار ردا على تساؤلاتهم المحرجة أن المرأة تلد من منطقة الركبة. فأثناء الولادة تنشق هذه الركبة ليخرج منها الجنين ثم تلتئم مرة أخرى وكل هذا يحدث بقدرة الله عز وجل. وعلى ما يبدو أن الآباء كانوا يتحرجون من الإجابة الحقيقية.

---

[٣٧٩] جاء في قاموس الأنثروبولوجيا عن القصة الحيوانية: Animal tale ,Etiologlcal tale بأنها ((نوع من القصة تنتشر بين الشعوب البدائية, تروي كيف تكونت بعض سمات الحيوان الجسمية. فمنها مثلاً, ما يروي كيف فقد الدب ذيله, أو كيف تعلمت الحية سلخ جلدها, وغير ذلك. والمعتقد أن الملاحم الطويلة عن الحيوانات, وأشباهها من ملاحم التراث الشعبي, قد نشأت عن المحاولات الرامية إلى تفسير بعض الحقائق الطبيعية)), انظر سليم, شاكر مصطفى, المرجع المذكور, ص٥٣.

الضفة والعسودة:

للعامة تصورات غريبة في هاتين السحليتين الصغيرتين (الضفة, العسودة) اللتين لا يتجاوز طولهما الواحدة منهن شبرًا واحدًا. فعلى الرغم من التشابه الشكلي بينهما نوعاً ما. إلا أن العوام ينظرون إلى (الضفة) التي تطرقنا إليها سابقاً, نظرة تشاؤمية مثيرة للاشمئزاز ولا يتوانى الجميع عن قتلها حالما ترى على عكس السحلية الأخرى.

وكما أشرت في الفقرة السابقة من أن ثمة تصورات يرددها العامة والأرجح أنهم توارثوها عمن سبقوهم أن هذه (الضفة) هي التي فتنت بالرسول وأوشت به عند أعدائه. دون أن تحدد هذه التصورات أيًا من الرسل المعروفين. وإن كان الوجدان الجمعي لم يعلنها صراحة فإنه يقصد به رسولنا محمدًا بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. وبالتالي فقتلها يعتبر من الضرورات. كما لم تحدد لنا تلك التصورات مناسبة تلك الوشاية التي أوشت بها.

ويعتقد العامة أن هذه الضفة متى قتلت وانفصل ذيلها عن جسدها ولوحظ أن هذا الذيل لا يزال يتحرك ويتلوى على الأرض. حينها يتوجب على المرء ضرب وسحق هذا الذيل بشدة حتى يسكن ويكف عن الحركة. وهذا نابع عن اعتقاد أن هذا الذيل المتحرك بذاته ينصّف في قاتله (أي يتمنى ان تحل اللعنة على قاتله وأهله) [٣٨٠]. وهذا الاعتقاد الأخير في ذيل الضفة يتقارب كثيراً من اعتقاد سكان ظفار في حيوان يطلقون عليه (الفيصغ) ومن اعتقادات بعض مناطق الخليج العربي في حيوان (البريعسي). [٣٨١] كما إن لهم أيضاً نظرة تشاؤمية في هذه السحلية اعتقاداً بأن صوتها نذير شؤم بوفاة أحد أفراد الأسرة. [٣٨٢]

أما السحلية الأخرى التي يطلق عليها محلياً بـ(العسودة) [٣٨٣] فلا ينظر لها تلك النظرة هذا إن لم نقل يُنظَر لها بعيون الرحمة والرأفة بالرغم من كونها تقتات

---

[٣٨٠] انظر النصفة في كتابنا هذا.

[٣٨١] انظر لغة عاد ص٣٢٠.

[٣٨٢] المرجع السابق ص٣١٨.

[٣٨٣] عادة يبلغ طول العسودة حوالي شبر ونصف أي (٢٥-٣٠سم) ولونها بين البرتقالي الى البني. وهي ناعمة الملمس على ظهرها خطوط ونقاط سود. تقتاد على الحشرات والهوام والقاذورات وتعيش قريبا من مواقع المجاري والقمامات.

على الحشرات والقاذورات بالأحواش والمراحيض. بل وقد عدت أيضاً من ضمن المخلوقات التي يطلق عليها بعضهم اسم (البركين). [٣٨٤] وسنأتي لها.

والأدب الشعبي الخاص بالشحريين الحضارمة ضم مواد متنوعة عن هذه العسودة وارتباطها بالولادة خاصة. كما ذكرت في بعض أهازيج الأطفال إلى جانب ذكرها في بعض الأشعار والقصص الشعبية. وهو ما سنبينه بتفصيل أكثر في الجزء الثاني.

ومن تصورات العامة حول هذه العسودة أنها تسقي الميت في قبره. ولذلك يتحاشى الكثير قتلها.

وإذا كنا قد أوجدنا مقاربة مع قتل (الضفة) بما كان سائداً في الخليج وظفار عمان. نجد كذلك ما يشابه تصوراتنا عن النهي من قتل (العسودة) لدى أشقائنا في الخليج أيضا وخاصة مع السحلية التي تدعى في لغتهم الشحرية (جمشيت) أو (الحلك) عند الإماراتيين [٣٨٥].

وكتعليل العوام لخلق بعض الكائنات والحيوانات بالكيفية والطبيعة التي هي عليها وارتباطها بحدث وموقف ما مع النبي. نجدها أيضاً على سبيل المثال لدى قبائل الكرب والصيعر واعتقادهم في حيوان (الضبع) الذي يطلقون عليه (كبش النبي). [٣٨٦] وكذلك أسطورة القرود لدى بعض قبائل ظفار التي مسخت من كائنات بشرية لعصيانها تعليمات النبي [٣٨٧]. وهي تتقارب مع ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل ومسخهم ليكونوا قردة وخنازير.[٣٨٨]

---

٣٨٤ انظر البركين في الجزء الثاني من كتابنا هذا.

٣٨٥ اورد الكاتب علي الشحري في حديثه عن التصورات الشعبية لدى سكان ظفار أن هناك نهي عن قتل نوع من السحالي تدعى باللغة الشحرية جمشيت. وعند اهل الامارات تدعى الحلك. وتبرير الناس ان قتلها سيتسبب في قتل ام القاتل. لغة عاد ص٣٢٩. كما ان قبائل القرا تكره قتل حيوان (الضبع) أو صيده او اكله. فهو حيوان مقدس ومطية الركوب بالنسبة للساحرات. توماس, برترام, رحلات ومغامرات عبر الصحراء ص١٢٠.

٣٨٦ توماس, برترام, رحلات ومغامرات ص١٢٠-١٢١.

٣٨٧ المرجع السابق ص١٢١.

٣٨٨ انظر القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٦٥؛ سورة الاعراف الآية ١٦٦.

عندما كانت كل الأشياء تتكلم:

ومن التصورات التي التمسناها من خلال بعض رواسبها العالقة في الذاكرة اعتقاد بعض العامة بأن كل الكائنات الحية وغير الحية كانت تتكلم وتتخاطب مع البشر. وأن هناك محبة وألفة بينهما. لدرجة إذا ما هم الإنسان بالتقاط فاكهة ما اعجبته تناديه هذه الفاكهة بفرح طالبة منه القدوم والإسراع في التقاطها. بل وهناك تنافس بين هذه الفواكه والتمرات مع بعضها وكل يترجى هذا الإنسان لالتقاطه وأكله.

ويعتقد أن هذا الفعل الكلامي للحيوان والنبات وعدم امتناعهم عن الإنسان, فيه حياة وتكريم لهذه الفاكهة المأكولة أو الحيوان وما على الإنسان إلا أن لا يتردد ويقدم على أكلهن من دون شفقة أو رحمة.

كما يعتقد بهذا الخصوص أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق (أبانا آدم) وأنزله من الجنة إلى الأرض. طلب منه إعلام الملائكة بمسميات الأشياء من حوله. فكان آدم كلما جال بصره جهة حيوان ما أو جماد. يصيح هذا الحيوان أو الجماد باسمه. فيقول هذا على سبيل المثال أنا حجر وهذا أنا جبل, أنا بحر, أنا اسد, أنا نملة, ...إلخ . وأن كل الكائنات كانت طائعة وخاضعة للإنسان وتأتمر بأمره.

وإن نهاية هذا النعيم الذي عاشه الإنسان في بداياته الأولى انتهى بعد أن قامت إحدى نساء البشر بمسح غائطها أو غائط طفلها الصغير ببعض الفواكه. إذ حلت على الفور لعنة الله وغضبه على بني البشر جميعاً.

إن هذه الأسطورة على ما فيها من اضطرابات في بعض صورها نستطيع أن نلمس ما يشابهها بوضوح أكثر لدى إخواننا الظفاريين. فلديهم تصورات تتشابه من مثل هذا الاعتقاد ويذهب إلى أن الجمادات على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها كانت تتكلم. فهم يقولون باللغة الشحرية (دوعود شيء يهيرج).[٣٨٩] وإن هذه الأحجار والجمادات كانت كلها في الأصل فواكه وتمورًا. وإن الإنسان في تلك البيئة يعيش بهناء وسعادة. إلى أن قامت إحدى نساء البشر بمسح غائط ابنها بفاكهة التمر. ومن حينها انقلبت تلك النعمة إلى نقمة وتحولت تلك الفواكه والتمور إلى أشكالها وهيئاتها الحالية.

وفي مجتمعنا الشحري الحضرمي ما زال الناس لليوم يتجنبون رمي بقايا أطعمتهم في المراحيض أو الأماكن القذرة خشية من غضب الله فهذا السلوك في

---

[٣٨٩] الشحري, لغة عاد, ص٣٣٤.

تصوراتهم يدل على جحود النعم التي وهبها لهم الله سبحانه وتعالى. وإن هناك عقابًا إلهيًا ينتظر من يفعل هذا متعمدا.

ولا عجب أن لاحظنا في تصاميم البيوت (التقليدية) القديمة أن خصص الناس مواضع مختلفة للاغتسال وقضاء الحاجة؛ فموضع يطلق عليه بـ(الزولي) وهو مخصص فقط لقضاء الحاجة، وموضع آخر يطلق عليه بـ(الرضية أو الطهارة) وهو يخصص للاغتسال والوضوء. وموضع أخر يطلق عليه بـ(السحسوح او السحسوحة) وهذه تخصص لغسل المواعين والأيدي بعد تناول الطعام أو لغسل الملابس. وينهى في هذا الموضع عن التبول أو التبرز وهكذا.

من الفولكلور الحضرمي

الباب الثانى

المعتقدات الشعبية

الفصل الأول

اعتقادات العامة فى السحر والسحرة والتمائم والحروز

والعين الشريرة

تصورات الناس في الكهانة والعرافة والسحر

إلى جانب الاعتقادات والتصورات التي أوردناها سابقاً, يمكن هنا أن نشير إلى تصورات واعتقادات أخرى تدور حول عالم الجن والسحر والكهانة والعرافة وما شابهها كقراءة الكف والفنجان والودع. سواء كانت هذه التصورات والاعتقادات سابقة على ظهور الإسلام في المنطقة أم هي مما جاء بعده متأثرة به خاصة أن الإسلام أشار إلى بعض تلك الظواهر الغيبية والعوالم الخفية كحقائق لا يجوز للمؤمن إنكارها.

وفي الحقيقة لا يخلو مجتمع من المجتمعات من اعتقادات حول تلك العوالم والظواهر بما فيها حتى تلك المجتمعات التي بلغت درجة عالية من الرقي والتقدم والتطور العلمي. هذه إذا ربطت مثل تلك الظواهر بالشعوب النامية أو المتخلفة.

وثمة غلط كبير نجده لدى بعض المؤرخين وهم يتحدثون عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية والروحية والفكرية لدى قدماء الحضارم تسهب كثيراً في الاعتقادات الوثنية لدرجة أننا نجد بعضهم وصف هذه الأرض الحضرمية بقوله أرض السحرة. وهو ما انعكس بدوره على ما كتب في بعض كتابات المؤرخين اللاحقين المولعين بمثل هذه الأخبار فعلى سبيل المثال ذُكِرَ قديماً عن وجود السحرة في أوساط قبيلة السكاسك الذين كان باستطاعتهم إيقاف السحابة الماطرة [٣٩٠] وجلب السيول المفاجئة. والسكاسك من القبائل التي سكنت حضرموت منذ القدم.

ولعل أقدم إشارة نسبت السحر لهذه الأرض (الشحر) تلك التي تعود إلى القرن العاشر قبل الميلادي وهذا ما نجده في إشارة أوردتها بعض السجلات الصينية عن وجود ساحر من هذه الأرض (الشحر) كان يمارس عمله بحضرة الامبراطور الصيني (مو وانغ) وهو الذي حبب لذلك الإمبراطور الرغبة للقيام برحلته إلى ملكة سبأ [٣٩١]. أما المؤرخ ابن المجاور فقد وصف سكان هذه المنطقة عامة (إقليم الشحر)

---

[٣٩٠] التحكم بهطول المطر ليس خاصاً بالسكاسك وحدهم فقد ذكر المقريزي في كتابه (الطرفة الغريبة) أن اناس من قبيلة القمر في ظفار يفعلون هذا. ص٣٥؛ وللتفصيل عن مثل هذه التصورات لدى الشعوب المختلفة انظر فريزر, جيمس, الغصن الذهبي ص٢٥٤.

[٣٩١] انظر منى, زياد, بلقيس امرأة الألغاز وشيطانة الجنس, رياض الريس للكتب والنشر, ط٢, ١٩٩٨م, ص٢٨٩. ولمعرفة المزيد عن تلك الرحلة انظر المرجع المذكور, الملحق (و) ص٢٧٩ وما بعدها.

وخاصة أهالي سقطرى والمهرة وظفار بأنهم سحرة [٣٩٢] إلى جانب نعوث وصفات أخرى مغرضة وحاقدة. أما فيما كتبه المؤرخ أحمد بن علي المقريزي في مؤلفه (الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة) ففيه العديد من الأخبار عن تلك الظواهر والممارسات بالمنطقة، وسنأتي إليها لاحقاً.

ونحن نرى أن تلك الهالة الغيبية والغموض الذي غطى سماء المنطقة (حضرموت عامة) إنما جاءت لتغطية ذلك النقص الفكري والمعرفي الذي لف المنطقة خلال قرون طوال من تاريخها.

وأعتقد أن لردة حضرموت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وثوراتهم المتكررة على دول الخلافة فضلاً عن انتشار الأباضية فيما بينهم لقرون عدة دورًا في تحامل عدد من المؤرخين والكتّاب على الحضارمة وتاريخهم. كما أن لبعد المنطقة عن بلدان الخلافة الإسلامية (العراق, الشام, مصر) التي كانت تعج بالمؤرخين, دوراً في عزوف الكثير من كتّاب ومؤرخي تلك البلدان عن تناول أخبارها وأحداثها واكتفوا في الغالب بالنقل أو ما يصلهم من شفاه الرواة.

كما أن للصراعات القبلية والاضطرابات الداخلية التي سادت المنطقة الحضرمية عموما لقرون عدة التي خلقت حالة من الفوضى وعدم الأمان دورا في عزوف الكثير من الحضارم عن التدوين. فضلا عن تعرض القليل من المدون إلى الطمس والإخفاء لعدم توافقه مع أهواء الفئات المسيطرة. لذلك جاءت الكثير من المعلومات عن هذه الارض مبتورة ومشوهة.

إن غالبية من كتب عن المنطقة ومنهم أولئك الكتّاب الذين أشرت إليهم سابقاً (ابن المجاور/المقريزي) لم يزوروا المنطقة وإنما اعتمدوا على روايات محدثيهم فيما اكتتبوه. فقد اعتمد ابن المجاور على سبيل المثال في أخباره عن حضرموت وخرافاتها على رواية محدثه (علي بن محمد بن أحمد السباعي) بينما اعتمد المقريزي على محدثه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن سالم بن بريك). وهذان الراويان من حضرموت كظاهر اسميهما.

---

[٣٩٢] انظر ما كتبه على سبيل المثال ابن المجاور, صفة بلاد اليمن, ص٢٦٦-٢٦٧؛ المقريزي, أحمد بن علي, الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة؛ ناومكين, فيتالي, سقطرى جزيرة الأساطير, الفصل التاسع ص٣٩٩ وما بعدها؛ بامطرف, محمد عبد القادر, لمحات من تاريخ جزيرة سقطرى.

ونحن هنا لا نستطيع نفي أو تأكيد ما نسب إليهم من روايات أو ما ورد عن الشحر وحضرموت في تلك الكتابات من حكايات وأخبار بقدر أن ما يهمنا هنا هو لملمة شتات تلك الأخبار والأساطير المنسوبة للمنطقة من الكتب ومن شفاه الرواة لتوثيقها في قالب واحد ليسهل الرجوع إليها ولتسهل أيضا دراستها وتحليلها.

الكهانة والعرافة :

على الرغم من عدم امتلاكنا الكثير من المعلومات عن الكهانة أو العرافة في المنطقة بل وفي عموم حضرموت قبل ظهور الإسلام سنحاول البحث في هذا المجال وفقاً لما لدينا من مصادر ومراجع.

ويمكن القول هنا إن الكهانة والعرافة عرفها الشحريون الحضارمة أسوة بغيرهم من مناطق الجنوب العربي وخاصة فترة ما قبل الإسلام. فهم ليس بمنأى عن المجتمعات الأخرى القريبة. كما عرفوا كذلك ما ارتبط بها من فنون أخرى كالزجر وقراءة الكف والفنجان والتنبؤ من خلال اتجاه طيران الطير وما يصاحب بعضها من اعتقادات تشاؤمية أو تفاؤلية.

وقد صاحبت مثل تلك الاعتقادات الناس حتى بعد ظهور الإسلام ولليوم كاعتقاد العامة على سبيل المثال في بعض الطيور المحددة كطائر الدِميمة (البوم) **Owl** او حشرة المبشر (نوع من الصراصير) وارتباطهما ببعض التصورات وسنأتي لهما لاحقاً.

ومثلها اعتقاد العوام في الطيرة أو الفأل **OMEN** التي شملت حتى تصنيف الناس لبعض أيام الأسبوع او بعض ايام الشهور والسنة وسنأتي لهذا في موضعه.

إن جميع تلك الاعتقادات والممارسات أبطلها الإسلام ولكن لم تلغ من أذهان بعض الناس الذين لا زالوا يؤمنون بمثل تلك الاعتقادات والتصورات. كما لم تلغ كذلك من أذهان أولئك الدجالين الذين يروجون لمثل هذه الأفكار.

كما عرف الحضارمة كذلك فنون العيافة والقيافة والفراسة. وهي فنون أكثر ما تتجلى في أدبهم الشعبي وخاصة الحكايات الشعبية.

ففيما يتعلق بالكهانة، ظهر قديماً عدد من الكهنة الحضارمة المشهورين في التاريخ منهم (خنافر بن التوأم الحميري) الذي وصف بأن له بسطة في الجسم ومنعة من المال. وأنه كان جباراً عاتيا وإن له رائيًا يخبره الغيب اسمه (شصار) وهو الذي دله على ظهور رسالة الإسلام ليسلم بعدها. وقد تحالف (خنافر) مع زعيم مهرة (جودان بن يحيى القرضمي) بعد أن أغار على إبل من منطقة الجوف ولجأ إلى

الشحر ليستقر بأحد أوديتها الذي يتميز بكثرة أشجار الأيك والعرين.[٣٩٣] كما عرفت المنطقة في الجاهلية (زبراء الكاهنة) وقصتها مشهورة سنأتي إليها [٣٩٤]

أما بعد ظهور الإسلام فلا يوجد ذكر حسب علمنا لهؤلاء الكهان في منطقة الشحر عامة. خاصة أن من المفاهيم الجديدة للدين الإسلامي, الإيمان بالقضاء والقدر وأن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده. والنهي عن الذهاب للسحرة والعرافين. وفي الوقت نفسه أكد الدين على وجود السحر كحقيقة مؤثرة في الخلق. . لذلك لم يختف عن المجتمع أولئك من ممارسي السحر أو العرّافين وقارئي الكف والفنجان وضاربي الرمل.

فتصورات الناس في الكهانة والكهان وأخبارهم بالغيبيات والتنبؤ بالأمور المستقبلية. قد انتهت من تصورات الناس واعتقادهم فيها وخاصة كما أشرت بعد ظهور الإسلام الذي حارب هذه الظاهرة (الإتيان للكهان) في أكثر من موضع في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.[٣٩٥]

أما ما يتعلق بالسحر والعرافة والتنجيم وقراءة الطالع وغيرها فاستمرت بعد الإسلام على الرغم من محاربته لها. وكانت تمارس سراً عند اشتداد محاربتها وأحيانا تُجاز (اجتماعيا) ممارستها والتعامل بها عند ضعف الوازع الديني أو عند تغير نظرة العامة تجاهها كان ينظر إلى تلك المعارف كفن من الفنون أو علم من العلوم وإن كان زائفا ومخالفاً للشرع الإسلامي. وهذا ما يفسر وجود هذه المعارف في كل زمان ومكان مع اختلاف درجة شيوعها والاعتقاد فيها.

أما الكهانة فقد انتقلت بعد الإسلام من هؤلاء الكهان لتحل في بعض الشعراء الشعبيين المتميزين. وإذا كان الكهان القدامى اشتهروا بامتلاكهم رؤي (جنياً, روحاً, ملاكاً) يخبرهم عن المغيبات. فإن لهؤلاء الشعراء المحليين وفقاً للتصورات الشعبية ما يعرف بـ(الحليلة/ الهاجس) وهي التي تمكنهم من إلهاماتهم الشعرية بما احتوته بعضها من تكهنات وتنبؤات مستقبلية.[٣٩٦]

---

[٣٩٣] انظر تفاصيلها عند القالي, إسماعيل بن القاسم البغدادي, الأمالي. (١/١٣٣-١٣٤)؛ باوزير, سعيد عوض, الفكر والثقافة في حضرموت ص٤٤-٤٥.

[٣٩٤] د. سرجيس فرانتسوزوف تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده ص٨٦. وللمؤرخ محمد بامطرف في فذلكته التاريخية (قبيلة قضاعة اليمنية) العديد منأاخبار الكهنة والسدنة التي عرفتهم المنطقة في تلك الحقب القديمة.

[٣٩٥] انظر على سبيل المثال القرآن الكريم سورة الشعراء الآية ٢٢٣.

[٣٩٦] انظر ما كتبناه عن الجنية الحليلة في كتابنا هذا.

وكثيراً ما يحاول العامة تأويل بعض قصائد هؤلاء الشعراء أو أبيات من قصائدهم الشعرية بصور رمزية تخالف ظاهر القصيدة لتتماشى وإيمانهم بقدرة هؤلاء الشعراء على التنبؤ بالمستقبل والحوادث القادمة.

الكاهنة زبراء:

خلدت لنا بعض المصنفات التاريخية عددًا من روايات وقصص أولئك الكهنة الذين شاع ذكرهم ونسبوا إلى هذه المنطقة (الشحر كإقليم) منها قصة زبراء الكاهنة سابقة الذكر وهي مع بني قضاعة. وقضاعة من أقدم القبائل التي سكنت منطقة الشحر واستوطنت المدينة.

وكما جاء في الروايات التاريخية أن هناك: ((ثلاثة أبطن من قضاعة مجتورين بين الشحر وحضرموت, بنو ناعب وبنو داهن وبنو رئام. وكانت بنو رئام أقلهم عدداً وأشجعهم لقاء. وكانت لبني رئام عجوز تسمى (خويلة) وكانت لها أمة من مولدات العرب تسمى (زبراء). وكان يدخل على خويلة أربعون رجلا كلهم لها محرم بنو إخوة وبنو أخوات. وكانت خويلة عقيماً. وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بني رئام.

فاجتمع بنو رئام ذات يوم في عرس لهم وهم سبعون رجلاً كلهم شجاع بئيس. فطعموا وأقبلوا على شرابهم. وكانت زبراء كاهنة فقالت لخويلة: انطلقي بنا إلى قومك أنذرهم. فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء فلما أبصرها القوم قاموا إجلالاً لها. فقالت: يا ثمر الأكباد وأنداد الأولاد وشجا الحساد هذه زبراء تخبركم عن أنباء قبل انحسار الظلماء بالمؤيد الشنعاء فاسمعوا ما تقول. قالوا: وما تقولين يا زبراء. قالت: واللوح الخافق والليل الغاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوادق, إن شجر الوادي ليأدو ختلا ويخرق أنيابا عصلا. وإن صخر الطود لينذر ثكلا لا تجدون عنه معلا. فوافقت قوما أشارى سكارى فقالوا: ريح خجوج بعيدة ما بين الفروج أتت زبراء بالأبلق النتوج. فقالت زبراء: مهلا يا بني الأعزة والله إني لأشم ذفر الرجال تحت الحديد. فقال لها فتى منهم يقال له هذيل بن منقذ: يا خذاق, والله ما تشمين إلا ذفر إبطيك.

فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوي أسنانهم فانصرف منهم أربعون رجلاً وبقي ثلاثون فرقدوا في مشربهم. وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين وأقبلت خويلة مع الصباح فوقفت على مصارعهم ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها وانتظمت منها قلادة وألقتها في عنقها وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سعوة

المهري وهو ابن أختها فأناخت بفنائه واستعدته على بني داهن وبني ناعب فخرج في منسر من قومه فطرقهم فأوجع فيهم)) [٣٩٧] وهذه الحكاية تتقارب مع حكاية زرقاء اليمامة في العديد من صورها وأشكالها. [٣٩٨]

أما عن الرجز والتنبؤ بالغيب فما زال لها حضور في اعتقادات الناس حضرها وبدوها. وقد ذكر المؤرخ أحمد محمد الشاطري في هامش كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) في حديثه عن الرجز قوله: ((إلى اليوم لاتزال بعض القبائل البدوية يتكهن أفراد منها بواسطة لون السحب أو خطوط الكف أو عظم كتف الشاه بعد أكله فيصدقون في ذلك)) [٣٩٩] .

كما أن الكثير من البدو (سكان الريف) يتمتعون بقدرات غير عادية في مجال الفراسة وتتبع الأثر أو التوقع للأحداث بحاجة إلى من يرصدها ويتناولها بالدراسة.

وجاءت الأسطورة في الموسوعة العربية الميسرة: ((حكاية تنتقل بوساطة الرواة وتدور حول الآلهة والأحداث الخارقة, وتختلف عن الملاحم التي تسجل أفعالاً إنسانية وعن الخرافات التي ابتكرت لأغراض التعليم والتسلية ....))[٤٠٠].

وفي العصر الحديث بدأت موضوعات الأساطير والخرافات تدخل مجالات العلوم والدراسات الأكاديمية بعد ظهور ما يسمى بعلم الأساطير mythology بمجالاته ومناهجه.[٤٠١] كما وظف حديثاً عدد من المواد التي يدرسها هذا العلم ببعض المجالات التطبيقية كمجال التربية والتعليم على سبيل المثال وذلك لإثبات أو نفي قيم معينة أو لتحقيق أهداف سلوكية ما. فضلاً عن تطبيقاتها السابقة وتدخلاتها في مجالات الأدب والفنون. بل وحتى في بعض التطبيقات الطبية.

---

[٣٩٧] صفوت, أحمد زكي, جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة المكتبة العلمية – بيروت – عدد الأجزاء ٣. (١/١١٠-١١٢). وانظر كذلك النص نفسه د. سرجيس فرانتسوزوف تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده ص٢٦١ -٢٦٢؛ أدوار التاريخ الحضرمي (١/٧٤-٧٥))؛ باوزير, سعيد, الفكر والثقافة ص٤٣.

[٣٩٨] لمعرفة حكاية زرقاء اليمامة انظر على سبيل المثال كتاب العقد الفريد لابن عبدربه؛ وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني؛ والاغاني لأبي الفرج الاصفهاني.

[٣٩٩] الشاطري, أدوار التاريخ الحضرمي (١/١٠٨).

[٤٠٠] مجموعة من المؤلفين, الموسوعة العربية الميسرة, شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع, المكتبة العصرية, بيروت ط٣, ٢٠٠٩م (١/٢٨٣).

[٤٠١] علم الأساطير: دراسة الأساطير بوصفها ظواهر اجتماعية, علمية. وقد بدأ الاهتمام بدراسة الأساطير في القرن الثامن عشر, ثم جاء مولر فربطها بالفيلولوجيا وربطها تايلور وفريزر بالأنثروبولوجيا. انظر قاموس الأنثروبولوجيا ص٦٥٩.

وفي القرآن الكريم نجد هناك العديد من الآيات التي وردت فيها كلمة (الأساطير) وبصيغة الجمع نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)) سورة الأنعام, الآية (٢٥). او في قوله تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)) سورة النحل الآية (٢٤). أو في قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)) سورة الفرقان, الآيات (٤-٦). وغيرها من الآيات. [٤٠٢]

تعريف الخرافة لغة واصطلاحاً Superstation:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (خرف): ((الخَرَفُ بالتحريك فساد العقل وقد خَرِفَ الرجل بالكسر يَخِرْفَ خَرَفاً فهو خَرِفٌ فسد عقله من الكبر والأنثى خَرِفة وأخرفه الهرم)) [٤٠٣] وفي فقرة أخرى: ((والخرافة الحديث المستملح من الكذب. وقالوا حديث خرافة. ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة أن خرافة من بني عذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس... وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وخرافة حق. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قال لها حدثيني قالت ما أحدثك حديث خرافة والراء فيه مخففة ولا تدخله الألف واللام لأنه معرفة إلا أن يريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل أجروه على ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كل مايستملح ويتعجب منه)) [٤٠٤].

اما المعجم الفلسفي فيعرف الخرافة بأنها:

١) **لغة :** المستملح المكذوب.

٢) **اصطلاحا :** معتقد لا يعتمد على أساس من الواقع ولا من الدين. مثل الأقوال أو الأفعال أو الأعداد التي يظن أنها تجلب السعد أو النحس.

والخرافة تنشأ حين يتوهم الإنسان علاقة علّية ضرورية بين ظاهرتين. بينما تكون هذه العلاقة عرضية طارئة. ووظيفة العلم محاربة الخرافات في كل صورها

---

٤٠٢ للمزيد من التفصيل عن معاني أساطير الأولين بالقرآن الكريم انظر عجينة, محمد, موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالاتها (١٦/١-٢١).

٤٠٣ ابن منظور, لسان العرب, مرجع سابق, (٦٣/٩).

٤٠٤ المرجع السابق, الصفحة نفسها.

لأن العلاقة التي يقوم عليها يشهد بصدقها الواقع. ويطرح وقوعها من غير شذوذ ولا استثناء. [٤٠٥] أما قاموس الأنثروبولوجيا فيعرف الخرافة Legend بأنها ((قصة أبطالها في الأغلب كائنات فوق طبيعية وبعضها بشرية. تدور حول أحداث يفترض أنها وقعت في الماضي. وتهدف الخرافة إلى سرد تجارب أشخاص أو رواية أحداث من التراث الشعبي. ولذا فهي تنتقل ضمنه)). [٤٠٦]

وفي الموسوعة العربية الميسرة هي: قصة قصيرة ذات مغزى أخلاقي, وغالباً ما يكون أشخاصها وحوشاً أو جمادات...[٤٠٧]

وهناك من يقسم الخرافات إلى ثلاثة أنواع أساسية تتداخل مع مفهوم الأسطورة وهي:

١- الخرافة البحتة أو التامة Myth proper

ويقصدون بها محاولات الإنسان الأولى قبل ظهور العلم لتفسير الظواهر الطبيعية المختلفة المحاطة به والمثيرة لفضوله باستخدام التبريرات الخيالية ليولد لنفسه إحساسًا بالرضا والاقتناع. وهي تخاطب الجانب الوجداني العاطفي عند الإنسان وليس العقل. بمعنى آخر أنها تركز على الجوانب التاريخية للأشياء وعلى أصولها الأولى. وهي تتقارب إلى حد كبير مع مفهوم الأسطورة السابق الذكر.

٢- القصة أو الرواية البطولية Saga

وهي تعالج الأحداث التاريخية وغير التاريخية بتناولها أمور البشر ومعاركهم وانتصاراتهم ومدى تدخل القوى الغيبية في ذلك، وهي لا تقدم تفسيرات لمختلف الظواهر. وقد ندخل في هذه ملحمتي الأوديسا والإلياذة المشهورتين أو أسطورة جلجامش البابلية [٤٠٨] وإن كان بعضهم يدرجهما مع النوع الأول. أما على الصعيد العربي فهناك قصص ألف ليلة وليلة وخاصة في بعض منها. أو قصة الملك سيف بن

---

[٤٠٥] د. إبراهيم مدكور المعجم الفلسفي ص٨٠ مرجع سابق؛ وللمزيد انظر موسوعة أساطير العرب (١/١٩).

[٤٠٦] سليم, شاكر مصطفى, قاموس الأنثروبولوجيا, مرجع سابق, ص٥٥٨.

[٤٠٧] مجموعة من المؤلفين, الموسوعة العربية الميسرة, مرجع سابق, (١٤٣٣/٣).

[٤٠٨] جلجامش قصيدة ملحمية بابلية ٢٠٠٠ ق. م الواضح من السجلات القديمة أنها كانت أطول بمرتين مما هي عليه الآن بشكلها الحالي موزعة في نحو ثلاثين ألف لوح من الأجر أو أجزاء في ثلاث لغات. تحكي القصيدة مغامرات جلجامش الذي يبدأ كحاكم قاس يخوض بعدها معركة شرسة مع شخصية بدائية ثم يصبح صديقة الحميم, لا يلبث أن يفقده, يحاول استعادة صديقه لكن دون جدوى. يقابل ظله في أرض الموتى في النهاية. من دليل القارئ إلى الأدب العالمي, مرجع سابق, ص٤٢٩؛ وعنها ايضاً نعمة, حسن, ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ص٦٠ – ٦٣؛ معجم الفولكلور ص٢٢٣؛ قاموس أساطير العالم ص٣٥. وغيرها.

ذي يزن الخيالية أو أبو زيد الهلالي وقومه ورحلتهم إلى بلاد المغرب. وقصة الظاهر بيبرس وغيرها مما عرف بقصص الأدب الشعبي.

٣- ما يسمى بالقصص الشعبية Marchen

وتهدف هذه في الأساس إلى تحقيق نوع من المتعة والتسلية دون مراعاة لأي شيء آخر كغياب المنطقية مثلاً كما لا تسجل حدثًا تاريخيًا ما أو شبه تاريخي وإنما هي روايات من نسيج خيال الأوائل تناقلتها الأجيال جيلاً عن جيل في مسامراتهم وأحاديثهم اليومية وقد ندرج فيها بعض قصص ألف ليلة وليلة، سيرة بني هلال. الزير سالم، عنترة ابن شداد، المقداد والمياسة. وقد تكون بعض من شخصياتها وحوادثها حقيقة إلا أن عامل الخيال وتجاوز المعقول واضح فيها وجلي. كما يدخل فيها كذلك قصص وحكايات الظرفاء والمنكتين أمثال شخصية جحا او أشعب او أبي نواس وغيرهم من أبطال وشطار وعيارين وآخرين لم يلاقوا مثل تلك الشهرة. فضلاً عن تلك الحكايات التي يتداولها الناس على سبيل الفكاهة والمتعة أو تلك التي ترويها الجدات لأحفادهم قبل النوم. وهذه القصص الأخيرة غالباً أبطالها من الأمراء والسلاطين وبناتهم أو أبناء الحرفيين والصنّاع. أو تلك الحكايات التي تروي وقائع مع كائنات غيبية كالجن والعفاريت. وأدبنا الفولكلوري مليء بمثل هذه الحكايات التي تناقلناها من شفاه الرواة. وسنخصص لهذا النوع من الأدب الشعبي جزءًا خاصًا من فلوكلورنا الحضرمي.

ويمكن نحن أن نضيف نوعا آخر من الخرافة وهو:

٤- الخرافة المغلّفة:

ونقصد بها تلك التصورات اللاعقلانية أو المبالغ فيها التي تسربت لتثبيت نفسها في الوعي العربي ووجدانه مستغلة ما ورد عنها في الدين الإسلامي من إشارات وحقائق (غيبية) بصيغة العموم. حاولت تلك التصورات أن تتماشى معها وتتعمق في جزئياتها وتفصيلاتها وتزيد عليها كأنها مما أتى به الدين ومن معارفه وتصوراته. في حين أنها لا تتعدى من الناحية الدينية نفسها مجرد أباطيل وافتراءات اعتمدت على خيالات الرواة والقصاص والوضّاع وعلى ما عرف في أدبياتنا العربية بالإسرائيليات.

وأدبنا العربي ملئ بمثل هذه النماذج منها على سبيل المثال تلك التي تتوسع في عوالم الجن والملائكة بأشكالها وأماكنها وأصنافها وقدراتها. بل وحتى في أنسابها وتاريخها القديم أيضا!..إلخ مستغلة كما قلنا بعض الحقائق الدينية عن تلك العوالم

اللامرئية. فعملت على تشكيلها وتثبيتها في صميم وعينا العربي. أو كتلك التي تدور حول العين والحسد وتأثيراتهما أو عن السحر والكرامات والخوارق وقدرات أصحاب الولاية أو عن الشخصيات و الأقوام ذوي الصفات الخيالية كتلك التي نجدها في أقوام عاد قوم النبي هود أو العمالقة أو ما قيل عن أشكال وهيئات تلك الكائنات التي تسمى بالنسانيس وهذا على الصعيد المحلي الشعبي.

ويتوجب علينا في خاتمة مقدمتنا هذه أن لا ننظر لهذه الخرافات والتصورات المتوارثة كنوع من الخزعبلات والضلالات الباطلة. وهي وإن كانت كذلك في بعض صورها ومضامينها. تمثل انعكاسًا في مضامين أخرى لما كانت عليه عقلية الناس ومستوى تفكيرهم ومدى تفاعلهم أو استجابتهم للأحداث والمواقف المختلفة. كما أنها تحمل في بعض مضامينها الأخرى قيمًا سلوكية أو تربوية صاغها الوجدان الجمعي لتهذيب السلوك وتقنينه وضبطه. وللحد من بعض المشاكل في المجتمع. فعلى سبيل المثال للحد من مشاكل الأطفال وإساءتهم للحيوانات الأليفة صاغ القدماء بعض التصورات لتصب في وجدان الأطفال كتلك التي تذهب إلى إمكانية تلبس الجن - ككائنات لا منظورة مخيفة- بهذا الحيوان أو ذاك. قد تصيب الطفل بأذى إن تعرض لأذية هذا الحيوان (الأليف) غالباً. أو أن هذا الحيوان محتمل أن يكون جنياً بالفعل. وهذا يعني أن للحيوان القوة والقدرة للانتقام حال الاعتداء عليه وهكذا. ولتأكيد مثل هذه التصورات ابتكر القدماء قصصًا وأخبارًا لم ينزل الله بها من سلطان وتوارثها عنهم الأبناء وزادوا عليها. ومثل هذه الأساليب وإن كانت غير تربوية بنظر بعض علماء التربية. لها دورها وتأثيرها الفعّال في ضبط سلوك الأطفال وتهذيبه.

ويمكن هنا أن نختتم هذه الفقرة بخلاصة لمعنى الأسطورة والخرافة كما ننظر إليها من خلال التعريف الآتي:

أ) الأسطورة:

تمثل تفسيراً وتعليلاً غير علمي أو عقلاني لظواهر كونية شاملة أو جزء منها. وهي أيضاً تبريرات تحاول الإجابة عن أسباب حدوث بعض الظواهر والجزئيات في العالم. وهي تفسيرات مجهولة المصدر. يتوارثها الناس شفاهةً غالباً كتفسير نشوء الكون والحياة والخلق والإنسان أو ذكر للآلهة وعلاقتها بالبشر..إلخ. كما تدخل فيها التصورات الخارقة للعادة واللامعقولة لبعض الأحداث أو الشخصيات التاريخية. ولا يشترط فيها أن تكون على قالب أدبي (شعري) أو النظر إليها كنص مقدس.

ب) الخرافة:

تمثل مجموعة متوارثة من التصورات والقصص الخيالية التي تتجاوز الواقع ويعتقد الناس في صدقها وصحتها. أو هي أفكار وتصورات غير منطقية أو مبالغ فيها تحاول أن تفسر أحداثًا ووقائع معينة بالرجوع إلى الغيبيات. وهي أفكار تبريرية لسد بعض التساؤلات عن أحداث ووقائع معينة يعتقد بعضهم بصحتها. وتشمل على سبيل المثال التصورات التي تدور حول السحر والسحرة وقدراتها وتأثيرها. وتفاصيل عوالم الجن وغوامضها. وقراءة الكف والفنجان والعين وما يرتبط بهما من تصورات وغيرها من ممارسات واستجابات لتصورات لا عقلانية يلجأ إليها الإنسان اعتقاداً في صدقها وصحتها. وهي لا تبتعد كثيراً عن تعريفنا للأسطورة هنا.

نماذج لبعض التعليلات الأسطورية في تراثنا الشعبي

سنستعرض هنا بعض التفسيرات التي تحاول أن تبرر حدوث أو وجود بعض الظواهر في هذا العالم، وهي كما نرى تقترب كثيراً من التعليلات الأسطورية, وإن كان بعضها غير مكتمل المعالم.

شجرة الذبَّان:

يقصد بالذبان في اللهجة المحلية (الذباب) وهي حشرة معروفة. حيث ساد اعتقاد بأن مصدر زيادة الذباب وبكثرة ملحوظة في بعض فصول السنة وخاصة في المواسم التي تتبع هطول الأمطار يعود إلى نبتة طبيعية تنبت في البراري بعد هطول المطر. يطلق عليها الأهالي بـ(شجرة الذبَّان). يظن الناس أن الذباب يتوالد من هذه النبتة وينتشر. في حين يحاول آخرون تبرير ذلك بأن هذه النبتة ماهي إلا حافظةً لبيوض الذباب إلى حين تفقس لينتشر بعدها بأعداده الهائلة داخل المدينة.

وشجرة الذبَّان هذه تعرف أيضاً باسم (الفرفران) وهي كما عرفها المؤرخ (محمد عبد القادر بامطرف) شجيرة صغيرة خضراء تنمو بعد هطول المطر في الشعاب وعلى مساحات واسعة [٤٠٩]. تجف أوراقها بعد أيام من ظهورها ويستحيل لونها إلى الأصفر ثم تتساقط أوراقها وفروعها لتتطاير مع الهواء وتتلاشى. لتنمو مرة أخرى بعد هطول أمطار غزيرة. وفي الأمثال الشعبية (الفرفران ما هو الزعفران).

ومن الملاحظ أنه وبعد أي موسم لهطول الامطار تزداد نسب أعداد الذباب. وهذا مرده إلى قلة العناية الصحية ووجود المستنقعات التي تخلفها الأمطار وليس بسبب تلك الشجيرة. كما نلاحظ -وهذا من المفارقات العجيبة- أن زيادة أعداد الذباب تظهر أساساً قبل ظهور تلك النبتة بفترة. وليس بعدها! فكيف تكون هذه النبتة هي المتسبب في الزيادة؟. ومن الأهازيج التي كان يرددها أطفال المدينة قولهم:

يا شجرة الذبان كلمينا *** وكلمي السلطان لا يجينا [٤١٠].

---

[٤٠٩] بامطرف, معجم الأمثال ص٢٦٨.

[٤١٠] وهذا البيت أورده أيضاً المؤرخ بامطرف ونسبه للشاعر الشعبي عمر كرامة بارماده. انظر بامطرف, محمد عبد القادر, مسرحية سور الشحر, طبع فرقة الشحر للمسرح التابعة لإدارة الثقافة والسياحة م / الشحر ١٩٧٧ م, ص١٦.

قشعة البحر:

وهي من التصورات التي تضفي على الظواهر الطبيعية بعض الصفات الإنسانية منها اعتقاد القدماء أن البحر (يقشع). والقشع أو القشعة بالعامية يقصد بها التجشؤ. أي انبعاث رائحة كريهة من البطن عبر الفم.

وهذه اللفظة (القشعة) تطلق على البحر وتنسب إليه وخاصة عندما تنبعث من أعماقه رائحة نفاذة قوية تشبه تماماً رائحة السمك المتعفن التي تنتشر في أجواء المدينة وما حواليها وتدوم بضعة أيام. وفيها يردد العامة قولهم كوصف لها: إن البحر (قشع) بمعنى تجشأ وأخرج ما في جوفه. وأكثر ما يكون قشع البحر عند حلول نجوم الخريف. [٤١١]

والقشعة أيضاً في العامية تعني رأس الوعل (تيس الجبل) وقرنيه. ويقال فلان قشعة أي ذو مروءة وشهامة. [٤١٢] والقِشعة في اللغة بكسر القاف جمع قشع بمعنى القطعة من السحاب تبقى بعد انقشاع الغيم. والقَشعة بالفتح جمع قِشاع وهي القطعة مما تفلق من يابس الطين. كما تعني ريح الشمال. والعجوز التي انقطع عنها لحمها من الكبر. والقُشع: كُنَاسة الحَمّام. [٤١٣]

أسطورة الدجاجة التي لا تطير:

وهذه الأسطورة التي تساق إلينا كقصة شعبية تحكي أن الله سبحانه وتعالى عندما أنزل أبانا آدم من الجنة, أنزل معه الطيور جميعها. وكان الوقت ليلاً. فتجمعوا في مكان ما ضمهم بانتظار الصباح. وفي منتصف الليل صاحت الدجاجة فرحة قائلة: (غداً سوف أطير). فأجاب بقية الطيور أيضاً فرحين: (غداً سوف نطير بإذن الله).

وما إن بزغ نور الصباح فإذا بجميع الطيور ترفرف بأجنحتها وتطير محلقة في السماء. حيث طارت (كما تقول راوية الأسطورة) الحدأة والصقر والنسر و(الدميمة) [٤١٤] و(الكورماني) [٤١٥] و(السخيرية) [٤١٦] و(الغرابة) [٤١٧] وغيرها.

---

[٤١١] فصل الخريف عند الحضارم يبدأ من ٢ يوليو ويستمر إلى نهاية شهر سبتمبر. وتتخلله سبعة أنجم, كل نجم منها يستمر لمدة ١٣ يومًا وهي على النحو الآتي: نجم النعايم, البلدة, المرزم, سهيل, باعريق, الخبا, الفرغ.

[٤١٢] بامطرف, معجم الأمثال والمصطلحات بامطرف ص٥٤٦.

[٤١٣] مجموعة من المؤلفين, المنجد في اللغة والأعلام, مادة قشع ص٦٣٠.

[٤١٤] الدميمة في اللهجة المحلية طائر البوم. وتجمع على دميم ودميمات.

[٤١٥] الكورماني يعني في اللهجة الشحرية طائر النورس.

إلا الدجاجة لم تستطع الطيران. فعندما حاولت الرفرفة بجناحيها للطيران لم تستطع. فأعادت المحاولة مرة أخرى دون فائدة. وهكذا كلما كررت محاولتها لم تنجح. فظلت وحدها عاجزة عن الطيران من دون كل الطيور.

والسبب في هذا يعود إلى أن الدجاجة عندما تكلمت في المستقبل لم تقر وتعترف بإرادة الله ومشيئته مصداقاً لما جاء في القرآن الكريم: ((وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا)) سورة الكهف الآيتان (٢٣-٢٤). فالدجاجة كما تقول الأسطورة حسمت أمرها كأن هذا الأمر بيدها حينما قالت جازمة: (غداً سوف أطير). فخيب الله ظنها. بينما بقية الطيور فقد أقرت بالإرادة الإلهية. وإن المشيئة لله وحده وليس لأي من المخلوقات أي خيار معها. وهذا بقولهم: (غداً سوف نطير إن شاء الله).

وهذه الأسطورة لا تختلف في كثير من الوجوه عن أسطورة مماثلة سادت لدى أشقائنا وجيراننا العمانيين. وقد رواها المستشرق (برترام توماس) [٤١٨] نقلاً عن لسان السلطان (تيمور بن فيصل بن تركي بن سعيد) سلطان مسقط وعمان في تلك الفترة. وإقرار الطيور بإرادة الله ومشيئته في الأفعال المستقبلية وثوابها. نجد فيها أيضاً ما يشابهها في أسطورة (آل شبر) وسنأتي لها.

أسطورة الصقعة والعجمة:

وهي أسطورة عثرنا علينا وإن كانت إلى الآن غير واضحة المعالم أو مكتملة الأركان. ولكننا نوردها هنا من باب الحفظ لها. خاصة أن بتراثنا العربي ثمة أساطير مشابهة لها يمكن أن تقربنا من فهم هذه الأسطورة.

وهذه الأسطورة (الصقعة والعجمة) تختص بها (قرية الواسط) [٤١٩] وهي من قرى مدينة الشحر تبعد عنها بنحو ٢٠ كيلو متر. والقرية الآن شبه أطلال بعد أن هجرها العديد من حلانها لنضوب الماء من معايينها. والقرية وإلى فترات متأخرة اعتاد بعض أهالي مدينة الشحر الخروج بأسرهم لقضاء فصل الخريف فيها لجمالها وجمال بساتينها. وتسمى تلك العادة بـ(الخريف أو التخرف أو التخراف) وسنأتي لها.

---

[٤١٦] السخيرية في اللهجة العامية تعني نوع من انواع الطيور الصغيرة.

[٤١٧] الغرابة: طائر الغراب وتطلق في اللهجة على المذكر والمؤنث.

[٤١٨] توماس, برترام. مخاطر وجولات في جزيرة العرب, من العراق إلى عمان ١٩١٨-١٩٣٠م. ترجمة سهيل الجدا. مراجعة وتحرير د. أحمد أبيش. دار الكتب الوطنية, ابوظبي, الإمارات العربية المتحدة. ط١, ٢٠١٤م. ص٢٧٥.

[٤١٩] جاء عنها في إدام القوت: ((قرية فيها جامع, وثلاثة معايين باردة الماء, عليها أموال لأهل الشحر)). ص٢١٨؛ وانظر المقحفي معجم البلدان (٢٢١٥/٣).

وفي هذه القرية يملك العديد من أهالي الشحر بيوتًا ومزارع ما زالت بعضها ماثلة للعيان. في حين اندثرت أكثرية تلك البيوت وجفت المزارع والمعايين.

والواسط هي القرية التي اشتهرت بزيارتها السنوية المسماة (زيارة الست) حيث جامع ومشهد الولي العلوي (عمر بن عبد الرحمن السقاف) الشهير بـ(عمر المحضار) (ت: ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) [٤٢٠] التي جعل منها في وقته (حوطة) يأمن فيها من التجأ إليها. ويبدأ موسم هذه الزيارة في الثامن من شهر شوال من كل عام الى الحادي عشر منه. وهي تعد مناسبة عظيمة لطالما استقطبت معظم سكان المدينة وما يجاورها من قرى. وفي قرية الواسط هذه توفي الولي عمر المحضار لينقل بعدها إلى تريم.

على الجبل المطل على هذه القرية ثمة أزواج من الحجارة الصغيرة المصفوفات فوق بعضهن يخايلهن الناظر من بعيد فتاتين جالستين قريبتين من بعضهما. يطلق على هاتين الحصاتين بالصقعة والعجمة (الصقعة بالعامية هي التي لا تسمع (صماء). أما العجمة فالتي لا تتكلم (بكماء). وقد اختفت الآن تلك الحصاتان.

وتدور حول هاتين الحصاتين أو الحجرتين تصورات قديمة متباينة تذهب إحداها إلى أن فتاتين (أختين على الأرجح إحداهما صقعة والأخرى عجمة) مسختا في هذا المكان وتحولتا إلى حجرين صغيرين. وبعضهم يقول قبرتا هنا فقط (أعلى الجبل). وآخرون يدّعون قتلهما في هذا المكان. من دون أن يقدم أي منهما إجابات شافية لمختلف التساؤلات التي تتعلق بهما (هذا ان كان أيٌ من الروايات سليمة).

ويزعم بعض أهالي الشحر ممن كانوا مقيمين بإحدى حارات قرية الواسط. وهي الحارة المعروفة باسم (حلبنات) [٤٢١] (أصبحت اليوم أطلالًا وموقعها على مقربة من سفح هذا الجبل الموجود بأعلاه الصقعة والعجمة) إنهم وفي موسم الخريف [٤٢٢] كانوا يسمعون في كل مساء بكاء وأنينًا خفيفًا لفتاتين مصدره تلك الجهة

---

٤٢٠ لمعرفة المزيد عن هذا الولي العلوي انظر: المشهور, أبو بكر المشهور بن علي, الإمام الشيخ عمر المحضار, فرع الدراسات وخدمة التراث, ط١, ٢٠٠٢م.

٤٢١ حلبنات, وبعضهم ينطقها حالبنات, أو حالي بنات والأخيرة محرّفة. ونسبة الاسم إلى قبيلة من الحموم, من حضرموت القبيلة كما عرفها المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف. ساهم أهلها في فتوحات الشام في جيش أبي عبيدة. ومنازلهم بطول كرم بفلسطين. بامطرف الجامع ص١٨٢.

٤٢٢ سبق وعرفنا بهذه العادة ونزيد أن التخراف أو قضاء أوقات الخريف (الصيف) في الأرياف, إذ اعتاد سكان المدينة وفي أوقات الصيف, ويسمونه (الخريف الزراعي) أن ترتحل العديد من الأسر للمصيف في إحدى القرى القريبة, خاصة وأن في هذا الفصل يغلق البحر بسبب الرياح الشديدة والهيجان. فيضطر الناس للذهاب إلى الأرياف فهناك من يذهب إلى قرية تبالة وآخرين لقرية الواسط, والبعض يذهب إلى قرى كالحوة أو المعيان أو

(الحصاتين) أعلى الجبل. وبعضهم يدعي أيضاً أن الصقعة والعجمة تعلمان أسماء الأشخاص المارين أسفل الجبل ومناداتهم بأسمائهم. ويحذر الأهالي أبناءهم من الاستماع لتلك الأصوات أو الرد عليها. (انظر في هذا موضوع الغاوي من كتابنا هذا).

ويذكر البعض أن الأطفال الصغار في تلك الحارة وبعد سماعهم ما قيل عن الصقعة والعجمة من خرافات كانوا ينادون ويدعون باسميهما (الصقعة والعجمة) كلما مروا أسفل الجبل. اعتقاداً منهم أنهما ستردان عليهم. وربما دخل الوهم في أسماعهم فيسمعون صدى لأصوات مبهمة يؤولها كل منهم وفقاً لخياله وتصوره.

وحقيقة ورغم عدم وضوح ما قيل عن الصقعة والعجمة التي من الواضح أن تاريخها يعود إلى فترات سحيقة ظلت رواسبها باقية. هذا يقودنا إلى ما في تراثنا الشعبي العربي من تصورات قديمة مشابهة لها من بعض الوجوه كأسطورة (أساف ونائلة) اللذين مسخا كحجرين ووضعا بالكعبة. [٤٢٣] أو ما قيل عن أسطورة جبلي آجا وسلمى عند الطائيين بنجد [٤٢٤]. وفي رواية أن قبيلة طيء هذه التي تعود إليها أسطورة جبلي آجا وسلمى كانوا يقيمون في أرض الشحر قبيل انتقالهم إلى نجد [٤٢٥].

شكلنزة (قديماً) أو قرى وادي عرف ..إلخ. وتتراوح مدة إقامتهم في تلك الأرياف من بضع أسابيع إلى ثلاثة أشهر. كلاً وظروفه وإمكانياته المادية. للتفصيل عن هذه العادة انظر مسجدي, أحمد, مقدمات في التراث والموروث الشعبي ص١٤٣.

[٤٢٣] أسطورة أساف ونائلة وهما رجل وامرأة من قبيلة جرهم تزعم الأسطورة بممارستهما الزنا داخل حرم الكعبة بعد قدومهما من أرض اليمن للحج, فمسخهما الله عز وجل حجرين ليكونا عبرة للناس, إلا أن الناس فيما بعد أخرجوهما من داخل الكعبة ووضعوهما على مقربة منها, وجعلوا من هذين الحجرين صنمين يعبدان, ومن عبدتهما من العرب, خزاعة وقريش وبعض أحياء العرب. المسعودي, مروج الذهب (٣٩/٢), الكلبي, أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب, الأصنام, ص٩, ابن حبيب, المحبر ص٣١١؛ علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٦٦/١١-٢٦٧).

[٤٢٤] تزعم الأسطورة أن رجلا من العماليق ويدعى آجا بن عبد الحي عشق امرأة من قومه تدعى سلمى وكان لها حاضنة يقال لها العوجاء وكانا يجتمعان في منزلها, فاكتشف أمرهما أخوان سلمى وهما الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان ومعهما زوج سلمى. ومن شدة الخوف هرب آجا وسلمى والعوجاء لتتم مطاردتهما. حيث ظفر الأخوان بسلمى فقتلاها على الجبل الذي سمي باسمها. ولحقوا آجا إلى جبل آخر فقتلوه فيه فسمي الجبل باسمه وظفروا بالعوجاء على هضبة صغيرة بين الجبلين فقتلوها وسميت الهضبة باسمها. وإن إخوان سلمى أنفوا أن يعودوا لقومهم فتفرق كل منهم بمكان عرف لاحقا باسمه. انظر الحموي, ياقوت, معجم البلدان (٩٤/١). وفي رواية أخرى أن اسمي الجبلين يعودان إلى رجل وامرأة من قوم عاد وأخرى من قوم جديس. انظر ياقوت, المرجع السابق (٩٧/١).

[٤٢٥] المرجع السابق (٩٧/١).

وعند الطائيين أيضاً أسطورة أخرى تتمثل في تلك النائحات عند قبر زعيمهم (حاتم الطائي) [٤٢٦] وغيرها من أساطير مشابهة.

ولنعد لأسطورة (الصقعة والعجمة) ونقول إن اسم الحارة الموجودة بقرية الواسط حيث موضع الأسطورة كما أشرنا سابقا تدعى (حلبنات) وهذا يقودنا أولاً إلى التسمية هذه التي يجهلها الكثير بينما هي تعود إلى أحد أفرع قبائل الحموم الحضرمية. (لم يعد لهذا الفرع اليوم أي وجود أو ذكر) وهذا الفرع من القبائل التي هاجرت إلى بلاد الشام وشهدت الفتح الإسلامي مع جيش أبي عبيدة بن الجراح. وهي من القبائل التي استوطنت (طولكرم) في فلسطين. [٤٢٧]

كما إن هذه التسمية (حلبنات) يقودنا أيضاً إلى أسماء بعض الآلهة الوثنية القديمة التي من المحتمل إنها عبدت من قدماء الحضارمة وهي من الآلهة الثانوية. وهذه الآلهة هي (حلي إل, بنات إل) [٤٢٨] فلو قرأنا الاسمين بعد حذف الإل الذي يعني (الإله) لأعطانا الاسم (حلي, بنات). فهل الصقعة والعجمة أساساً كانا إلهين احدهما يدعى (حلي) والآخر (بنات)؟. لا نريد هنا التسرع في إطلاق أحكام قد تكون ظنية أو مقحمة في التأويل. وإنما نترك الأمر لمن سيتناول مثل هذه الإشارات بمزيد من البحث والجدية. ويكفينا ما قدمناه هنا من مقاربات لعلها تقود إلى حقائق لاتزال مخفية من تاريخ المنطقة عموماً.

وإلى فترة متأخرة اعتاد الناس المولعون بالموالد والحضرات, إقامة مولد سنوي في مسجد يقال له (باحميد) في هذا الحي وتحديداً عصر يوم أول جمعة من شهر رجب. [٤٢٩]

والحديث عن الصقعة والعجمة يقودنا أيضاً كمقاربة إلى اعتقاد ساد عند أشقائنا الظفاريين يزعمون فيه أنه: ((إذا غادرك شخص وكنت ترغب بألا يعود إليك

---

٤٢٦ تزعم الأسطورة بوجود ثمان أحجار على هيئة نساء نائحات, قاعدات على جنبي قبر حاتم الطائي, أربع جهة اليمين وأربع جهة اليسار. تزعم الأسطورة بتحولهن في النهار لحجارة وفي المساء لجوار فاتنات, بيض الوجوه, منشورات الشعر, ينحن بالبكاء والعويل على حاتم. وإن الناظر متى ما اقترب منهن انقلبن حجارة. وأن صدى بكائهن على حاتم يسمع دويه في الأودية القريبة منه. انظر تفصيلها المسعودي, مروج الذهب (١٢٥/٢), حجازي, محمد عبدالواحد, الأساطير العربية ص١١٤.

٤٢٧ بامطرف, محمد, الجامع ص١٨٢.

٤٢٨ ذكر هاذان الإلهان على سبيل المثال عند الحسني, جمال محمد, الإله سين في ديانة حضرموت القديمة ص١٨٣, ١٨٤.

٤٢٩ الحبشي, عيدروس, التوقيت الهجري لبعض المناسبات الاجتماعية الدينية لمدينة الشحر ص٤٦.

مرة ثانية. فما عليك إلا أن ترمي حجارة خلفه وتقول أثناء رمي الحجارة: رميت خلفك بهذه الحجارة (الصماء) و(البكماء). فعندها سوف يغيب كثيراً وربما قد لا يعود على الإطلاق)) [٤٣٠].

شكلنزة القرية التي غضب الله عليها فأهلكها:

يتداول العامة العديد من الأخبار عن قرية شكلنزة [٤٣١] التي أصبحت اليوم خرابا وأطلالاً. تدور جميعها حول أن سكانها قديماً كانوا في نعمة وغبطة من أمرهم إلا إنهم جحدوا الله سبحانه وتعالى فخسف بهم. ومنهم من يقول إن الله سلّط عليهم النمل ومنهم من يقول بغوران بيوتهم ومحالهم. ومنهم من يقول بذهاب الماء عنهم وجفاف آبارهم ومعايينهم.

وقد ذكر المؤرخ (أحمد بن عبد القادر الملاحي) في كتابه المخطوط (المذكرة التاريخية) حديثاً عن قرية شكلنزة نورده هنا لارتباطه بموضوعنا: ((قرية شكلنزة هي الواقعة بين قرية معيان مساجدة من جهة غرب وجبل الضارب من جهة الشرق. كانت هذه القرية مصطافًا لأهل الشحر يقضون زمن الخريف والقيظ كله فيها. يقضون وقتهم فيها ليلاً ونهاراً في لهو وزهو ولعب وتفاخر هم ونساؤهم. وكانت أرضًا زراعية ذات نخيل وأشجار تسقى من المعايين الغزيرة بالمياه الحلوة وكانت تسمى (الغيول). فلما زاد بهم الزهو والسلوّ والتفاخر والتكابر, سموها (شكلنزة). وشكلنزة اسم محل في الهند. ومكثت مدة قرون من الدهر وهي معمورة بأحسن عمارة فشيدوا فيها البيوت والمساجد والقبب والقبور المجصصة. ولم يشكروا الله على هذه النعمة. فأصبحت غيولهم الغزيرة بالماء غوراً. فيبست معايينهم ونخيلهم وتبدلت الخضرة المسرة بالغبرة المكدرة. فهجرها أصحابها. فتهدمت قصورها وبنيانها وصارت خاوية على عروشها. ولم يبق منها إلا الحوَّى ومعيان الحبس)) [٤٣٢].

وهذا مجرد إحدى الروايات التي تذهب لخراب القرية. في حين أقوال أخرى كما أشرت تذهب إلى أن الله خسف بهم بأن سلّط عليهم النمل وهوام الأرض, جعلت الناس تنفر من الإقامة فيها فهجرتها.

---

[٤٣٠] الشحري, لغة عاد, ص٣١٩.

[٤٣١] شكلنزة هكذا هي في غالبية المصادر والمراجع وهكذا لليوم تلفظ وتكتب. في حين وردت اللفظة أكثر من مرة, بمؤلف المؤرخ باحسن (نشر النفحات المسكية) بـ(الشكل النزه) ويرى بامطرف في الشهداء السبعة أن شكلنزة هي نفسها الحوة الآن وتبعد عن الشحر بحوالي ١٠ أميال إلى الغرب من الشحر. انظر ص١٠٠.

[٤٣٢] الملاحي, أحمد, المذكرة التاريخية (مخطوط), ص٤٤٤. وتبعه في خراب القرية بسبب الجفاف, الباحث أحمد مسجدي, انظر كتابه من الأدب الشعبي للطفل ص١٠٢-١٠٣.

ويذهب بعضهم إلى أن الشكلنزيين بلغ بهم الترف والاستخفاف بعقوبة الله سبحانه وتعالى أنهم كانوا يقيمون أعراسهم واحتفالاتهم الراقصة داخل المساجد مصاحبة بالطبول وآلات الموسيقى من دون أي اعتبار لحرمة تلك الأماكن المقدسة. كما كانوا يقضون الليل كله في سمر وطرب ومجون بينما يقضون نهارهم في نوم وكسل [٤٣٣].

ولا نتفق نحن مع ما ورد عن المؤرخ (عبد الله بن محمد باحسن) أن اسم القرية هو (الشكل النزه) ليتأول معناها من جاء بعده [٤٣٤]. إذ وجد اسمها في مصادر أقدم بـ(شكلنزة) هكذا. لعل من أقدمها أنها وردت ضمن وثائق الدولة الرسولية التي حكمت أجزاء كبيرة من اليمن وأجزاء من مناطق الجنوب العربي وامتدادها إلى الشحر وتحديداً في عهد الملك المؤيد داؤود بن يوسف الرسولي (ت: ٧٢١هـ/ ١٣٢١م). [٤٣٥] وكانت شكلنزة تابعة إدارياً لمدينة الشحر.

وخراب القرية ليس بالبعيد زمانياً. فقد ذكر المؤرخ باحسن على سبيل المثال خبر قدوم تلك الحملة الوهابية التي قدمت من نجد لتغيير بعض عادات وتقاليد الحضارمة في عهد الدولة البريكية التي حكمت الشحر (١١٦٥-١٣٨٣هـ/ ١٧٥١-١٨٦٦م) إذ نزلت هذه الحملة كما آشار في بلدة من علائق الشحر تدعى (الشكل النزه). وهذا يعني أن البلدة في تلك الفترة كانت لا تزال عامرة. على الأقل بمعايينها ونخيلها. وإلا لما مكثت بها تلك القوة.

وجاء عن شكلنزة في (إدام القوت) للمؤرخ (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف) (١٣٠٠ – ١٣٧٥هـ) قوله: ((وفي جنوب الحبس: شكلنزة قرية فيها مزارع ومعيانان وآبار. وبها يخترف كثير من أهل الشحر. ولكنه استولى عليها الخراب)) [٤٣٦] وفي هامشه ذكر المعلق على الكتاب: أن هذه القرية كان يتردد عليها السلطان (صالح بن غالب القعيطي) وكان يسميها كما هي عند باحسن بـ(الشكل النزه) [٤٣٧].

---

[٤٣٣] وحول شكلنزة انظر مسجدي, أحمد عمر, من الأدب الشعبي للطفل, ص٩٧-١٠٣.

[٤٣٤] انظر ماكتبه على سبيل المثال الباحث أحمد مسجدي في كتابه (من الأدب الشعبي للطفل) ص١٠١.

[٤٣٥] انظر ارتفاع الدولة المؤيدية, جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيد يوسف بن عمر الرسولي, تحقيق محمد عبدالرحيم جازم, المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء, المعهد الألماني للآثار, صنعاء, ط١, ٢٠٠٨م, ص١٣٤.

[٤٣٦] السقاف, إدام القوت ص٢١٩.

[٤٣٧] المرجع السابق, الصفحة نفسها.

تمثال نحاسي ونمل كالجمل:

في حديثه عن الشحر أشار المؤرخ (أحمد بن يوسف القرماني) في مصنفه (أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ) أن ((بين أرض الشحر وحضرموت أرضًا بها شخص من نحاس قد مد يده إلى ورائه كأنه يخاطب الناس يأمرهم بالرجوع. فإن من ورائه أرضًا مرجرجة لا تستقر عليها الأقدام من دخلها هلك. ولما وصل إليها الإسكندر خرج عليه نمل كهيئة الجمال البخاتي. فكانت النملة تصرع الرجل الفارس فتقتله فرجع من هناك)) [٤٣٨].

وقريباً من هذه, نجدها عند المؤرخ الأنصاري مصنف كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) أثناء حديثه عن جلفار وبرمال أن بهذا الموضع ((حيوانًا كالنمل في الخلق. النملة منه بقدر الشاة الهائلة وإنها تقتل الإنسان إذا ظفرت به)) [٤٣٩] وهذه الأرض كما قيل قريبة من أرض وبار. وأكثر من تطرق إلى وبار هو ياقوت الحموي في معجمه حيث نسب هذه الأرض إلى (وبار بن سام بن نوح) وحدد موضعها ما بين الشحر وصنعاء بنحو ثلاثمائة فرسخ. ومنهم من جعلها بين حضرموت ونجران.

تعليل ظاهرتي المد والجزر:

ثمة تصورات شعبية تحاول أن تفسر لنا ظاهرتي المد والجزر وهي تبريرات لطالما سمعناها تردد ممن يكبروننا سناً ولا ندري عنهم إن كانوا حقاً يعتقدون في صحتها أم إنها مجرد تبريرات منهم لسد باب التساؤلات والفضول الذي يبديه دوماً الصغار أثناء رحلات استكشافهم المعرفي لما حولهم.

وهذه التبريرات تذهب إلى وجود عدد لا يحصى من الملائكة. أوكلهم الله عز وجل لحفظ مياه البحر من أن تطغى على اليابسة. حيث تصور لنا الأسطورة الملائكة وهم قابضون بسلاسل حديدية طويلة. عرضها أحد من شعرة الرأس. وإن البحر مربوط بهذه السلاسل من كل الجهات. وإن قبض الملائكة لهذه السلاسل بإحكام يهدف لتحقيق التوازن لمياه البحر كي لا تطغى على اليابس الذي تندفع بقوة نحوه.

---

[٤٣٨] القرماني, أحمد بن يوسف, أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ, دراسة وتحقيق د. أحمد حطيط. و د. فهمي سعد. عالم الكتب, الطبعة الأولى ١٩٩٢م, مج٣, ص٣٩٤. وثمة أسطورة مشابهة في بعض معالمها ذكرها ابن المجاور في كتابه المستبصر عند حديثه عن إيصال الماء إلى عدن.

[٤٣٩] الأنصاري. محمد بن أبي طالب, نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, ص٢١٨.

ذلك أن مستوى سطح البحر وفقاً لتصورات الناس أعلى من مستوى سطح اليابسة. وإننا كلما توغلنا لداخل البحر وهي التي يطلق عليها بـ(الغُبّة) ارتفع سطح الماء عن سطح اليابسة. حيث تحاول هذه المياه وفقاً لقوانين الطبيعة الانسياب على اليابسة وغمرها لولا تلك السلاسل التي تعمل على قبض تلك المياه وسحبها للداخل.

وعملية الحفاظ على توازن الماء كي لا يطغى مستمرة إلى أن تقوم الساعة (يوم القيامة) حيث يأمر الله تعالى أولئك الملائكة بطرح سلاسلهم جانباً لينساب البحر ويغرق اليابسة. ومحاولة طغيان الماء على اليابسة ومنع الملائكة له عن طريق شد السلاسل المربوط بها البحر, هو ما يفسر ظاهرتي المد والجزر التي تحدث باستمرار.

العرافة:

عرفت المدينة في عهودها السابقة هذا الضرب من الفنون. والعرافة تكاد تكون موجودة بأغلب المجتمعات الإنسانية إلا أنها تكثر وتسود في المجتمعات البدائية والدول المتخلفة. وإن كان للدول المتقدمة والمتطورة عرافتها الخاصة بها التي تتماشى مع تصوراتها الحديثة ومدنيتها. فما نجده في صحفها ومجلاتها وقنواتها الفضائية من برامج ومواضيع تدور حول الأبراج والحظ والتنبؤ عبر الوسطاء الروحيين وغيرها ليس إلا ضرباً من ضروب هذا الفن أو العلم كما يحلو لبعضهم تسميته.

والعرافة عندنا قد تأخذ شكل ضرب الرمل أو قراءة خطوط الكف والفنجان أو رمي الودع. وغالباً من يمارس هذه الفنون النساء. كما أن المرتادين لهن طلباً لمعرفة بعض الأخبار والبشارات أو الحظ هن النساء أيضاً.

ومن الصعب القول إن أولاء النسوة ممن مارس هذا الفن إنهن تلقينه من الكتب الخاصة بهذه الفنون, التي بدأت حالياً تباع في الأسواق والمكتبات. فغالبيتهن أميات لا يجدن القراءة أو الكتابة. وإنما اعتمادهن في هذا كان على التجربة والخبرة والتلقين المباشر ممن سبقهن.

ففيما يتعلق بضرب الرمل تقوم أولاء النسوة برمي الودع (وهو أحجار صغيرة مع قطع زجاج مختلفة الألوان, وقطع من الحنيص) وترمي بهن على الرمل أو على سطح صفيحة مغطاة بالرمل -إذا كان العمل داخل المنزل- وتستعين بعصا تقلب بها الودع المرمي أو تزيد عليه برسم خطوط عشوائية, متفرسة في هذه الخطوط والقطع كأنها تستطلع المعرفة لتتوج في النهاية أخبار من استعان بخدمتها

ما كان يتوق لسماعه سواء كانت عن أخبار قريب غائب أم مصير أفراد الأسرة مستقبلاً, أم حال الأقارب المنقطعة أخبارهم وغيرها. وغالباً لا يعطى لمن تقوم بهذا العمل مالٌ وإنما تكتفي بأخذ بعض الطعام.

أما قراءة الكف أو الفنجان وهي طريقة معروفة, فتتفرس العرّافة وتدقق النظر في خطوط الكف متفحصة تعرجاتها لتخبر صاحبة الكف بمستقبلها وما ستواجهه في قادم الأيام من أحزان مؤقتة تنتهي بسعادة أبدية.

وثمة اعتقاد شائع بين الناس أن الله كتب في راحة يد كلٍ إنسان تاريخ أعماله وأفعاله الخيرة أو الشريرة وما سيصادف حياته من أحداث وحوادث مختلفة ابتداء من ولادته إلى حين وفاته. وأن الخطوط المستقيمة أو المتعرجة وتفرعاتها براحة اليد انما هي أخبار بتسلسل تاريخ حياته لا يستطيع أحد معرفتها إلا من امتلك معرفة وخبرة في قراءة خطوط الكف. ومثلها في قراءة الفنجان والتفرس من خلال النظر والتأمل داخله.

السحر والسحرة

أما على صعيد الاعتقاد الشعبي في السحر والسحرة فهو كما نرى لا يختلف كثيراً عن اعتقادات غيرنا من الشعوب فيها [٤٤٠], وهي اعتقادات وتصورات ممزوجة ببعض الحقائق الدينية الواردة في هذا الشأن إلى جانب ما توارث عنها من اعتقادات وثنية خرافية منبعها الأساسي العقلية الجاهلية وأقاويل القصاص والإخباريين التي روجت لها [٤٤١] فضلاً عن تأثر الكثير من الناس بحكايات ألف ليلة وليلة وخاصة في قصصها التي تتحدث عن الجن والعفاريت والسحر والسحرة. وهي حكايات كما نرى خلفت وإلى فترة متأخرة, أثرًا كبيرًا على وعي الناس وتصوراتهم الشعبية عن الجن والشياطين وعلاقتهم بالبشر. فضلاً عن قدرات السحر والساحر الخارقة وكأن تلك الحكايات والقصص واقعية أو تقترب منه.

ونظرة عامة الناس للساحر على الصعيد المحلي أنه شخص منبوذ, كافر, يبعث على الاشمئزاز والتقزز في النفوس حتى من مجرد ذكر اسمه. يتحاشاه الناس. كما أنه بنظرهم جاحد لا يسجد لله الواحد القهار وإنما يسجد للجن والشياطين وهم من يقدم له الدعم والمساعدة لإنجاح عمله مقابل لك السجود. وإن رقيه وتعاويذه تلك التي يستعملها في السحر- وإن كانت تضم آيات قرآنية كتبت بالنجاسة [٤٤٢].

وفي تصور العامة أن الساحر يستطيع بفعل قوته السحرية الخارقة إلحاق الأذى بالآخرين. وغالباً يكون هؤلاء السحرة منزوين على أنفسهم بين الخرائب والأماكن المهجورة الباعثة في نفوس الناس التشاؤم والنفور منها لاعتقادهم أنها مأوى للجن والشياطين ومردة الأنس. فمكانهم ليس بين بيوت الناس لئلا يكشف أمرهم ويعاقبوا.

وغالباً من يحتكر العمل بهذا الفن من الحضارمة هم أفراد من طبقتي السادة والمشائخ. خاصة أن هاتين الطبقتين تكادان تكونان المحتكرتين للعلم في المجتمع. وفي فترة متأخرة بدأ ينافسهم هذا الفن أفراد من طبقات أخرى وخاصة طبقتي القبائل والضعفاء (عامة الناس).

---

٤٤٠ لمعرفة أخبار السحرة والمشعوذين حول العالم يمكن مطالعة كتاب وبستر, هاري, المشعوذون ففيه الكثير من المعلومات القيمة.

٤٤١ لمعرفة الكثير من هذه الأخبار انظر مؤلف المقريزي الذي أسماه (الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة) وهو مؤلف حوى الكثير من الأخبار الخيالية عن السحر والسحرة بحضرموت.

٤٤٢ وفقاً للتصور الشعبي يكتب الساحر تعاويذه السحرية بالنجاسات كدم الحائض أو بالبراز.

ورغم انعدام إحصاءات دقيقة بهذا الشأن كان عدد هؤلاء السحرة إلى فترة متأخرة لا يتجاوز عدد أصابع اليدين ما بين رجال أو نساء متفرقين على بعض المناطق الحضرمية. خاصة أن مثل هذه الأعمال لها طابع السرية بسبب العقوبات التي قد تلحق بممارسيها. فضلاً عن رفضها مجتمعياً.

ومعظم حالات الجنون والصرع [٤٤٣] التي تصيب الناس ترد إلى عمل سحري قام به أحد هؤلاء السحرة مستعيناً بالجن. وبالتالي فالعلاج أما عن طريق عمل سحر آخر يناقضه يقوم به ساحر آخر يطلق عليه بـ(المطلّع) أو الذهاب للساحر نفسه طلباً للعلاج. أو عن طريق الذهاب إلى من يعالج بالقرآن الكريم. وطريقة العلاج هذه ظهرت مؤخراً ويمارسها عدد غير قليل من المعالجين ولهم عيادات مخصصة لذلك, وتمارس بالعلن تحت أسماء شائعة كالعيادات الشرعية أو بيوت الرقية أو المعالجة بالقرآن..إلخ. ولماء زمزم خاصة أو الماء المقروء (المتلو عليه آيات قرآنية) يعتقد فيه أنه شافٍ من السحر والعين والحسد..إلخ.

ومن أشهر الشخصيات التي كانت تمارس السحر وعمت شهرتها مناطق حضرموت المختلفة شخصية تدعى (بن هام الطيور) ويقال أنه من آل العطاس العلويين. وهي على الأرجح شخصية وهمية الخوارق ليس لها وجود إلا في قصص ألف ليلة وليلة وفي مزاعم من يدّعي وجودها ويدّعي مواقف ما تشهد لهذه الشخصية امتلاكها القوة السحرية. وكل يدعي ملاقاته لها عبر العصور.[٤٤٤] وهناك أسماء أخرى محلية نالت شهرتها في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال (حيمد, قدّور, الغيلي) ومن النساء (با..., خي.. دب..)[٤٤٥] الخ.

ونحب أن نشير هنا إلى إنه لا يوجد اتفاق في نظرة العامة لهؤلاء المذكورين إن كانوا مشعوذين أو سحرة أو أنهم معالجون روحانيون (أطباء شعبيون) أو حتى

---

[٤٤٣] مس الشياطين أو الجن: Demonomania هو ((التجنن بمعناه الشائع أو تملك الشياطين للمرء أو هو خلل هذائي تتجلى أعراضه من خلال الوهم الذي يعتري المرء جاعلاً إياه يحسب نفسه واقعاً تحت تأثير روح شريرة أو خواطر شيطانية كالتي تمر في أذهان المجانين)) الشامل, قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ص١٥٣.

[٤٤٤] ثمة سحرة عديدون اتخذوا من لقب أو كنية (طير) صفة لهم, منهم على سبيل المثال ساحر يدعى أحمد الحسني المكني بابي طير, (أبو علامة) وهو ممن خرج عن طاعة الإمام المهدي عباس (من الأئمة القاسميين) في إحدى الضواحي القريبة من صنعاء, ويقال إنه لديه معرفة بالطلاسم, وتبعه في مقاصده خلق كثير.. انظر العمري, حسين عبدالله, مئة عام من تاريخ اليمن الحديث, دار الفكر, دمشق, ط١, ١٩٨٤م, , ص٢٥.

[٤٤٥] لقد تعمدت هنا أن أذكر الحرفين الأولين من أسماء تلك النسوة لاعتبارات اجتماعية وأخلاقية. ومن يرد التفاصيل يرجع إلى الصحف التي نقلت أخبارهن كما سيتضح في الهوامش القادمة.

صالحون امتلكوا قدرات خاصة مكنتهم للتأثير في البشر. ولكننا ننقل ما تصوره الناس عنهم وما ورد عنهم من أخبار في بعض المصادر والمراجع.

ففيما يتعلق بـ(با... و خي ..) فقد نقلت لنا صحيفة الطليعة في عددها رقم (٢٩) الصادر سنة ١٩٥٩م خبر تصدر الصفحة الأولى منها تتهم فيه السيدتين بممارسة الشعوذة والدجل وسأحاول هنا نقل النص حرفياً لأهميته ولكونه قدم لنا وصفاً لما كان يعتمل من طقوس وممارسات في هذا المجال وهي أقرب لما يعرف بـ(الزار) وطبعاً مع تلك الاستثناءات المتعلقة بالأسماء: ((إذا أردت زيارة أولياء الله الصالحين فلا تكلف نفسك مشقة التهجير إلى أضرحتهم.. إنهم جميعاً يقيمون تحت سقف واحد في عمارة ضخمة تملكها امرأة تمارس الدجل الديني في ثاني المدن الساحلية: الشحر. هذه المرأة التي يلقبونها بالشيخة اسمها (با...). وفي شهر جمادي الثانية من كل عام يقام مهرجان كبير للنساء في بيتها تحت رعايتها حيث يبدأ بقراءة قصة المولد ثم يتلوه الرقص وتبدأ الرقص (الشيخة) ثم يشاركنها النساء الشابات وبعد أن تلتمس الشيخة وتصبح في حالة غيبوبة يسري هذا الالتماس في بقية النساء حيث يصبحن في حالة هياج شديد. وفي آخر أيام المهرجان تقيم (الشيخة) وجبة غذاء فخمة تذبح فيها عدد من الأغنام وتنصب القدور. وقبل تقديم الطعام تبارك الطعام (الشيخة) حيث يكفي الطعام جميع المدعوات مهما يكثر عددهن!! ويقصد الشيخة كثير من الناس للتداوي. وهناك توجد نماذج عديدة لتوابيت وأضرحة لأولياء الله الصالحين من بينها نماذج لسعد بن علي صاحب زغفة وعمر المحضار المقبور بتريم وعمر مسجدي وغيرهم. هذا وقد ظهرت منافسة جديدة للشيخة (با...) تدعى (خي...) وتقوم هذه بزيارات إلى مختلف المدن ولكن مقرها الرئيس الشحر. وهي تمارس أساليب الدجل والشعوذة نفسها التي تمارسها (با...)!)). [٤٤٦]

وتجب الإشارة هنا إلى أن حقيقة عمل أولئك النسوة ينصب فيما يقدمنه لمرتاديهم من علاجات وليس لإلحاق الضرر بالآخرين. ومن النساء المتأخرات ممن اشتهرن بتقديم العلاجات الطبية لطالبيها نشير إلى الشيخة (س. ح).

أما عن أشهر كتب السحر التي يشاع ذكرها بين عامة الناس وأن السحرة المحليين يستقون منها معلوماتهم وتعاويذهم السحرية فنشير إلى أهمها وهو كتاب (شمس المعارف الكبرى) لمؤلفه (أحمد بن علي البوني) (ت: ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)

---

[٤٤٦] صحيفة الطليعة, العدد (٢٩), الخميس ١٧ جماد ثاني ١٣٧٩ هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٥٩م. وعن رسالة جماعة أنصار السنة المحمدية التي قدمت للسلطنة القعيطية تطالبها فيها منع مثل هذه الممارسات انظر صحيفة الطليعة, العدد (٥٦) الصادرة بتاريخ ١٣ محرم ١٣٨٠هـ / ٧ يوليو ١٩٦٠م. ص٤.

[٤٤٧] وكتاب آخر لا يقل عنه شهرة يقال له كتاب (السيفي)[٤٤٨] فضلاً عن كتاب (شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى) لابن الحاج التلمساني. وكتاب الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الشرجي (الفوائد في الصلاة والعوائد).

وفيما يتعلق بالكتابين السابقين (شمس المعارف) و(السيفي) فثمة اعتقادات سادت بين الناس تذهب إلى أن أي شخص بمجرد قيامه بفتح أحد هذين الكتابين والبدء بقراءة بضع أسطر من أي صفحة فيه. وتتراءى له على الفور من بين أسطر الكتاب المردة والجن والشياطين. ويبدأ بسماع أصوات مزعجة وزعيق (هواتف) إذ يتحول الكتاب كأنه شاشة تلفزيونية تعرض فيها تلك الأرواح المرعبة قبل تجسدها واقعياً أمام المطلّع (هنا القارئ أو الممارس).

كما يعتقد حول هذين الكتابين أيضاً، أن من تجرأ وفتح أحدهما يكون كمن دخل في مرحلة اللاتراجع واللاعودة. إذ يتوجب عليه حينها أما المضي في القراءة حتى تتجلى له عيانا المردة والشياطين لأخذ العهد والميثاق معهم. أو أن يتراجع بإغلاقه على الفور. اما إذا أستمر في القراءة ولو قليلاً فحينها يصبح تحت رحمة شياطين الكتاب ما بين الإضرار به أو مسامحته والصفح عنه.

والكثير ممن تجرأ على قراءة هذه الكتب كما تذهب إليه روايات الناس أصابهم على الفور كما يقولون (الغرام) ويقصدون بالغرام محلياً الجنون. ويقال للمجنون مغروم والجمع مغاريم. وذلك لهول ما قد يراه هذا الإنسان لدرجة أن عقله

---

[٤٤٧] البوني, أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس, (... – ٦٢٢ هـ /... – ١٢٢٥ م) متصوف مغربي الأصل, نسبته إلى بونه بأفريقيا على الساحل, توفي بالقاهرة له (شمس المعارف الكبرى ط), ويسمى (شمس المعارف ولطائف العوارف في علم الحروف والخواص, أربعة أجزاء, وله (اللمعة النورانية خ)..)) انظر الزركلي, الأعلام (١٧٤/١) ؛ ومعجم الفولكلور ص ١٩١. وجاء في تاريخ حضرموت لشنبل, أحمد باعلوي, إشارة تحتاج للتحقيق بأن (البوني المغربي صاحب اللمعة) زار حضرموت, وذلك ضمن حوادث سنة ٧٤٩هـ ص ١٢٤. بالرغم من أن وفاة البوني كما أوردناها كانت قبل هذا التاريخ بكثير. وثمة إشارة بكتاب رحلة الأشواق القوية الى مواطن السادة العلوية لمؤلفه عبد الله بن محمد باكثير أشار في تراجمه لبعض علماء حضرموتإاجازتهم لبعضهم بقراءة الأدعية والأذكار الموجودة بشمس المعارف الكبرى (والعمل بما فيها من الفوائد), انظر المرجع المذكور ص ٤٩ – ٥١. ولعل ذكر البوني الذي أورده المؤرخ شنبل يقصد به الإمام (يحيى بن أبي بكر بن عبد القوي البوني) وهو أحد الذين أجازوا الشيخ (محمد بن أبي بكر باعباد الحضرمي). انظر ترجمة الشيخ باعباد في بامخرمة, قلادة النحر (٣٥٤/٦).

[٤٤٨] أشار الباحث عادل باعكيم محقق كتاب (مجربات باهرمز) للشيخ سالم بن أحمد باهرمز (ت: ١٣٠٣هـ) لبعض أقوال (ظنية) تذهب إلى أن هذا الكتاب (السيفي) منسوب لباهرمز. انظر مجربات باهرمز, تحقيق عادل باعكيم, تريم للدراسات والنشر, ط١, ٢٠١٦م, ص١٧.

المحدود لا يقدر على استيعاب كل ما يعرض عليه من صور وأصوات تفوق قدراته على التحمل.

فأولئك البشر (المجانين) كما في تصور العوام، يمتلكون قلوبًا ضعيفة وأنهم بسبب قراءتهم لكتب السحر تلك، أصابهم الجنون.

إن تلك الكتب كما يتصورها العوام تحتاج لأناس ممن يملكون قلوبًا قوية شجاعة قادرة على مشاهدة الجن في صورهم وأشكالهم الحقيقية ومخاطبتهم من دون أي خوف أو فزع.

وهناك العديد من الوصفات السحرية التي تستعمل في السحر وغالبها كما أشرت مستوحاة من مؤلفات البوني أو كتاب السيفي سابقي الذكر فضلاً عن كتاب الرحمة في الطب والحكمة [٤٤٩] وغيرها من مؤلفات مشابهة. فضلاً عن وصفات أخرى وردت في كتب كالحيوان للدميري أو كتب منسوبة لابن سيناء أو الإمام أبي حامد الغزالي. [٤٥٠] كما توجد صيغ أخرى وردت في كتاب (تسهيل المنافع) لابن الأزرق. وإن كانت وصفات هذه الكتب الأخيرة تستعمل في الغالب في مجالات الطب الشعبي.

وغالبية ممارسي السحر يدّعون عدم معرفتهم بتلك الكتب. وأن ما يمتلكونه من قدرات إنما أتتهم على سبيل الخبرة أو أنهم ورثوها عن شيخ ضليع في هذا المجال.

وهناك العديد من الحضارمة ممن ألف واشتهر في هذا الشأن وإن كانت مؤلفاتهم كثيراً تتداخل مع ما يعرف بالطب الشعبي ومعالجة الأمراض العضوية والنفسية بطرق وأساليب بدائية (قديمة). وهم أقرب للأطباء الشعبيين منهم من أولئك السحرة الذين يتعاملون بـ(الصروف) أي مجال (التعاويذ والرقي والتمائم) أو بمعنى آخر ما يطلق عليه بـ(السحر الأسود). إلا أن نظرة الناس غالباً لا تميز بين الممارسين لهذين الفنين أو الطريقتين.

---

[٤٤٩] ينسب كتاب الرحمة في الطب والحكمة للإمام جلال الدين السيوطي، كما نسب كذلك للشيخ محمد المهدي الصبيري اليمني، ونسبة الكتاب المذكور لأحدهما بحاجة للتحقيق.

[٤٥٠] لا نستبعد وجود كتب منحولة لهؤلاء العلماء. فالغزالي له مؤلفات نسبت إليه منها ككتاب (الذهب الإبريز في خواص كتاب الله العزيز) أو (المندل والخاتم السليماني) أو كتاب (الأوفاق) وقد طبع هذا الأخير بمصر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده..إلخ. ولابن سيناء كتاب حمل عنوان مجربات ابن سيناء.

ولابد من الإشارة هنا إلى حقيقة إنني لم أطلع على محتوى كل ما وردني من أسماء كتب حضرمية في هذا الشأن لأبين إن كانت خاصة بالطب الشعبي أو كتب سحر أو خليطًا منهما. وعليه سيكون تناولي لها بناء على ما وقفت عليه علما.

فمن الأطباء الحضارم ممن أشتهر ومارس الطب التقليدي داخل حضرموت وربما حتى خارجها وألف فيه الكتب نذكر على سبيل المثال الشيخ (سعد بن محمد بن أحمد بافضل) وهذا له مؤلفات في الطب والكيمياء والرقي والعزائم. من مؤلفاته كتاب: ((المنوال في تفسير ما أشكل من العلل والأدوية والإبدال)).[٤٥١] ومنهم أيضاً الشيخ (أحمد بن سعيد باداهية العمودي) وآشار إليه المؤرخ (عبد الرحمن السقاف) في كتابه (إدام القوت): ((وآل قيدون يتعالمون بأخبار كبيرة عن نجاح الشيخ أحمد بن سعيد باداهية في علاج الأمراض بطبه العربي, لولا انتهاؤها إلى التواتر المعنوي .. لكذبناها، لأنها مما تدهش العقول)).[٤٥٢]

وممن اشتهر بعلوم الرمل والأسماء والأوفاق من الحضارم نشير إلى (عبد الله بن حسين بافقيه) وله مؤلفات أخرى منها شرح الآجرومية وشرح ملحة الإعراب وقد ترجم له أكثر من واحد [٤٥٣].

وهناك ممن اتهم بالتأليف في مجال السحر وهو منه براء، كالشيخ الفقيه (محمد بن عمر بحرق) (ت: ٨٦٩ -٩٣٠هـ) وخاصة في مؤلفه (مخطوط) الكافية في أصول علم الطب.[٤٥٤] كما عرفت مدينة الشحر أطباء شعبيين عاشوا فيها نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باكثير (ت : ١١٤٥ هـ)[٤٥٥] والشيخ سالم بن أحمد باهرمز (ت : ١٣٠٣هـ) وعنه يقول المؤرخ عبد الله باحسن في ترجمة له: ((كان من أهل المعرفة التامة بعلم الحرف والأسماء وتركيب الأوفاق, وعنده طرف من علم

---

[٤٥١] انظر ترجمة مستفيضة له في (صلة الأهل) تأليف الشيخ محمد بن عوض بافضل المتوفى عام ١٣٦٩هـ، عني بطبع الكتاب علي بن محمد بافضل, الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ . (بدون اسم لدار النشر).

[٤٥٢] السقاف، عبدالرحمن, إدام القوت, ص٤٠٢.

[٤٥٣] ترجمته بامطرف, الجامع ص٣٣٢؛ الحبشي, عبد الله, مصادر الفكر الاسلامي ص٣٩٣؛ الشلي, المشرع الروي.

[٤٥٤] تناولت هذه القضية بالتفصيل أثناء تحقيقي مخطوط العلامة بحرق (الكافية في أصول علم الطب) وهي قيد النشر.

[٤٥٥] هو ((عبد الرحمن بن أحمد باكثير: فقيه له علم بالطب. من أهل حضرموت. صنف (الزلال الصافي والدواء الشافي – خ) في الطب، بمكتبة (وقف آل ابن يحيى) في تريم)) انظر كتاب الإعلام [٣: ٢٩٧]؛ وانظر أيضاً تاريخ الشعراء الحضرميين [٢: ٦٩]؛ وعنه انظر أيضا الحبشي، عبد الله، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٥١, ص٥٨٤. وباوزير, سعيد, الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي, ص١٥٧. ونشير إلى ضرورة التحقق والضبط من تاريخ ولادته ووفاته في التراجم المذكورة وغيرها.

الطب)) [٤٥٦]. وقد نفي الشيخ باهرمز برهة أثناء دخول آل كثير الشحر والسيطرة عليها. وقد يكون هذا بسبب ممارساته هذه أو لاعتبارات سياسية لسنا في صددها هنا.

ومن معاصري الشيخ باهرمز السيد (صادق بن عمر المكنون) وهو من ساكني مدينة الحامي القريبة من مدينة الشحر وبها دفن. وقد ذكر المؤرخ باحسن في كتابه (نشر النفحات) بأنه ((أمي لا يقرأ وله بعض معرفة بعلم الأسماء. وعندي أنه أخذ ذلك تلقياً وكان جيد الحافظة ..)) [٤٥٧] كما أشار باحسن إلى أن هذا السيد أهداه حرزاً لحفظ الأطفال وبكائهم ولحفظه من أعين الأنس وعوارض الجن. أورده باحسن في كتابه المذكور. واعترف باحسن عن نفسه بأنه علمه لغيره [٤٥٨].

وفي ترجمة الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي (المتوفي سنة ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٨م) في تريم) نجد إشارة إلى معرفته بعلم الأوفاق وعمله للآخرين [٤٥٩]. وهناك الشيخ (سالم بن محمد باوزير) (ت: ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) [٤٦٠] ومنهم الشيخ (محمد بروم) وعنه كما ذكر المؤرخ عبد الرحمن السقاف بأنه يقال إن لديه معرفة بعلم الطلاسم والأوفاق [٤٦١]. وتلميذه الشيخ (أحمد بن أبي بكر الشلي) الذي قيل عنه إنه يعرف اسم الله الأعظم. [٤٦٢] كما ذكر المؤرخ عبد الرحمن السقاف شخصية (علي بن سعيد حميد ابن عبدهود) كساحر متمكن تسبب في سحر أحد أعيان السادة العلويين. [٤٦٣] وذكر المؤرخ الشلي شخصية (محمد بن علي باهارون) (ت: ٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م) ووصفه بأنه ((كان يحكم علم الأسماء الشريفة والأوفاق ويتصرف بها وكان يفتح القفل والضبة من غير مفتاح)) [٤٦٤]. ولم يسلم من الاشتغال بهذه العلوم حتى السلاطين الحضارمة أنفسهم فقد ذكرت بعض المؤلفات أن الأمير

---

[٤٥٦] انظر ترجمة باهرمز في كتاب: باحسن, عبد الله, نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ص٣٦٨. ومؤخراً قام الباحث عادل حاج باعكيم بتحقيق كتاب للشيخ سالم أحمد باهرمز في الطب حمل عنوان (مجربات باهرمز) نشر حديثاً وهو كتاب طب شعبي ضم عددا قليلا من الصيغ السحرية.

[٤٥٧] باحسن, نشر النفحات المسكية ص٣٧١.

[٤٥٨] المرجع السابق ص٣٧٢.

[٤٥٩] انظر ترجمته في تاريخ الشحر للطيب بافقيه ص٣٨٩.

[٤٦٠] انظر ترجمته بإدام القوت ص١٥٢.

[٤٦١] ادام القوت ص٣٤٤.

[٤٦٢] انظر ترجمته عند حفيده، الشلي, محمد بن أبي بكر بن أحمد باعلوي, عقد الجواهر والدرر (٣٤/١).

[٤٦٣] المرجع السابق ص٦٢٣.

[٤٦٤] الشلي, محمد بن أبي بكر, المشرع الروي (١٢/٢).

(علي بن عمر بن جعفر الكثيري) (٩٠٦هـ - ٩٨١هـ/ ١٥٠٠- ١٥٧٣م) له اهتمامات بعلم الأوفاق [٤٦٥].

وتطالعنا كذلك شخصية قاضي الشحر (سعيد بن عمر بن طاهر) الذي اتهم بالعمل في الصروف (السحر الأسود) وحوكم من الدولة البريكية آنذاك بالموت غرقاً. وبالفعل أغرق في حومة غيل باوزير التي سميت بعده بـ(حومة بن طاهر) [٤٦٦]. ومن اهتم بهذه العلوم من الحضارم الشيخ (سعد بن أحمد الصبان باغريب) (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م) قال عنه مؤلف كتاب (إدام القوت) بأن لديه رياضات وعلم بأسرار الأسماء والحروف والأوفاق [٤٦٧]. وكذلك الشيخ (أبوبكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر). [٤٦٨]

وممن اتهم بممارسة السحر نشير إلى الشيخ (علي المغربي) وهو من السادة المغاربة. عاش فترات من حياته في مدينتي الشحر وغيل باوزير. وقد وجهت له تهمة الاشتغال بالسحر الأمر الذي دفع بالدولة القعيطية التي كانت حاكمة آنذاك (١٨٦٧-١٩٦٧م) لأن تلقي عليه القبض ومعاقبته بالصلب على أعمدة إحدى السفن الشراعية.[٤٦٩] ومن المغرب أيضاً الرحالة (يوسف بن عابد الحسيني الفاسي) صاحب مصنف (الرحلة من المغرب الى حضرموت) الذي اعترف في رحلته بتلقيه علوم الطلاسم والأوفاق من الشيخ (أحمد بن العلاء المكناسي الموقتي) الذي أجازه فيها.[٤٧٠]

وفي ترجمة للشيخ (عبد الرحمن باهرمز) (ت:٩١٤هـ/١٥٠٨م) وهو من أكابر رجال التصوف في حضرموت نجد إشارة إلى أنه تتلمذ في الشحر على يد

---

٤٦٥ انظر تاريخ الدولة الكثيرية, محمد بن هاشم قام بالإشراف على طبعه محمد علي الجفري, طبع على نفقه الخاصة السلطانية, ١٩٤٨م, ص٥٥.

٤٦٦ نشر النفحات المسكية، مرجع سابق، ص٤٦٢. كما تعرف أيضاً بحومة القاضي. المرجع السابق ص٣١٣. والحومة تطلق على البركة الواسعة والعميقة جداً المملؤة بالماء. وانظر خبر غرقه أيضا في إدام القوت ص١٧٣.

٤٦٧ السقاف، إدام القوت ص٩٦٦, ص٩٨٨.

٤٦٨ ذكره مؤلف إدام القوت في ترجمته للشيخ أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر انظر ص٩٨٨.

٤٦٩ انظر ترجمته وقصته في نشر النفحات المسكية ص٨٢ – ٨٣. وثمة قصيدة شعبية للشاعر سعيد باحريز يقول فيها ذاكراً شخصية تدعى المغربي وعلاقته بالسحر ولعله يقصد المذكور هنا:

والسحر لي مدفون في المطبخ كشفه المغربي وخرج العفريت بسلاسله من عقبة رحاب.

٤٧٠ الفاسي المغربي, يوسف بن عابد بن محمد الحسني, رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت, تحقيق إبراهيم السامرائي وعبدالله محمد الحبشي, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, ط١, ١٩٩٣م, ص٨.

الشيخ (حسين باهراوة) وأن الشيخ حسين هذا كان مشهوراً عنه بأنه (عالم الكيمياء والأسماء والأوفاق).[٤٧١]

وقد ذكر المقريزي في كتيبه الطريف (الطرفة الغريبة) أسماء بعض القبائل الحضرمية التي كانت لها أحوال عجيبة بفعل السحر. عدّد منها (البراوجه, الجلاهمة, الثباتنه آل أبي مالك وآل مسلم وآل ابن الربيع وآل أبي حشرج).[٤٧٢] وكذلك أسرة آل بن عيسى التي تستطيع رقي أو شم الملدوغ من مسافات بعيدة. وأفراد من قبيلة الصيعر الذين يتحولون إلى ذئاب متى ما أرادوا ذلك بابتلاعهم خرزة سحرية قيل إنهم عثروا عليها من بقايا قوم عاد. بل وشمل حتى قبيلة السلطان (سعد بن فارس أبي دجانه) (سلطان الشحر) في عصره.

أما المؤرخ (عبد الرحمن السقاف) فأشار إلى أسماء عدد من القبائل الحضرمية التي تتعامل بالسحر ومنها السكون وحضرموت والسكاسك. ونسب لهؤلاء التعامل بـ(الصدحة) وهو منع القطر عن النزول في أماكن أو قرى محددة. ويقول عنه أنه من آثار إجابة الدعاء ومن أسرار الحروف. [٤٧٣]

ومن الشخصيات التي ذكرها المقريزي نذكر (عمر العودرى) و(إبراهيم بن عبد الرحمن باعلوي) وأبو عوين (باعوين) صاحب الكرامات ويقصد به الولي أحمد الجوهري باعوين وغيرهم.

أما عن أسماء السواحر فقد ذكر لنا منها على سبيل المثال (سعيدة بنت أبي كليب).

ومن قدرات سحرة حضرموت (رجالا أو نساء) كما زعم, الطيران لمسافات بعيدة جداً. والمقدرة على التحول والتشكل في هيئة طيور كالحدأة أو الرخمة. وكذلك إمساك الرياح لتتعطل حركة السفن وفكها بمقابل يدفع لهم. كما بين لنا بعض الطرق في كيفية كشف الساحر أو الساحرة عن طريق قرع الطبول.[٤٧٤] فقد ذكر المقريزي في طرفته تلك عن عقوبة من يتهم بالسحر عند الحضارمة في عصره حين كتب يقول

---

[٤٧١] بن عقيل, عبدالرحمن جعفر, عمر بامخرمة السيباني, حياته وتصوفه وشعره ص٤٤.

[٤٧٢] انظر المقريزي, الطرفة العجيبة في أخبار وادي حضرموت الغريبة ص٢٠. وبعض هذه القبائل المذكورة لم نعثر لها على أي أثر في حضرموت, ولعلها من وحي خياله أو خيال محدثه بن بريك. وإن كان بعض مما أورده ما زال سائداً في تصورات العامة اليوم.

[٤٧٣] إدام القوت ص١٠٥٣.

[٤٧٤] مثل هذه الاعتقادات في الساحرات وجدت كذلك لدى السقطريين. ويطلق السقطريون على الواحدة منهن بـ(الزاهرة) أي الساحرة. ناومكين, سقطرى جزيرة الأساطير ص٤٠٩.

نقلاً عن محدثيه[٤٧٥] ((وإذا أصيب واحدً من الناس بشيء من أنواع السحر المضرة. ولم يعرف من سحره. فإنه يجمع النساء المتهمات بالسحر ويؤتي بهن إلى ماء يغمرهن كالبحر ونحوه. ثم يربط أكتافهن واحدة بعد أخرى ربطاً وثيقاً. وتلقى على وجهها. ثم يربط على ظهرها رحى كبيرة. وتحمل بالرحى على ظهرها وتلقى في البحر أو النهر. فإن رسبت في قاعه علم أنها بريئة. وإن طفت على الماء ولم ترسب فيه اقتص منها أو عفي عنها لأنها هي التي سحرته)).[٤٧٦]

كما حكى لنا طريقة أخرى في العلاج من السحر وخاصة المسمى بـ(الرنبيل) وهو منتشرً في ظفار وحضرموت وعرفه بأن (أحدهم إذا عاداه أحد من أفراد قبيلته أو من غيرها. أو أراد أحد أن يطلق امرأته فإنه يعمل له عملاً. وإذا بغريمه يذوب لحم بدنه بأسره من غير مرض حتى لا يبقى عليه مزعة لحم)).[٤٧٧] وهذا السحر كما قال قد أصاب سلطان الشحر وظفار (سعد بن فارس أبي دجانة) وسحرته جارية له. وعن كيفية علاجه يقول: ((فإذا أصاب أحدًا هذا البلاء جمع الناس المتهمين بهذا العمل وأخرجوهم إلى البحر وأجلس المبتلى والمتهمون بإضراره على شاطئ البحر وضربوا طبلاً معهم. وهم يذكرون في ضربهم أسماء المتهمين واحداً بعد واحد. فإذا اضطرب المصاب عند ذكر واحد منهم علم أنه غريمه. فيصير ذلك المصاب في اضطرابه كأنه مصروع يتخبطه الشيطان من المس. فعند ذلك يلزم الناس ذلك الرجل الذي اضطرب المصاب عند ذكر اسمه بأن يبرئ غريمه. فيأخذه ويغسله في البحر كما يغسل الميت وهو يرقيه فيبرأ في الحال)).[٤٧٨]

وإلى جانب أولئك المذكورين ظهر في المدينة العديد ممن اعتقد فيهم الناس الولاية والصلاح اعتقادًا يقترب من إيمانهم بامتلاك هؤلاء قوة خاصة (قوة سحرية) تعمل تأثيرها في الأشياء فعن الشيخ غِبطة على سبيل المثال لا الحصر, ولعله هو من سمي باسمه مسجد غِبطة الماثل بالمدينة اليوم, ذكر المؤرخ (عبد الله باحسن) في

---

[٤٧٥] اعتمد المقريزي في تصنيف طرفته هذه على رواية (عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن سالم بن بريك) وهو من أهالي حضرموت, وقد ترجم له المصنف في مؤلفه (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) (٣٣٦/٢). وقد أشار المصنف إلى أنه من مواليد ٧١١هـ؟ وأنه قدم لمكة وألتقى به سنة ٨٣٩هـ. وهذا يعني أن عمره تجاوز ١٢٠ عام. ونرجح أنه من مواليد (٨١١هـ). كما ترجم له السخاوي نقلاً عن المقريزي. انظر السخاوي, شمس الدين محمد بن عبدالرحمن, الضوء اللامع لأهل القرن التاسع, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, لبنان. (٥٢/٥).

[٤٧٦] الطرفة الغريبة , مرجع سابق ص٣٦ – ٣٧. وانظر ما كتبه بامطرف عن السحر والسحرة في كتابه لمحات من تاريخ جزيرة سقطرى وتحديدا ص١١٤-١١٥.

[٤٧٧] المرجع السابق ص٣٧.

[٤٧٨] الطرفة الغريبة ص٣٧.

كتابه (نشر النفحات المسكية) أن هذا الشيخ كان يلقب بـ(قاضي الحاجات) وأن كل من كانت لديه حاجة أو طلب ما عليه إلا أن يزور قبة الشيخ (عبد الله بلحاج بافضل) بالدخول من الباب النجدي كشرط والخروج من الباب البحري. ثم يصلي ركعتين بمسجد (أحمد بن عمران) وبعدها يزور قبر الشيخ غِبطة ويكتب عليه سبع واوات مفتوحة ويسمي حاجته فتنقضي.[٤٧٩] والكلام من مثل هذا كثير.

ولفظة الساحر في العرف الشعبي المحلي ارتبطت أيضا بالبخل والبخيل. فكثيرا ما يوصف الشخص المشهور ببخله بأنه إنسان ساحر ويقصد به هنا (بخيل). كما تطلق لفظة الساحر بصفة عامة على العيّان, والمشعوذ, والعرّاف وكذلك على من يقوم بالألعاب البهلوانية ذات الخدع السحرية.[٤٨٠] بالرغم مما لهذه المصطلحات من دلالات خاصة بها تميزها عن بعضها بعضا.

ويعتقد الناس أنه بمجرد الطلب ممن يظنونه ساحراً أو عيّان (الرامي بالعين) الصلاة على النبي أو التفوه بجملة: (ما شاء الله). فان هذا يعدّ وقاية لهم من سحره أو من تأثير عينه. وقد ايضاً تذهب بتأثير سحره أو تأثير نيته الخبيثة وتجعله هباء منثورا. وفي كلتا الحالتين يتطلب من المتهم (رداً) وذلك بترديده الصلاة على النبي بأن يقول: (اللهم صل وسلم عليه). وكثير من الناس يصرون على أن ينطقها الشخص المتهم بالعين أو بالسحر اتقاء شره. أو أن التهمة لا محالة دامغته.

ومن أصناف السحر التي اشتهرت محلياً ما عرف بسحر الأوفاق, وهي عبارة عن جداول ومربعات تتوسط خاناتها أحرف أو أرقام ذات دلالات خفية إلا على أربابها. وقد يضاف لهذه المربعات أو على أحد جوانبها آيات قرآنية أو جمل مبهمة.

ويعتقد أن لهذه الأوفاق ميزات سحرية وتأثيرًا على الأشياء وهي تعد شكلًا من أشكال الطلاسم السحرية. وللعلامة عبدالرحمن بن خلدون (الحضرمي الأصل) بعض فصول في مقدمته ناقش فيها مختلف علوم السحر يمكن العودة إليها. [٤٨١]

وعن السحر أيضاً ومدى انتشاره بالمنطقة يجب أن لا ننسى ما أورده المؤرخ ابن المجاور عن أهل مهرة وعلاقتهم بالسحر أو المقريزي في الطرفة الغريبة. هذا إذا

---

[٤٧٩] نشر النفحات المسكية ص٣٦٧.

[٤٨٠] عن هذا النوع الأخير من أنواع السحر انظر الموسوعة العربية العالمية (٨/١٢).

[٤٨١] انظر مقدمة تاريخ ابن خلدون, الفصل التاسع والعشرون ص ٦٤٦. وللمؤلف مخطوط قيد الإنجاز حمل عنوان منطق السحر وتاريخه تناول فيه مثل هذه المواضيع بالكثير من التفصيل والتحليل. وعن الوفاق انظر كذلك معجم الفولكلور ص٤٣٥.

أخذنا بالحسبان مدى الارتباط التاريخي والتداخل الجيوسياسي بين المهرة والشحر. وكذلك الحال بالنسبة لجزيرة سقطرى. كما ذكر المؤرخ عبد الرحمن السقاف في كتابه إن آل باعباد الحضارمة لهم علاقة بصنع التمائم.[٤٨٢]

ومن العزائم السحرية الشائعة تلك التي ذكرها لنا المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف حيث كان يرددها العوام كما أشار لإيقاف العقرب ومنعه عن الحركة ليأتي أحد ويقتله وهي ترديد قولهم: (قبضن, قبضن).[٤٨٣]

الخاتم السحري:

كثيراً ما يدور بين الناس الحديث حول (الخاتم السحري) أو كما يسميه بعضهم بـ(خاتم سليمان). ويقصدون بسليمان, النبي سليمان بن داؤود عليهما السلام. إذ ساد اعتقاد لدى عامة الناس أن النبي سليمان عليه السلام كان يمتلك ذلك الخاتم وبه أخضع كل الإنس والجن والريح والحيوان وأن بإمكان البشر الآخرين امتلاك هذا الخاتم وأن مالكه يكون كمن امتلك العالم بأسره لقوته وتأثيره في السيطرة وتحقيق الأمنيات. كما أن مالك هذا الخاتم تخضع له كل الجن والعفاريت وتهابه المخلوقات كافة. وأن كل ما يتمناه المرء ويرغبه يحققه بطرفة عين. إذ يكفيه فقط قيامه بدعك هذا الخاتم قليلاً ليتجلى له عفريت الخاتم ملبياً له كل الرغبات والملذات. أو تكفيه فقط مجرد دعكه وتمني حاجته فإذا هي ماثلة أمامه.

ولم تبين لنا مثل هذه الأسطورة شكل هذا الخاتم أو مكان وجوده ولا كيفية الحصول عليه. وإن كانت تزعم بوجوده في هذا العالم وتداوله بين الأجيال. وخبر خاتم سليمان هذا ذكرته عدد من كتب التفسير الإسلامية نقلاً عن الإسرائيليات. ذلك أن القرآن الكريم لم يشر من قريب أو بعيد لأي خاتم ملكه النبي سليمان. وحتى عندما طلب النبي سليمان من يأتيه بعرش الملكة بلقيس لم يحرك لهذا خاتماً. وإنما كما هو في القرآن الكريم: ((قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي

---

[٤٨٢] السقاف, إدام القوت ص ٦٣٤.

[٤٨٣] معجم الأمثال ص٥٥١. ولعل ما يشابها في التصورات الشعبية لدى بعض شعوب أوربا اثناء مشاهدة أفعى مناداتها بـ(أخبريني أيتها الحية, متى يكون عيد الفصح, وعيد الصعود, وعيد جميع القديسين, وعيد الميلاد) ويعتقدون أن الأفعى ستقف مذهولة عاجزة عن الإجابة فيقتلونها. معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا ص١٩, وانظر أيضا ص٥٢.

أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)) سورة النمل الآيات ٣٨-٤٠.

وعلى الصعيد الشعبي المحلي يزعم بعضهم بأن شخصية (الخضر) الشهيرة في الميثولوجيا العربية. هو من يملك مثل هذا الخاتم يوهبه لمن يشاء من الناس إذا صادفهم بالبراري بعد أن يختبرهم اختبارًا بسيطًا. وسنأتي إليه في موضوع الغاوي.

وثمة كتاب متداول محلياً نسب للإمام (أبي حامد الغزالي) حمل عنوان (المندل والخاتم السليماني والعلم الروحاني) وهو كتاب مليء بالصيغ والتعاويذ السحرية المتنوعة. والإمام الغزالي من العلماء الاثيرين لدى الحضارمة كما أن لكتبه حضورًا وعناية كبيرة في حضرموت وخاصة كتابه إحياء علوم الدين. وأكثر من يتداول كتبه من الناس هم المتصوفة.

وقد وصفت بعض المؤلفات شكل خاتم سليمان هذا بأن عليه نقشًا سداسي العناصر. مؤلفًا من مثلثين متساويي الأضلاع متعاكسين يرمزان إلى تداخل ما هو أعلى بما هو أسفل. ويعيدان تجميع الكواكب السبعة والمعادن المرتبطة بها. [٤٨٤]

وتصور الروايات الشعبية عفريت الخاتم هذا على هيئة عملاق ضخم يبلغ طوله عنان السماء. يسبق عملية ظهوره دخان كثيف ينبعث من الخاتم صاعداً للأعلى ليتشكل من هذا الدخان عفريت الخاتم. ومثل هذه الاعتقادات لا تختلف كثيرا عما تخبر به روايات ألف ليلة وليلة أو قصص علاء الدين والمصباح السحري أو قصص السندباد البحري. ولعل خيالنا الشعبي تأثر بتلك الحكايات.. والمتتبع لكثير من حكايات الجدات سيجد لهذا الخاتم السحري حضورًا فيها.

وتطالعنا صحيفة (الطليعة) في افتتاحية عددها رقم (٦١) الصادر يوم الخميس ١٨ صفر ١٣٨٠هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٦٠م. بخبر يفيد بادعاء راعي غنم من أهالي منطقة جعيمة[٤٨٥] بشبام يدعى (فرج محبوب) أو يسلم فرج, امتلاكه خاتماً سحرياً يشفي به جميع الأمراض. وأن العديد من الناس كانت تقصده للعلاج.[٤٨٦] وكانت قصته هذه حديث الناس والصحف في تلك الفترة.[٤٨٧]

---

[٤٨٤] معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا ص٩١.

[٤٨٥] جعيمة واد شمال مدينة شبام, له فرعان يقال لأحدهما الخط والآخر الدائرة, وفي جعيمة قرى كثيرة منها: الشاغي والعقيقة وهشيمة والخندق ولصف وجحورب.. إلخ انظر المقحفي, معجم البلدان (٣٣٩/٢).

[٤٨٦] صحيفة (الطليعة) العدد (٦١) الصادرة يوم الخميس ١٨ صفر ١٣٨٠هـ الموافق ١١ اغسطس ١٩٦٠م. وفي أعداد لاحقة من الصحيفة يورد اسمه: يسلم فرج.

[٤٨٧] وانظر عنه كذلك صحيفة الطليعة العدد ٦٥ ص٦. والأعداد ٦٧؛ ٦٩؛ ٧٢؛ ٧٣؛ ٧٤؛ ٧٥؛ ٧٦؛ ٧٨.

ومن يطالع ما كتب عنه وعن أفعال خاتمه العجيب في صحيفة الطليعة على سبيل المثال كخير شاهد وثق أحداث تلك الفترة سيلاحظ بوضوح مدى افتتان الناس وتصديقهم لمثل هذه المزاعم. وبالمقابل تظهر لنا كيف تصدى لها ولمثلها العديد من ذوي العقول النيرة.

ويمكن هنا أن نضيف بعض أبيات لشاعر شعبي معاصر لتلك الفترة قالها في أحداث هذه القصة. وذلك في (لعبة شواني) أقيمت في المكلا. وقد نشرتها صحيفة الطليعة في عددها رقم (٧٥) الصادر في تاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٦٠م. والشاعر هو يسلم أحمد باحكم الذي يقول:

غن خلنا باجيبها من حيث ما ثار الجمـــــل
من ليلة المسرى من البندر إلى وادي تـــــريم
ذا فصل والثاني ظهر خاتم مع واحد خبـــل
غريم يا ريته ذكانا عل بو ذاك الغـــــــريم
خرجت باجربه شفت الناس تضرب به مثل
قالوا معه برهان حاضر يقلب الملعب شريم
لقا لي الكبريت في يدي وخلاها عطـــــل
من شاف يدي قال بسم الله رحمن الرحيـــم
بيتت في حالة نشل, واهبليــــة والهـــبـــــل
والقصد قد شليتها قبصة حشيمة من حشيم
الميدع اللي في جعيمة مالقا رطلين خــــــل
كل الخبر عند باشنيني هو ويا أحمد باحكيم
مخلوق راعي بهم وانته عاتأمل به أمـــــل
زغ علبوا ذاك الصباحة علبوا الوجه الشتيـــم

إلى أن قال:

سليم في مخزنه يتغيرم وبايقض المحـــــــل
والقصد ما بقر لك لمان يتعافى سليـــــــــم.[٤٨٨]

[٤٨٨] لبقية القصيدة, انظر صحيفة الطليعة العدد (٧٥) الصادرة بتاريخ ٢٧ جمادى أولى ١٣٨٠هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٦٠م, ص٨.

وقد دخل خاتم سليمان ورمزيته في الأدب الشعبي بفروعه ومجالاته ويمكن هنا أن نستشهد ببيت للشاعر الشعبي سعيد قشمر من إحدى مساجلاته يقول فيه:

عاد فوق الخلق خالق ما قبل المال المزرق
يغلب الناموس ما ضيعك يا خاتم سليمان.

أما الشاعر سعيد باحريز فيقول في إحدى مساجلاته الشعرية:

أهل قشمر ما بغونا ما بغونا أهل قشمر
يوم جرّوا بالسوايب ضيعوا خاتم سليمان.

وهذا الشاعر محفوظ العطيشي يقول في إحدى مساجلاته الشعرية الشهيرة:

من لقى صنعتي بايجلس يعضعض عالاصابع
وريت ما تنفعك لا قد ضعت ي اخاتم سليمان.

الصروف (السحر الأسود):

ومن الاعتقادات التي سادت بين الناس وهي على ارتباط مباشر بالسحر الاعتقاد في قوة وتأثير ما يسمى بـ (الصروف) ومفردها صرف [٤٨٩] والصرف هو كل عمل سحري يقوم به الساحر مستخدماً التعاويذ Charms أو الطلاسم Talisman [٤٩٠] أو التفوه بصيغ مفهومة او مبهمة. بقصد أحداث تأثير ما فيما حوله

[٤٨٩] جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة صرف: ((الصرف رد الشيء عن وجهه صرفه يصرفه صرفاً فانصرف, وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه..(إلى أن قال).. والصرف أن تصرف إنساناً عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك)) وغيرها. لسان العرب (١٨٩/٩). كما جاء من معانيها أيضا الحيلة, والصرفة خرزة من الخرز التي تذكر في الاخذ, قال ابن سيدة يستعطف بها الرجال يصرفون بها عن مذاهبهم, والصرفة منزل من منازل القمر نجم واحد نير تلقاء الزبرة...

[٤٩٠] جاء تعريف مصطلح الطلسم في قاموس الأنثروبولوجيا بأنه: ((شيء يعتقد أن له قوة فوق طبيعية للوقاية من الشر, والمرض, ولجلب الحظ الحسن, وللتأثير في الأحداث غير الاعتيادية. يحمله الأفراد معلقاً في رقابهم أو مربوطاً حول زنودهم..)) ص٩٤٥. وهذا التعريف يقترب كثيراً من تعريف الحرز أو الحروز. أما الطلسم كما نعنيه هنا فهو عبارة عن رموز ذات أشكال متنوعة أو أحرف أو أعداد أو خليط منها تكتب, لها دلالات متعارف عليها بين المشتغلين بهذا الفن, يستعملها الساحر كصيغة سحرية مستقلة, أو تكون مكملاً لتعويذة ما وجزءًا منها.

من أشياء. ووفقاً للتصورات الشعبية هذه الصروف لا تعمل إلا بغرض إلحاق الأذى بالناس أو الحيوان.

والتعاويذ عبارة عن صيغ سحرية يعتقد بأنها ذات قوة وتأثير على الموجودات المختلفة. وهي قد تتلى شفاهة أو تكتب بمداد خاص على الورق أو الجلد. وبعدها قد تدفن أو تحرق أو ترمى في البحر أو توضع على بئر أو قبر. أو يحتفظ بها الساحر أو طالب هذا العمل. والهدف منها إما إلحاق أذى وضرر بالآخرين أو لتحقيق رغبة ما. ويطلق على من يقوم بهذا العمل بأصحاب الصروف وهي مرادفة للفظة السحرة. كما يسميهم بعض الناس (أصحاب الكتبة) [٤٩١].

وأهم ما يسعى لتحقيقه هؤلاء الكتبة وأصحاب الصروف إصابة إنسان ما بالجنون والخبل أو بالمرض أو إصابته بالنحاسة والفشل سواء في حياته اليومية أم دراسته أم عمله (تجارته) أم تنغيص عيشته بتسليط الأوهام والهواتف والوساوس عليه أو بخلق مشاكل له مع أهله أو مع زوجته. وفي أحيان أخرى تستعمل تلك الصروف لتحقيق وفرة في الصيد أو التجارة أو لجذب الزبائن أو إبعادهم. وكثيراً ما يستخدم الصرف (السحر) لهذه الأغراض.

كما تستخدم التعاويذ لجلب المفقودات أو كشف بعض المحجوبات وغيرها من أمور يسميها بعضهم بعمل (المندل).

وأكثر من يؤمن بعمل الصروف ويلجأ إلى من يشتغلون بهذا الفن للاستعانة بخدماتهم هم الجهلاء من الناس. كما يلجأ إلى هؤلاء الكثير من الأفراد المنتمين لشريحة الصيادين طلباً لحفظهم من مخاطر البحر أو الزيادة في رزقهم. ويدفعون لأجل هذا الكثير من المال. كما يخصص نسبة من صيدهم للساحر إكراماً لعمله وفقاً لاعتقاداتهم. وثمة اعتقاد يسود عند هؤلاء البحارة والصيادين, أن من لم يحالفه الصيد منهم فهذا يعني وجود أناس عملوا له صرف (سحر) أدى لانصراف الأسماك عنه. أو عند رؤيته غيره من الصيادين وهم محملون بأنواع السمك, يظن هذا الصياد في هؤلاء الذين رزقهم الله أنهم يتعاملون بالصروف (السحر) ويتحدث بهذا بين الناس لتبرير فشله ونجاح غيره ويعزز في الوقت نفسه الإيمان بقدرة السحر على تحقيق المنافع أو الضرر للإنسان.

---

[٤٩١] في اللغة الشحرية المستعملة عند أهالي ظفار العمانية أن لفظة (كتوب) أي كتاب تطلق على الحروز التي تحتوي على طلاسم وتعاويذ وتربط حول عضد الولد. لغة عاد ص٣١٤.

وعلى ما يبدو أن مثل هذا الاعتقاد في توفير الرزق (الأسماك) مرتبط باعتقادات سابقة موغلة في القدم حينما كان الناس يمارسون طقوسًا تعبدية معينة لإله البحر طلباً لمرضاته وابتغاء الصيد الوفير. وقد تطرقنا إلى ذلك في حديثنا عن (سوبان) في الجزء الأول من كتابنا هذا.

كما ساد اعتقاد داخل المدينة يفيد بأن أكثر المجانين الموجودين بها هم ضحايا هذه الصروف التي جنت عليهم. وفي تفسير بعضهم لنوبات الجنون أو الصرع التي تأتي الشخص فترة ثم تذهب عنه ليعود المجنون بعدها لهدوئه وحالته السابقة، أن الصرف الذي تسبب في جنونه كتب على ورقة معلقة في حبل كالذي ينشر عليه ثياب الغسيل أو إنها معلقة على رجِل طائر أو جناحه وإنه كلما هبت الريح أو طار الطائر انتابت هذا الشخص أو ذاك نوبات الجنون وحالات الصرع والتشنج. وإنه بسكون الطائر أو سكون الريح, يسكن هذا المجنون ويهدأ.

وعلى الرغم من انعدام آية إحصاءات بصددها إلا أن نسبة اعتقاد النساء في تأثير أعمال الصرف والسحر أكبر من نسبة اعتقاد الرجال. كما أن نسبة لجوء النساء للسحرة طلباً في الحصول على خدماتهم المختلفة أكثر من نسبة لجوء الرجال إليهم.

كما يلاحظ أن هناك من المتعلمين في المجتمع من يروج لمثل هذه الأفكار ويدافع عنها (من جهة إثبات حقيقتها وتأثيرها) وحجتهم في ذلك كما أشرت في فقرة سابقة أن مثل هذه الأمور قد ذكرت في القرآن الكريم وأنها من المسائل الإيمانية التي أكدها الدين الإسلامي وإن إنكارها أو عدم الإيمان بها أو بتأثيرها يدخل الإنسان في إطار الشرك والكفر بالله. وغيرها من تصورات قد تقود بعض الناس إلى الضلال من حيث لا يعلم بينما الدين منها بريء. وقد فصلت هذا في كتابي المخطوط (منطق السحر وتاريخه) ولا داعي لتكراره وهو ليس من مجال بحثنا هنا. ولكن أكتفي بالقول إن الله وحده هو الذي يصيب الإنسان بعلة أو مرض. وهو الذي يغني ويفقر. وهو الذي يجلب الرزق أو يمحقه ولا أحد غيره. وقد وصف الله عز وجل عمل السحرة إجمالا: ((وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)) سورة البقرة الآية (١٠٢). وفي آية أخرى ((إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)) سورة طه الآية (٦٩).

أما الظن بأن الساحر أو المشعوذ أو الكاهن أو أيا كان من البشر يملك القدرة على التأثير في أخيه الإنسان وإلحاق الضرر به أو إسعاده أو أن لديه علمًا بالغيبيات والتنبؤ بما هو حاصل في غد. فهذا هو الضلال والشرك بعينه.

الحروز والتمائم والحبوس

وهذه قد تكون آيات قرآنية وأدعية أو تكون صيغ سحرية وطلاسم وأوفاقًا أو كل هذه معاً. وهذه تكتب على جلد أو ورقة ثم تطوى وتوضع في كيس صغير أو علبة معدنية صغيرة. تربط بخيط سميك وتعلق كقلادة حول العنق أو على الخصر أو على زند اليد أو عضدها أو رسغ الرجل. ويطلق عليها محلياً بـ(الحُرز) بضم الحاء, ولعله جاء من الاحتراز أي الانتباه والتيقظ لدفع الشر أو من التحصين. في حين يطلق عليها بمناطق أخرى بـ(حجاب Amulet).

وقد تكون الحروز هذه أساور غليظة من الحديد تربط بالرسغ أو العضد يعتقد فيها أنها طاردة للجن والسحر والعين الشريرة وتسمى (عضاد). وثمة من يستعين بدلاً من هذه بخيوط خاصة سوداء تربط بالرسغ أو أسفل الركبة ويطلق عليها باسم (الحبوس).

وهذه الحروز قد تعلق أيضاً على أسقف ومداخل البيوت أو تعلق بداخل السيارة وربما تدفن أو توضع تحت الوسادة بالنسبة للأطفال ولمن يشتكى الأرق. ويعتقد أن هذه الحروز والتمائم تقي صاحبها من الجن ومن العين والحسد ومن كل شر يتربص به.

إن هذا التمائم والحروز بنظر العامة (وقائية) لحفظ صاحبها من البلاء قبل وقوعه. كما يعتقد بأنها جالبة لصاحبها البركة والحظ الحسن. وقد يضاف لتلك الحروز قليل من حبات البركة (الحبة السوداء) لما لها من تأثير قوي على الاشياء وفقاً للتصورات الشعبية. وهذه (أي حبة البركة) قد يستعان فقط بحبيبات منها لتوضع في صرة صغيرة من القماش حجمها كحبة الدوم (النبق) لتعلق بعد ربطها بخيط على الزند أو بمكان ما بالبيت اعتقاداً بأنها طاردة للسحر والعين والحسد.

وسبق أن ذكرنا نقلاً عن المؤرخ (عبد الرحمن السقاف) قوله: إن آل باعباد (ربما بعض منهم) كانوا يصنعون التمائم للناس.[٤٩٢] بغض النظر عن مدى مصداقية ذلك.

كما كان يعلق على الأطفال كنوع من أنواع التمائم سن ثعلب أو سن هرة أو قوقعة صغيرة أو قطعة من معدن الرصاص خاصة. [٤٩٣]

---

[٤٩٢] إدام القوت ص٦٣٤.

[٤٩٣] من تصورات قبائل الشحارة في ظفار العمانية أنه: ((إذا وضع ناب الثعلب أو الضبع أو النمر في رقبة الولد الذكر من ولادته إلى أن يقرب على سن الزواج وذلك اعتقاداً بأن الناب سيجلب الصحة للولد ويحميه من الضرر والحسد والجن والسحر وتتقوى شخصيته وعقله وذكاؤه....)). الشحري, علي, لغة عاد, ص٣١٣.

وقد سبق أن اشرنا إلى ربط المؤرخ الدكتور محمد بافقيه بين سن الثعلب والهرة الذي يعلق على عضد الطفل أو زنده كتميمة وبين ارتباطها بآلهة القمر. [٤٩٤] وقد يقوم بعضهم باستبدال كل ذلك بكتيب صغير يعرف بـ(الحصن الحصين) مكتوب بداخله فاتحة الكتاب وآية الكرسي والمعوذتان إلى جانب أدعية وتوسلات، حيث يقوم بعض الآباء أو الأمهات بوضع هذا الحرز تحت وسادة طفلهم بغية حمايته من الجن أو من العين الحاسدة.

وفي وقتنا الراهن لم يعد لهذه الحروز والتمائم تلك المكانة الكبيرة التي تحتلها في نفوس الناس واعتقاداتهم مقارنة بالماضي. كما لم يعد لها أي دور وظيفي أو تأثير عند الناس في الحواضر خاصة. وإن كنّا في الوقت نفسه نشاهد بين الفينة والأخرى بعض الأطفال معلقًا على زنده شيئا من هذه الحروز.

كما يلاحظ أن انتشار هذه التمائم والحروز سائد لدى أطفال الريف والبدو مقارنة بغيرهم. وببعض الشعوب البدائية تتكون هذه التمائم من قطع صغيرة من عظام الأسلاف, كما أن حملها يعد بنظرهم ضرباً من عبادة الأسلاف Ancestor Worship وتقديسهم. [٤٩٥] أو من عظام حيوانات أخرى.

وهناك اعتقادات تمثلت في وضع حذاء مقلوب على عتبة البيت لأجل طرد الأرواح الشريرة القادمة وإبعاد العين والحسد عن المنزل. [٤٩٦] وغالباً ما يعمل هذا الأسلوب عقب ولادة مولود جديد للأسرة.

ومن الاعتقادات الأخرى المشابهة ذر الرماد أسفل الجدران الخارجية للبيت اعتقاداً أنها ستحمي من هو مقيم داخل المنزل, حيث لايتجرأ أي من الجن والشياطين أو العيانين والحسدة رمي أذاهم بمن هم داخل البيت المحوط (المحصن). بل ويعتقد أن هذه الطريقة تحمي كذلك من تسلل الأفاعي والثعابين لداخل الدار. فبوجود هذه المادة الكربونية لا تستطيع الأفاعي أو الأرواح اختراق الحدود الرمادية.

---

[٤٩٤] بافقيه, محمد, الديانة في الممالك الجنوبية القديمة ببلاد العرب, ص٢٩؛ وأيضاً كتابه تاريخ اليمن القديم ص٢٠٦.

[٤٩٥] عن التمائم وعبادة الأسلاف من وجهة النظر الأنثروبولوجية انظر قاموس الأنثروبولوجيا ص٤٨ – ٥٠.

[٤٩٦] يمكن أن ندرج مثل هذا السلوك ضمن ما اصطلح على تسميته بـ(مانع الشر), ومانع الشر كما جاء في قاموس الأنثروبولوجيا: ((صورة أو تمثال أو أي رمز يتخذ مانعاً للشر وواقياً من أذى الشياطين والعين الشريرة. ويكون الرمز في الأغلب بشكل شيطان أو عينين محملقتين. وينتشر استعماله بين كثير من الشعوب البدائية, وتقوم فكرة (مانع الشر) على أساس مبدأ أن كل رمز يحمل قوة الشيء الذي يمثله)) المرجع المذكور ص٦٠. فلربما في وضعية تعليق الحذاء على مدخل الباب وبصورة مقلوبة فيه من الدلالة ما يشير إلى أن العين الشريرة القادمة ستلاقى الدوس عليها؟.

والاعتقاد بالتمائم والحروز من الاعتقادات الجاهلية نستشهد بما ورد على سبيل المثال بمعلقة أمرئ القيس الكندي التي قال فيها:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذي تمائم محول.

أما في العصر الإسلامي فقول الشاعر جرير:

ولهت قلبي إذ علتني كبرة   وذوو التمائم من بنيك صغار.

العين اللامة Evil Eye:

الاعتقاد في العين وتأثيرها على الإنسان وعلى الموجودات الأخرى اعتقاد ليس وليد اليوم أو الأمس القريب وإنما هو اعتقاد قديم قدم الإنسان نفسه وقد عرفته الشعوب البدائية كما عرفته معظم المجتمعات والحضارات القديمة. وعرفته حتى الشعوب المتقدمة اليوم [٤٩٧]. كما نجد أن الأديان السماوية عززت من وجود مثل هذه الاعتقادات ففي (سفر الأمثال) على سبيل المثال: ((لا تأكل خبز ذي عين شريرة, ولا تشته أطايبه..)) [٤٩٨] وفي الإسلام ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله علية وسلم: ((العين حق, ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)) إلى آخر ذلك.

إن ما يهمنا هنا هو الاعتقادات الشعبية في العين وعنها نجد أن بعض الأسر وخاصة عند ولادة المولود, تقوم الأم أو الجدة بتلطيخ وجه المولود الجديد بمادة الكحل أو الصخر (فتات الفحم) خوفاً عليه من أعين الزوار. بل وقد يبعد الطفل عن أعينهم تماماً.

كما يلاحظ أن من يملك على سبيل المثال ماعزًا أو كبشًا سمينًا يلفت إليه أعين الناس. يعمد صاحبه على حجبه عن الأنظار داخل البيت في حين يطلق بقية الأغنام للرعي في الطرقات. ويسمى هذا الكبش المرصون (أي المحتجز داخل البيت) باسم (المساير) ويحظى بأفضل الطعام. وعادة يذبح بعد ولادة المرأة مباشرة حيث تجمع

---

[٤٩٧] لمعرفة المزيد عن اعتقادات الأوربيين وتصوراتهم عن العين الشريرة انظر معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا ص٢٥٦.

[٤٩٨] الإصحاح الثالث والعشرون العدد ٦-٨.

أطرافه وبعض أجزائه غير المرغوب فيها لتدفن خارج البيت مع (غشاء المشيمة) للمرأة. وسنأتي لتفاصيله في فقرة (اللماة).

كما ساد وإلى فترة متأخرة أن يقوم الناس بتسمير (لصق) فردة حذاء (مقلوبة) بالجزء العلوي من باب المنزل اعتقاداً منهم أنها تطرد الجن وتبعد العين وقد أشرنا لهذا مسبقاً.

كما يعتقد كذلك أن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) تبطل تأثير العين. وكثيراً ما يلاحظ فيمن يخاف على نفسه أو على قريبه أو على شيء يملكه الإصابة من العين, أن يطلب من الشخص المعاين (من يظن فيه أنه عيّان) الصلاة على النبي بالقول: صل على النبي أو صل على نبيك ؟ حيث يتوجب على (العيان) الإجابة: اللهم صل وسلم عليه. وإلا فأن تهمة العين ستكون لاصقة به. وهي تهمة سرعان ما تنتشر وتتناقل بين عامة الناس وتكسبه حنقهم وكراهيتهم له.

فالعيان كما يعتقد تعجز لسانه وتخرس عن النطق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وأحيانا يطلب منه ترديد قول: (ما شاء الله) للغرض نفسه. وهذا الترديد كما يعتقد كفيل بردع شر العين أو الحسد.

ولعل هذا ما يفسر أيضاً أن الكثير من البيوت وإلى اليوم وكنوع من الزينة تكتب على واجهتها أعلى إطار الباب الخارجي وبالخط العريض جمل كي يراها ويقرأها الجميع مثل: (صل على النبي), (يا داخل الدار صل على المختار), (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن), (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين). (هذا من فضل ربي). وكلها جمل كتبت من قبيل دفع الحسد والعين. ولا تكتب جمل غيرهن. ولعل في هذا ما يتقارب مما يطلق عليه في الدراسات الأنثروبولوجية بـ(تميمة البيت)[٤٩٩] House Inscription

ومما يدفع ضرر العين أيضاً أن الواحد وأثناء تناوله الطعام وسط جمع حواليه ولاحظ أن أحدهم يرمقه بنظرات حادة وخاف على نفسه الإصابة بالعين. عليه أن يبادر هذا الناظر ويطلب منه الإجابة عن قوله: (صل على النبي) حيث يتوجب على الناظر القول: (اللهم صل وسلم عليه). أو يدعوه لتناول الطعام معه. وفي كلتا الحالتين كما يعتقد دفعٌ لتأثير العين. كما يظن أن سبب الّشرَق أو كما يسمى في

[٤٩٩] عن تميمة البيت House Inscription جاء في قاموس الأنثروبولوجيا بأنها: شعار يكتب على واجهة البيت, أو أي مبنى آخر, فوق أو قرب مدخله. وكثيراً ما يتضمن الشعار كتابات دينية. وتلجأ بعض الشعوب البدائية إلى هذا الإجراء طلباً للبركة أو طرداً للشر, أو وقاية من العين الشريرة. انظر المرجع المذكور ص٤٦٤. وطبعاً هذا ليس خاصاً بالشعوب البدائية.

اللهجة الشحرية (الشترواغ)[٥٠٠] أنه بسبب وجود شخص ما رمقه ورماه بعينه حسدا. ومثل هذا التصور يظن وجوده حتى في القطط أو الكلاب إذا حضرت والمرء يأكل. إذ يتوجب عليه أن يرمي لها شيئاً مما يأكله حتى لا يصاب بالعين منها.[٥٠١]

وأحياناً إذا أصاب المرء تلف ما في جسمه واعتقد أنه بسبب العين. يطلب من هذا المصاب (المعيون) الذهاب إلى بعض الأشخاص المشهورين بعمل ما يسمى بـ(التفلة) كي يقوموا (بنقض العين) من خلال البصاق أو التفل (نفث رذاذ اللعاب) على وجه المصاب أو على أحد أعضاء جسمه حيث موضع الألم والإصابة. اعتقاداً بأن هذا سيشفيه. وفي أمثالنا الشعبية: (ما بدا مول تفلة قال ما بك عين). [٥٠٢] ويقول احد الشعراء الشعبيين:

مسجدي قالوا نقضها العين عالرجّال تفل
والرجل عاده مكانه له تنعشر يوم مهموم.

وقد يطلب منهم هذا الراقي أو المشعوذ تبخير المريض بأنواع محددة من البخور كعود الصليب أو اللبان ويعتقد فيهما مقدرتهما على طرد الأرواح الشريرة والعين. [٥٠٣]

ومن مدن حضرموت التي أشتهر أهلها بالإصابة بالعين, مدينة (شبام)[٥٠٤] ولاغرو أن نجد بعض أبناء مدينة الشحر يتوجسون خيفة من أي زائر لمدينتهم إن علموا أنه شبامي خوفاً من إصابتهم بالعين نظراً لذلك الاعتقاد الذي تلاشى اليوم.

وفي مدينة الشحر العديد من الأسر الشبامية التي قدمت للاستقرار بها عبر فترات تاريخية مختلفة وغالبيتهم يعملون في مجال التجارة لدرجة أن أطلق الناس على السوق الرئيس في المدينة اسم (سوق شبام) وما زال لليوم يتعامل بهذا الاسم.

---

٥٠٠ الشترواغ: أو التشرواغ هو اللحظة التي تدفع المرء للكحة الشديدة سعياً إلى إبعاد شيئا ما سد قصبته الهوائية أثناء الأكل أو الشرب.

٥٠١ ذكر المؤرخ المسعودي, أبو الحسن علي, في كتابه أخبار الزمان ومن أباده الحدثان عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((أكثر الحيوان الداجن صفة الجن, وإن الكلاب من الجن, فإذا رأوكم تأكلون فألقوا إليهم من طعامكم, فإن لهم أنفسا. يعني يأخذون بالعين)). ص٣٧.

٥٠٢ انظر شرح هذا المثل عند بامطرف, معجم الأمثال ص٣٢٧.

٥٠٣ انظر ما كتبه برترام توماس عن التبخير لطرد العين والأرواح الشريرة لدى قبائل القرا, رحلات ومغامرات ص١٤٢.

٥٠٤ السقاف, إدام القوت ص٥١٨.

والخوف من العين وإصابة الأطفال بها, أشد ما تكون لدى (البدو/القرويين) لذلك يتخوفون من أدنى اهتمام يبديه الغريب لطفلهم. [٥٠٥]

وفي الطرفة الغريبة للمقريزي نجد رواية تفيد أن نساء بعض القبائل الحضرمية كما يدّعي ((إذا غضبت على أحد من قراباتها ولا تتصرف إلا في أقاربها فقط من دون الأجانب فأنها لا قدرة لها عليهم البتة وهي إنما تتخيل وتتوهم أنها تأكل كبده ففي الحال يسقط مريضاً ويموت من يومه وليلته, ومنهن من إذا غضبت على قرابة لها وكان عبل البدن تخيلت وتوهمت أنها تأكل كبشاً سميناً فإن كان قرابتها صغيراً تخيلت أنها تأكل جدياً ونحوه. ولابد لكل من عملت شيئاً من هذا أن تعمل فكرها حتى يقوى الوهم والخيال عندها حتى تصير كأنها تفعل ذلك حقيقة, وهذا الأكل مما يختص به نساؤهم من دون رجالهم)) [٥٠٦] .

طريقة التنقوض كعلاج الإصابة من العين:

ومن الطرق التي تستعمل لنقض العين (أي القضاء على أثرها السيء) وهي من الطرق الشائعة لدى النساء خاصة, فعندما تتعرض المرأة المرضعة بعد الحمل على سبيل المثال لورم ما في ثديها ولم يوجد له علاج. يظن الأهل أن إحدى النساء الزائرات للتهنئة أصابت هذه المرأة بالعين. وهنا تقوم الأسرة وربما بإيعاز من إحدى المشعوذات بطلب حضور كل النساء المهنئات اللواتي زرن هذه المرأة لأخذ منهن (التنقوض) أي تقديم بعض الخيوط أو قطع القماش من أعز ملابسهن وأثوابهن. وتجمع هذه الخيوط وقطع القماش وتحرق ويطلب من المرأة المصابة التبخر ببخور قطع الأقمشة هذه. اعتقاداً أن هذه الطريقة ستطفئ نار (العيانة) التي نظرت إلى ثدي المرأة وأصابتها. ((وإذا حدث أن رفضت إحدى النساء ذلك الطلب اتهموها بأنها هي المتسببة في ذلك الضرر. وحاولوا من دون أن تدري الحصول على تنقوض من ملابسها. وفوق هذا وذاك ابتعدوا عن مجالستها واحتموا منها واحترسوا)). [٥٠٧]

وبعض الأهالي إذا ما أصابت ابنهم علة ما يجهلون سببها. فيعتقدون أن سببها العين. وقد يفترضون أن أحد أصدقاء ابنهم أو زملائه أصابه بها. وحينها يطلب من جميع أصدقائه وزملائه أثناء قدومهم لزيارته والاطمئنان على صحته. أن يقوم كل واحد منهم أثناء انصرافه بالطهور على حوض ماء أعدّ لهذا الغرض خارج غرفة الزيارة.

---

[٥٠٥] أشار لهذا البكري, صلاح تاريخ حضرموت السياسي (١١٢/٢).

[٥٠٦] المقريزي, أحمد بن علي, الطرفة الغريبة من أخبار وادي حضرموت العجيبة, ص٢١.

[٥٠٧] بايمين, سعيد عوض, بحث: دراسات في الأساطير والحكايات الشعبية ص١٠٥.

ليغتسل بهذا الماء ابنهم المريض. اعتقاداً منهم أن بعملية الطهور هذه سيذهب أثر العين. وخاصة إذا كان (العيان الذي أصابه) واحداً منهم.

ومن الطرق الأخرى التي تبطل أثر عين العيان. أن يطلب من العيان أو المشتبه فيه الرمي بالعين, الاستلقاء أو التمدد في وضعية الميت حين يقبر. أي يمدد ويكون رأسه جهة الشمال بينما يقابل وجهه جهة القبلة. وتُصلى عليه صلاة الميت. ويكون هذا الفعل داخل المسجد. والناس تعتقد أن هذا الإجراء سيبطل مفعول العيان.

العين ودلالاتها في أحاديث الناس اليومية:

إن الحديث عن العين يقودنا إلى ما ارتبط بها من دلالات في الاصطلاحات الشعبية التي تأخذ في بعض الأحيان صيغًا مجازية. فيقال على سبيل المثال للشخص إذا نظر لشيء ما واستحسنه بأن (عينه فيه) أو أن (عينه طاقة فيه) وهذا يعني أنه استحسن الشيء ورغبه بشدة لنفسه. ما يعني أن هذا الشيء (إنسان, حيوان, جماد, مأكولات) سيصاب بالتلف أو المرض أو العطب أو الخلل إذا لم يقدم لهذا الناظر شيءٌ منه. وأحياناً قد تبعد العين عن مقصدها المؤثر فيقال مثلاً إن فلان (عينه به) أي إن الشخص يعتزم سرقة الشيء الفلاني او إتلافه.[٥٠٨] وقد يقال أيضاً في وصف الأشخاص بأن هذا فلان (عينه طويلة) أي أنه كثير النظر إلى النساء بشهوة ويقال كذلك عن المرأة. كما تقال على من لا يكتفي بما عنده ويتطلع إلى ما عند الاخرين. ويقال أيضاً (الدولة عينها طويلة) أي إنها تبيت النية للاستيلاء على أرض أو مال خاص لأحد رعاياها.[٥٠٩] كما يقال بالعامية (عيون في كور) كدلالة على الغباء والسذاجة. والكور هو الرأس وخاصة رأس الأهبل. وتطلق أيضاً على الشخص عديم التفكير أو قليل الفهم. وفي العامية قد يوصف بعض الأشخاص بالقول إنه (عين مفتحة) أي إنه يقظ ومنتبه لما يدور حوله من أمور. والعين المفتحة تطلق أيضاً على عاقل البلد الذي ترجع إليه الناس في الملمات.[٥١٠] كما يقال كذلك (الثوب الجديد في عين العدو مسمار).

---

[٥٠٨] انظر بامطرف, معجم الأمثال ص٥٣٠.

[٥٠٩] المرجع السابق, الصفحة نفسها.

[٥١٠] المرجع السابق ص٥٣٢.

التصورات الشعبية حول الجن والعفاريت

لعامة الناس تصوراتهم الخاصة حول هذه الكائنات الخفية (الجان والعفاريت) وعلاقتها ببني البشر, نابعة وفقاً ولثقافة كل واحد منهم ووفقاً لما تولد في ذاكرتهم من تصورات اكتسبوها من المجتمع خلال فترة تنشئتهم الاجتماعية الأولى. كما أن هناك تصورات عامة عن هذه العوالم كان للمخيال الشعبي دورٌ في تأصيلها وتثبيتها في الوجدان الجمعي. ولعبت دورها في تشكيل ذلك الوجدان وأخرجته من حيز عالمها اللامنظور إلى عالم الوجود الحقيقي المنظور.

إن تصورات العامة حول هذه الكائنات اللامنظورة بقدراتها وحكاياتهم معها, كما نرى حلت محل تلك الأساطير القديمة المرتبطة بالآلهة وقواها الخارقة التي تكاد تكون شبه غائبة في مجتمعنا. إذ استعاض الوعي الجمعي بهذه العوالم المعترف بها رسمياً (دينياً) بدلاً من تصوراته واعتقاداته الأولى في الآلهة وارتباطها بالحياة وبالإنسان. فتصوراتنا عن عالم الجن في مجتمعنا تكاد تتشابه مع تصورات البابليين حول الشياطين التي يطلقون عليها بـ(أوتوكو).[٥١١]

وسنحاول هنا استعراض بعض الاعتقادات والتصورات الشعبية الخاصة بعالم الجن وعلاقتهم بالبشر ليس وفقاً لما جاء به الدين أو ما تواتر عنهم من أخبار متنوعة وردت في الأدبيات العربية -وإن كنا بصورة أو بأخرى سنشير لبعضها هنا- وإنما وفقاً لما هو موجود في وعي الناس وتصوراتهم عن هذا العالم الغامض الخفي وما نسج حوله من حكايات وخرافات تجعل من الصعب جداً نكرانه أو التقليل من حضوره المجتمعي.

ولعل أهم ما يتردد عن حكايات الجن وقصصهم تلك الحكايات التي يدّعي فيها بعض الناس مشاهدة هذه العوالم اللامنظورة بالعين المجردة. أما على هيئتها الحقيقية أو على هيئة ما (كائنات وأشياء) تجسدت فيها. أو ادعاءهم أن لهم حكايات معها أو على الأقل كانوا يعرفون تماماً من هم أبطالها ورواة أخبارها. فضلاً عن ادعاءات آخرين امتلاكهم لهذه المخلوقات الخارقة وتسخيرهم لمنفعتهم ومصلحتهم الشخصية. ومنها حكايات تناقلت وتوارثت عبر السنين الطوال على هيئة طُرف ونوادر وأخبار عملت أدبيات الرواة والقصاص على تشكيل صورها وصقلها بمخيلة الناس بطرق احترافية عجيبة.

---

[٥١١] عن الأوتوكو **Outukku** انظر على سبيل المثال معجم الحضارات السامية ص١٤٦.

ويتوجب علينا هنا أن نضع في الحسبان ونحن نرصد ونوثق هذه التصورات الشعبية, أننا نتحدث عن تصورات واعتقادات قديمة جداً لم يعد للكثير منها اليوم وجود إلا في وعي ووجدان ثلة قليلة من الناس ممن ما زالوا متمسكين باعتقاداتهم وتصوراتهم القديمة المتوارثة وغالباً هم من كبار السن. والكثير من مثل هذه التصورات والاعتقادات اندرست وغابت لغياب مدعّيها والمؤمنين بها. وبالمقابل هنا بالمجتمع أعداد اخرى ما زالت لليوم تؤمن ببعض تلك التصورات وبما يروي عن الجن وعالمهم وقصصهم. ويكادون في هذا لا يميزون بوضوح بين ما هو حق أتى به الدين وما هو باطل سعى في رواجه وذيوعه تجار الشعوذة والخرافات.

كما أن بعض هذه التصورات والاعتقادات كتب لها الديمومة والصمود بسبب تداولها على ألسنة العامة على سبيل التندر والفكاهة بعد أن فقدت مضامينها الاعتقادية. وعلى كل الأحوال فهذا إرث جدير بالتسجيل والتوثيق وبالبحث والتنقيب فيه واستجلاء مضامينه ودلالاته. وهو الذي شجعنا هنا للإسراع في تدوينه قبيل اندثاره.

عالم الجن:

الجن كمخلوقات خفية تعد وفقاً للتصورات الشعبية وما تواتر عنها دينياً- كائنات خلقت من نار مثلما هم البشر- خلقوا من طين. وهم من نسل إبليس الرجيم وهو أبوهم مثلما هو آدم أبو البشر.

يطلق على الجن إجمالا في اللهجة المحلية بـ(السُكْن) بضم السين وسكون الكاف. وبعضهم ينطق هذه المفردة بتشديد السين وسكون الكاف. وهناك مصطلح آخر غير مشاع كثيراً وهو (السكوكن) ويقصد به أبناء الجن. و(السُكنية) هي أنثى الجن. وفي أمثالنا الشعبية يقال مجازا: (فلان جاب السُكْن والسكوكن) أي أنه أتى بأشخاص لا خير فيهم. [٥١٢] وثمة حشرة صغيرة سوداء اللون يطلق عليها محلياً بـ(حمار السُكْن).

هيئات الجن وأشكالهم:

على الرغم من أن الجن كائنات خفية غير منظورة. يذهب التصور السائد عنهم فيما يتعلق بهيئاتهم وأشكالهم إلى أنها كائنات غير محددة المعالم والملامح باستثناء طولهم وعرضهم الذي يتشابه مع طول وعرض الإنسان. وفي أحيان قد

---

[٥١٢] بامطرف, محمد عبدالقادر, معجم الأمثال والاصطلاحات العامية ص٥٠٢.

تتباين هذه الكائنات في الطول أو القصر مقارنة بالإنسان. وبالمقابل هي مخلوقات بشعة للغاية تشع من عينيها النيران, أنها شريرة, حاقدة, قاتلة, لا ترحم صغيرًا أو كبيرًا. لها قدرة كبيرة على التشكل بأي صورة من صور الموجودات الحية. وهي على الرغم من قدرتها على التشكل (التجسد المادي) يكون هذا التشكل غالباً في صورة امرأة مجهولة المعالم يغطيها السواد من كل جانب. فلا يكاد المرء يبصر منها شيئاً محددا بما فيها العيون أو الكف. وهي في هذا التصور لا تختلف عن الصورة التقليدية للمرأة الحضرمية أثناء خروجها للشارع مرتدية ما يسمى بـ(الشقة) [٥١٣] إذ يغطيها السواد من كل جانب. فلا يبين منها شيء.

إن تشبيه الجن بالمرأة موجود في التصورات الشعبية للعديد من شعوب العالم كما سنبينه. وبالنسبة للتصورات العربية عن الجن أكثر ما يشبه بالمرأة هو ما أطلق عليه بالغول والسعلاة. فالعرب ((.. إذا رأوا المرأة حديدة الطرف والذهن, سريعة الحركة, ممشوقة ممحصة قالوا سعلاة. قال الأعشى: ورجال قتلى بجبني أريك ونساء كأنهن السعالى)). [٥١٤] وتزعم العامة كذلك: ((أن الله تعالى قد منع الجن والشياطين والعمار والغيلان أن يتحولوا في أي صورة شاءوا إلا الغول تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها إلا رجليها. فلابد أن تكون رجلي حمار)).[٥١٥]

وفي معتقداتنا الشعبية أن الجن قد تتشكل على هيئة الأفاعي والحيات أو طائر البوم أو الغراب أو الخفاش أو على هيئة القطط أو الكلاب أو الذئاب أو الحمير وكل حيوان أسود اللون.[٥١٦]

والجن إذا تشكلت (تجسدت) في صورة كائن ما فإنها تكتسب كل صفات هذا الكائن. ويطرأ عليها كل الذي يطرأ على ذلك الكائن من حياة أو موت أو مرض أو ألم أو عذاب وفقاً وللقوانين العامة للطبيعة. ولتفادى إصابتها أو إنقاذ نفسها من الهلاك في حالة التجسد يتوجب على هذه الجنية التفوه بكلمات سحرية تعيد لها طبيعتها الحقيقية اللامنظورة وتعود إلى قوانين الجن الخاصة بهم.

---

[٥١٣] الشقة: غطاء أو عباءة طويلة سوداء اللون تلتحف بها المرأة الحضرمية أثناء خروجها من البيت, فلا يظهر منها شيء. وحديثاً حل بدلاً من الشقة الحجاب والخمار والبرقع والنقاب.

[٥١٤] الجاحظ, الحيوان (٦/ ١٥٨- ١٦٠-١٦١).

[٥١٥] موسوعة العرب عن الجاهلية ودلالاتها (٢/١٤-١٥)؛ الجاحظ, الحيوان, (٦/٢٢٠).

[٥١٦] لدى الغرب الأوربي اعتقاد بحيوانات خبيثة تنتمي إلى الشيطان ويتمثل بها وعددها سبعة وهي الذئب, الهر, البومة الصمعاء, الحية, الخفاش, السفنكس(كائن خرافي في الميثولوجيا الإغريقية له جسم أسد واجنحة, وله رأس امرأة وصدرها) والعلجوم: (ذكر الضفدع). معجم الخرافات والمعتقدات ص٨٨.

كما يتصور العامة أن الجن أثناء تشكلهم في أي كائن حي لا يظهر لصورهم أي ظل. كما لا تظهر صورهم في المرآة.

أما (العفاريت) كمخلوقات تنتمي إلى عالم الجن نفسه فتعد مخلوقات أكثر قوة وصلابة من الجن. وهي مخلوقات مذكرة. ويتصورهم الخيال الجمعي ككائنات ذات ملامح إنسانية إلا إنهم عمالقة ضخام الأجساد يبلغ طول الواحد منهم عنان السماء. وهم ذوو بشرة خضراء أو سوداء. وغالباً ما يكونون (ظرافًا).

والعفاريت غالباً تختص بحماية الكنوز وحماية القصور والحصون والقلاع. وسبق أن أشرنا إلى تصورات العامة حول عفاريت جبل ضبضب. وأنها من تتولى حماية الكنوز والآثار الموجودة في الجبل وسنأتي لها بالتفصيل في الفقرات اللاحقة.
ونحن في مثل هذه التصورات قد تتشابه أو تختلف تصوراتنا مع تصورات شعوب أخرى تعتقد في هذه المخلوقات. [٥١٧]

وأخبار العفاريت أو مشاهدة الإنس لهم على الصعيد المحلي (مجتمع الدراسة) قليلة مقارنة بأخبار ومشاهدات الجن. وإذا ما ادعى أحد مشاهدتهم (أي العفاريت) فعلى الأرجح لا يصدق أو قد ينظر لكلامه هذا كنوع من الدعابة من قبله على عكس قصص الجن وادعاء ملاقاتهن [٥١٨] فهذه تلقى استساغة وقبولا كلما كانت ممكنة وجائزة في نظرهم.

أما عن (المردة) كصنف أقوى من الجن والعفاريت فيكاد يكون تراثنا الشعبي خالياً من اي ذكر لهم. وكذلك فيما يتعلق بالسعالي والغيلان. وإن حل بدلاً منهما كائن آخر يطلق عليه محلياً بـ(الغاوي) الذي سنتطرق إليه في حينه.

واخبار العفاريت والجن انتقلت من المخيلة الشعبية الخاصة بتصورات الناس واعتقاداتهم فيها لتدخل مجال الأدب الشعبي كمواد حية تستخدم وتوظف لخدمة اغراض أدبية معينة. فضلاً عن استخدامها وفقاً لدلالات رمزية ما, لم يفصح عنها الأديب الشعبي مباشرة. وأكثر ما يتجلى هذا في مجال الشعر الشعبي والأمثال والحكايات الشعبية.

---

[٥١٧] جاء في كتاب المخلوقات الوهمية لبورخيس, إن العفاريت هم ((جن الأرض والجبال. تصورهم المخيلة الشعبية على أنهم أقزام ملتحون. ذوو ملامح غليظة ومضحكة. يرتدون أثواباً داكنة على مقاسهم..)) انظر المرجع المذكور ص١٠٠.

[٥١٨] لاحظ أننا استعملنا هنا صيغة المؤنث لأن التصور الشعبي حول الجن غالبا يكسبها هذه الصفة المؤنثة على عكس العفاريت فيحملون غالبا صفة المذكر.

أكل الجن:

يعتقد الناس بأن الجن تأكل ما يأكله الإنسان من طعام وأنها لتشاركه فيه إذا لم يسم اسم الله تعالى قبل بدء الأكل بالتلفظ بـ(البسملة). حيث يعتقد بأن الجن موجودون في كل مكان. وأنهم في المنازل وعلى أسقف غرف الطعام وأنهم دائماً منتظرون ومتأهبون قدوم الغذاء للمشاركة فيه. فما أن تجهز السفرة ويحضر الغذاء حتى يحضر جميع الجن الساكنين البيت للمشاركة. فإذا نطق أصحاب البيت بـ(البسملة) قبل الأكل (وهي من آداب الطعام في الإسلام) تطاير هؤلاء الجن جميعاً وابتعدوا إلى أماكنهم في سقف الغرفة أو خارجها. أما من لم ينطق بالبسملة من أصحاب البيت (لنسيان مثلا) فسيكون هو الوحيد الذي سيشاركه أولئك الجن وجبته.

ولكن, متى تذكر هذا الإنسان نسيانه للبسملة وقبيل الانتهاء من وجبته, يتوجب عليه الإسراع بنطقها. وفي هذا مدعاة لفرار الشيطان وتقيؤه لكل ما تناوله مسبقاً.

ووفقاً لهذا الاعتقاد نجد أن بعض الأطفال الصغار يتعمدون عدم التلفظ بالبسملة أثناء الغذاء بحجة رغبتهم في عمل (مقلب للشيطان) حيث يستمرون في الأكل إلى نهايته وقبيل نهوضهم من السفرة يقولون (بسم الله أوله وآخره) اعتقادا منهم أن الشيطان في هذه اللحظة سيصيبه الغثيان ويتقيأ كل ما تناوله من طعام هذا الطفل. وغالباً ينسى هؤلاء المساكين البسملة بعد إنهاء طعامهم!.

كما يعتقد أن الجن تعاف وتكره الثوم لذلك يقال في الأمثال الشعبية (غاب الجني يوم ظهر الثوم).[٥١٩] كما يقال كذلك (بهار الجني تمرة) اعتقاداً أن مقدارًا ضئيلًا جداً من الطعام كافٍ لإطعام العشرات من الجن. لذلك اعتاد الملاحون في البحار ممارسة ما يسمى بتقليد السلامة أو الفولة [٥٢٠] عن طريق صنع قارب صغير من الخشب لا يتجاوز المتر الواحد ووضع فيه مقادير ضئيلة مما تحمله السفينة من حبوب أو تمر..إلخ ثم يضع القارب على الماء. اعتقاداً بأن في هذا السلوك مرضاة للمارد البحري أو آلهة البحر أو الجن والعفاريت وغيرها من قوى وفقاً لاعتقادات المؤمنين بأي منها.

كما أن القليل الساقط على الأرض من فتات الطعام يعتقد أنه أصبح من حق الجن والشياطين فلا يتوجب على المرء التقاطه وأكله.

---

[٥١٩] في الثقافة الشعبية لبعض الشعوب الأوربية أن مهد الطفل إذا طوق بالثوم أبعد عنه الأرواح الشريرة والحيات. معجم الخرافات ص٥٥.

[٥٢٠] تكلمنا في فقرات من كتابنا هذا بتفصيل أكثر عن تقليد الفولة. انظره.

مواضع سكن الجن:

في تصورات الناس أن الجن يقيمون في كل الأماكن الموجودة في هذا العالم باستثناء الأماكن المقدسة (إسلاميا) كالجوامع والمساجد. حيث لا يجرؤ أحد من الجن والعفاريت على دخولها الا إذا كانوا من طائفة الجن المؤمن (الصالحين) إلا أن وجود هؤلاء الصالحين في هذه الأماكن المقدسة نادر.

وأكثر الأماكن سكناً للجن هي الخرائب والأماكن المهجورة والأودية والجبال والكهوف. فضلاً عن القلاع والحصون المهجورة وعامة بيوت الناس. وثمة بيوت محددة داخل المدينة اشتهرت بالجن أي (بيوت مسكونة). إلى جانب سكناهم في الحصون والقصور القديمة عامة بوصفها خرائب. لذلك فإن الجميع يخاف من الاقتراب من هذه الاماكن.

١) ـ الجن سكان البيوت

هناك العديد من التصورات التي تدور حول الجن سكان البيوت, أو كما يطلق عليهم بـ(العمار) وهي اعتقادات ما زالت لليوم منتشرة على الصعيد الشعبي التي تؤكد بأن داخل البيوت جنًا متربصين بأصحابها يسعون للفتك بهم في أقرب فرصة أو مناسبة. وأن لا خلاص منهم إلا بتلاوة القرآن الكريم الذي يجبرهم على مغادرة المنزل. ولكن ليس بصورة نهائية فسرعان ما يعودون عند انقطاع الذكر وقراءة القرآن. وفي تصور العامة أن من يبقَ من الجن داخل البيت بعد القراءة يعد من الجن الصالح الذي لا يضره سماع القرآن الكريم. وهؤلاء يطلق عليهم بالبركين او الصالحين. وسنأتي لتفصيلهم لاحقاً.

وأكثر الأماكن في البيوت تسكنها الجن وفقاً للتصورات الشعبي هي الحمامات لذلك ينهى الأهل أبناءهم عن المكوث فترة طويلة في الحمام أو التحدث والغناء داخله. كما ينهونهم عن رمي الماء الساخن فيه حتى لا يصاب به أحد من الجن فينتقم منهم. وكثير من حالات الصرع التي تصيب الناس يُعزَى أمرها لرمي ماء ساخن داخل الحمام على أحد هؤلاء الجن ما يستدعي انتقامه. كما يوجدون في السراديب والمخازن داخل البيوت وفي كل موضع مظلم.

ووجودهم أيضاً وبكثرة في الخرائب والبيوت المهجورة أو تلك البيوت محدودة الحركة والسكان.

كما يلاحظ أن العديد من الأطفال والنساء وبعض الرجال من ضعاف النفوس يخافون أو يخشون من الوحدة حتى في بيوتهم. ويزداد خوفهم هذا كلما كان البيت قديماً كأن يكون (مبنى طينيًا ذا طوابق متعددة مع غرف كثيرة, ودهاليز وممرات. إضافة لقلة التهوية والإضاءة).

كما يزعم بعضهم وجود بيوت محددة ومعروفة لدى العامة, توصف بأنها بيوت مسكونة بالجن والشياطين. ففي كل مساء كما يدّعون يسمع جيران هذه البيوت أو من حلّ فيها من الساكنين الجدد أصواتًا مزعجة أو أصواتًا لدحقات (وقع أقدام) في الطوابق العلوية للبيت المسكون أو بالغرف المجاورة أو سماعهم لحنفيات الماء وهي تفتح تلقائياً ويسكب منها الماء وأثناء ذهابهم لمعاينة ذلك لا يجدون أي آثر لفتح الماء. أو يدعون سماعهم لأواني المطبخ تحدث أصواتاً وكأن أحدًا ما يحركها أو يقوم بطبخ شيء ما. طبعاً كل هذا من دون وجود أي أثر يشير إلى هوية المتسببين في ذلك. فضلا عن رؤيتهم لخيالات أشخاص تمر أمامهم في لمح البصر وبصورة مفاجئة.

وثمة روايات تزعم أن بعض الأسر ممن سكن في مثل هذه البيوت المشبوهة استيقظوا في صباح يومهم التالي فإذا هم مرميون مع فرشهم وأثاثهم خارج المنزل. من دون أن يعلموا ماذا حدث لهم.

والحقيقة أنه على الرغم من كثرة الروايات التي تدور في فلك هذه الأخبار لا يوجد ما يؤكدها على الإطلاق. فإذا سألنا من يروج لمثل هذه الأخبار ليدلنا على الأقل لذلك البيت المسكون أو اسم العائلة التي وقعت لها تلك الأحداث. تكون إجابة الغالبية: لا نعلم تماماً وإنما سمعنا الآخرين يقولون ذلك وهم ثقة في نظرنا. وأحيانا توصف بيوت مهجورة أو أخرى سافر أصحابها وظلت مغلقة.

وقديماً كان يتوجب على المرأة التي ولدت مولوداً, أن تحمل شريماً (منجلاً) خلف ظهرها لمدة أربعين يوماً كلما أرادت الدخول للحمام تخوفاً من الجن والشياطين. وهذا جاء عن اعتقاد ساد أن المرأة وطوال فترة ما بعد الولادة تكون نجسة [٥٢١] Defilement أي مؤهلة لأن تصيبها الشياطين. وأن نجاستها هذه لن تزول إلا بعد مضي أربعين يوماً من وضع حملها. حيث تتطهر بعد هذه الفترة بالاغتسال وتكون حينها في شبه منعة من الشياطين.

[٥٢١] نجسة بمعنى ملوثة والتلويث كما يعرفه الأنثروبولوجييون حالة عدم نظافة تحدث نتيجة للاتصال بميت أو بعد ولادة مولود أو إبان الإصابة بمرض أو بعد الحيض أو نزف الدم. والتلويث حالة وسط بين النجاسة الروحية والنجاسة البدنية. انظر قاموس الأنثروبولوجيا ص٢٤٦.

وهذا الأسلوب ما زال متبعاً لليوم في بعض أرياف مدينة الشحر. كما يقوم بعضهم بنثر أرضية بيوتهم من الخارج بالرماد في بعض أيام السنة وللسبب نفسه أي الوقاية. يقول الشاعر الشعبي باسويد في إحدى مساجلاته الشعرية:

التيس تحت الشاة ركبته ولكن مارضع
في الدار (سكنية) بظني الدار ذي ياخس دار.

٢) - جن الحصون:

ثمة اعتقادات كبيرة في أن الجن تسكن الحصون والقلاع والأكوات [٥٢٢] المنتشرة في المدينة وخارجها، خاصة أن هذه المواضع أضحت في فترة من الفترات مواضع مهجورة لا يجرؤ أحد على ارتيادها بعد ان تهدمت معظمها وتحولت لخرائب وأطلال. ويمكن أن نشير هنا إلى بعض مواضع محددة داخل المدينة شاع بين العامة بأنها (مسكونة) أي إنها أصبحت مأوى ومسكنًا للجان منها حصن بن عياش، دار ناصر، النوبتان [٥٢٣]. فضلًا عن تلك الأكوات المهجورة داخل المدينة أو خارجها. ولعل أكثر الحصون شهرة واقترانًا بالجن خارج مدينة الشحر هو حصن حلفا.

ففي تصورات بعض العامة وجود عفريت أطلق عليه (أبو السلاسل) وهو يماثل بالاسم جنية تدعى (أم السلاسل) سناتي لها لاحقًا. وكثيرًا ما يدّعي العوام رؤيتهم لهذا العفريت في المنطقة بين حصني دار ناصر وبن عياش. والمسافة بين الحصنين لا تتجاوز المائة متر.

ويوصف هذا العفريت بأنه عظيم الهيئة، ضخم الجثة، يجر خلفه سلاسل تسمع حركتها من مسافات بعيدة. وبهذه السلاسل التي يجرجرها خلفه يضرب ضحاياه ولا يسلم من آذيته أحد إذا صادفه في إحدى الليالي. وقد سبق أن أوردنا بيت شعر للشاعر الشعبي باحريز يقول فيه:

والسحر لي مدفون في المطبخ كشفه المغربي
وخرج العفريت بسلاسله من عقبة رحاب.

---

[٥٢٢] الأكوات: جمع كوت، قلاع صغيرة كانت تتوزع على أرجاء سور المدينة، تستعمل للحراسة.

[٥٢٣] النوبتان: برجان للمراقبة والحراسة يمتدان بلسانين طويلين إلى داخل البحر أحدهما كان على الطرف الجنوبي الشرقي من سور المدينة والآخر على الطرف الجنوبي الغربي.

وفي بيت آخر له يقول باحريز:

سكن في الحصن ما واحد في السكن إنسي
ربي يا رب تفرفرهم من الحصن فرفار.

حصن حلفا (حلفة) والجان:

أما الحصون المشهورة بالجان خارج المدينة فكما أشرت إليه (حصن حلفا).[٥٢٤] وثمة العديد من الاعتقادات التي دارت حول هذا الحصن الذي يعج بالجن والشياطين. كما دارت حوله العديد من القصص والحكايات المروية.[٥٢٥] ولم يغفل أمره كذلك الشعر الشعبي كما سنبينه.

ولا ندري هنا سبب تسمية هذا الحصن بهذا الأسم وإن كنّا نرجح وجود ارتباط ما بين هذا الحصن وقبيلة (حلفة) وهي إحدى فروع قبيلة الحموم. [٥٢٦] ولعل هذا الفرع (حلفة) سكن في هذه المنطقة قبيل هجرته (الجماعية) لبلاد الشام ومصر إبان الفتوحات الإسلامية. صحيح قد لا يوجد حاليًا في تلك المنطقة المحددة فرع ما من قبيلة الحموم أو من غيرها ينتسب لحلفة. إلا أن هذا الموضع بل والمنطقة كلها برمتها تعج بقبائل الحموم وفروعها وتعد من مثاويهم الرئيسة.

---

٥٢٤ حلفة أو حلفا، حصن يقع على مقربة من طريق القوافل وتحديداً مابين منطقة الجرادف وعرف. (رواية الباحث عبد الرحمن الملاحي). وجاء في كتاب العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، للمؤرخ عبد الله بن أحمد باسنجلة (ت: ٩٨٦هـ) أن السلطان بدر بن عبد الله الكثيري (أبو طويرق) بنى سنة ٩٤٤هـ حصناً قبلي الجرادف في منطقة (خلفة) بالخاء، هكذا وردت ولعل هناك تصحيفًا ما في الاسم ولعله موضع آخر غير المقصود به هنا. ويقول عن هذا الحصن إنه خرب بعد أشهر من بنائه. لأنه كما اشار (عدم) لا ينفع ولا يضر. المرجع المذكور ص٥٩. وفي معجم البلدان والقبائل اليمينة للمقحفي ذكر حَلْفة بفتح فسكون وأشار إلى أنه اسم لجبل غرب مدينة المكلا، يلي جبل حويرة. وحلفة أيضًا من قرى محافظة ذمار اليمينة، يسكنها آل الحمري. انظر (٤٩٢/١) وحلفة أيضًا قبيلة حمومية حضرمية هاجرت في التاريخ.

٥٢٥ في الجزء الخاص بالحكايات الشعبية أوردنا بعض القصص الشعبية التي تذكر حصن حلفة وعلاقته بالجن منها قصة مول الفقرة، الكهس.

٥٢٦ جاء في كتاب الجامع للمؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف: ((حلفة: فرع من الحموم ، من حضرموت القبيلة، شهدوا فتح الشام ومصر. منازلهم عسقلان بفلسطين والفرماء بشبه جزيرة سيناء من مصر)) ص١٨٢ . وبالسودان إقليم كبير حمل اسم حلفا.

كما أشرت دخل حصن حلفه وجنه في قصائد ومساجلات العديد من الشعراء الشعبيين الحضارمة، ففي قصيدة للشاعر الشعبي (أبو سراجين) [٥٢٧] كمثال يقول في مطلعها:

يا بن الخامر تفضل لقها جوده وغـني
خلنا بارد عوده عاصواتك والتلاحــين.

إلى أن قال:

يا بن الخامر صبر ساعة وخذ لك ألف مني
خلنا عا جان حلفا باقرأ تبارك وياســين
المغاني رأس مـــالي والمداره هي مكـني
لا سمعت الدان نسري بات دحق عالشياطين.

وهذا الشاعر الشعبي عبد الله محسن الوحيري (ت: ٢٠٠٣م) يقول في قصيدة له:

دارت عليك الدواير   يا حصن حلفة سواسك مدر [٥٢٨]
ماشي حصى من جبل   لي تعز القواسم تحتك الودف معكون.

أما الشاعر الشعبي قشمر فيقول في إحدى مساجلاته الشعرية [٥٢٩]:

ملكنا حصن حلفة هو ويا الجان   ملكته بالقواسة والصـــلابة
ملكته ياحمد في شرب فنـــجان   ولا خليت خشبة من خشـــابه
عسى شي فائدة من زبدة الضان   عسى تلقي مطر تلك السحابة.

جن الشوارع:

ومن التصورات التي كانت شائعة في المدينة أن الجن تجوب الشوارع والطرقات والأزقة وأن ظهورها يكثر خاصة في أوقات المساء حيث الطرق مظلمة في عصر ماقبل الكهرباء. وبعض أولئك الجان كما يتصوره العقل الشعبي،

---

[٥٢٧] أبوسراجين، لقب للشاعر الشعبي محمد أحمد بن هاوي باوزير. انظر ترجمته حداد، معجم شعراء العامية الحضارمة ص٣٠١.

[٥٢٨] سواسك: أي أساسات الحصن. المدر: اللبن الطينية.

[٥٢٩] مدينة العرفان، ص٧٢. بن شيخان، قطوف حضرمية ص٧٩.

لامرئيون. بينما بعضهم الآخر يتجسد في هيئة إنسان أو حيوان لا ينتبه إليه أحد لعدم وجود مايدلل على هويته.

وبناء عليه فالناس تحذر أثناء سيرها في الظلام من الاصطدام بالآخرين خوفًا من أن يكون هذا جنيًا. كما يتجنبون أي إساءة لحيوان وجد على الطريق خوفًا من أن يكون جنيًا. كما أن الآباء ينهون أبناءهم عن اللعب في الشوارع بعد المغرب وإنما يحثونهم إما للذهاب إلى المسجد لتلقي علوم الدين أو العودة إلى البيت. كما يسارع العامة أيضًا إلى إعادة مواشيهم لحظائرها وزرائبها بعد نفشها (إطلاقها) منذ الصباح الباكر لتقتات على ما تصادفه من بقايا وذلك خوفًا من سرقتها أو خطفها من الجن.

جن الأسواق:

ومن الاعتقادات الأخرى التي سادت وجود جن في الأسواق متجسدين على هيئة بشر، يبيعون ويشترون،من دون أن يميزهم أو ينتبه لهويتهم أحد. فلا شيء فيهم مميز عن سائر البشر مرتادي الأسواق إن كانوا رجالًا أو نساء. ولعل التي سنوردها لاحقا (الجنية الشحاتة) خير مثال لهذا.

وهذا الصنف من الجن وفقًا للتصور الشعبي عنهم: أن الشيء الوحيد الذي يميزهم عن بني البشر هو نون اعينهم (القزحية) التي تتخذ شكلًا مستطيلًا وبوضعية عمودية وليس دائريًا وسط حدقة العين كسائر البشر.

إن اختلاف عيون الجان عن عيون بني الإنسان اعتقاد قديم وخاصة في صنف من الجن وهو الذي أطلق عليه بالغول. فقد ذكر الجاحظ على سبيل المثال في كتابه الحيوان ان الغول: ((عيناها مشقوقتان بالطول لا بالعرض. أما رجلاها فرجلا حمار)) [٥٣٠].

وأذكر حينما كنّا صغارًا أننا نخرج إلى الأسواق ليس لشيء وإنما رغبة منّا جميعًا في أن نكتشف واحدًا من هؤلاء الجان ذوي العيون المستطيلة النون. فيضيع وقتنا ونحن نتفحص عيون المارة من دون أن نجد لهم أي أثر.

التصرف عند رؤية الجن:

ضمن تصورات العوام عن الجن إنه وفي حالة مصادفة أحد من هؤلاء الجن على الطريق عليه أن يسرع بغرز سكينة في الأرض ويظل قابضًا بمقبضها وبصره

---

[٥٣٠] الجاحظ، الحيوان (٦/٢١٤).

متوجه للجني، وهذا السلوك كما يعتقد كفيل بإبعاد الجني. ووفقًا للتصورات الشعبية فأن الجن يسكنون باطن الأرض وإن هذا الفعل بمثابة تحد للجن.

وأيضًا من ضمن التصورات الشعبية أنه وفي حالة مصادفة أي من الجن على قارعة الطريق وليس مع المرء خنجر أو قضيب حديدي يغرزه في الأرض لإبعاد الجني. في هذه الحالة عليه أن يدير للجني ظهره ويأخذ وضعية السجود ويفتح للجني يعابه (اليعاب في اللهجة، الإليتين). وهذا السلوك كما يعتقد كفيل أيضًا بصرف الجني وإبعاده.

إن مثل هذا السلوك الأخير المضحك يتشابه مع مايمارسه بعض سكان ظفار، فقد أشار إليه الباحث علي الشحري بالقول: ((إذا رأيت عفريته فعليك بأن تعري مؤخرتك أي الدبر باتجاه العفريتة فسوف تهرب ولن تضرك. وتقول (باللغة الشحرية): (داعيفك بيش) أي هاهي عورتي أعريها ناحيتك)).[٥٣١]

حذف الجن:

ومن الروايات المتداولة التي يعزوها الكثير للجن. أن يقوم بعض من هؤلاء الجن الساكنين بالخرائب والبيوت المهجورة داخل المدينة. برمي الماره بالحجارة [٥٣٢] أثناء مرورهم ليلًا بالقرب من هذه الأماكن أو عند جلوس بعضهم في بعض لياليهم للمسامرة فيما بينهم على مقربة من تلك البيوت والخرائب.

حيث (يشعر) الجميع بوقع الأحجار وهي تنهال عليهم من تلك الاماكن من دون أن تشاهد أو تعرف هوية الجاني ولا تتوقف عملية الحذف العشوائية إلا بعد ان يبتعد المتسامرون عن هذه المواضع. [٥٣٣]

ومسامرة الناس لبعضهم وجلوسهم على الطرقات في فترات المساء كانت شائعة في السابق خاصة قبل أن تظهر الوسائل الخدمية والترفيهيه من كهرباء وتلفاز وغيرها من وسائل.

ووفقًا لتلك الروايات. فإن تلك الأحجار الصغيرة على الرغم من أن الرمي بها غالبًا يحدث بصورة عشوائية وباتجاه مباشر على المآرين أو الجالسين. لا تصيب أحدًا

---

[٥٣١] الشحري، لغة عاد، ص١٤٥.

[٥٣٢] تسمى طريقة الرمي هذه باللهجة المحلية حدف.

[٥٣٣] مثل روايات رمي الناس بالحجارة من دون أن يشاهدوا فاعلها رواها المؤرخ حمزة لقمان،عن حادثة وقعت لأهالي الشيخ عثمان بعدن. انظر أساطير من تاريخ اليمن ص٨٨.

منهم على الإطلاق. وإنما تعمل على إنذارهم وتخويفهم فقط لمغادرة المكان. فهي بمثابة إشارة إنذار للمغادرة، وهكذا يفهمها العوام.

ويزعم الكثير أن الأحجار وبعد رميها تسقط بالقرب من الجالسين الذين يحسون ويسمعون وقعها وهي ترتطم بالأرض. إلا إنها تختفي في الحال فلا يرى لها أثر. وهي من الدواعي التي تؤكد أن من يقيم بعملية الحذف (رمي الحجارة) كائنات غير عادية (الجن) وليس أحدًا من البشر.

وأحيانا قد يصر بعض الجالسين على عدم المغادرة والإلحاح في كشف هوية من يقف وراء هذه الفعلة. وهذا يعني مزيدًا من الحجارة المنهمرة من كل حدب وصوب ترغم الجميع على المغادرة والفرار. ولم يجرؤ أحد في تلك اللحظات على الذهاب إلى تلك الخرائب والبيوت المهجورة وتفتيشها للتأكد من مصدر الحذف والرمي. إذ إن مثل هذا الفعل والإقدام يعني بنظر العامة الانتحار بعينه واحتمالية إصابتهم بـ(اللفخ أو اللفخة).[٥٣٤]

وثمة مزاعم تفيد بإقدام بعض الناس على القيام بمغامرة استكشافية واقتحام الخرائب للتأكد من مصدر الحدف. إلا أن الجميع يؤكد وفقًا للروايات انعدام أي أثر يشير إلى أن الفاعل كان انسيًا. وبالتالي فما من مبرر لهم غير انه من فعل الجان.

وهناك مصطلح شعبي متداول يؤخذ كمثل وهو قول العامة (حدف ليل) وقد عرفه المؤرخ محمد بامطرف بأن هذا يقال عن التهمة التي تلتصق بشخص بريء من دون أن يعرف المتسبب فيها. [٥٣٥]

السكن والسكون:

لفظة السُكن في اللهجة المحلية ترادف تمامًا كما أشرت في فقرات سابقة للفظة الجن. وهذه اللفظة (السكن) قد تكون قديمة توارثناها بهذا المعنى. وقد تكون مشتقة من لفظة (السَكَن) بالفتح التي تعني النزول أو الإقامة أو الحِل وهي من سكن البيوت بمعنى حل فيها. والجن ينزلون ويقيمون في البيوت. أو لعلها جاءت من قبيل التفاؤل لدرء شر الجن ذلك أن من معاني السَكَن أيضًا: ((كل مايستأنس به، الرحمة، البركة)) [٥٣٦].

---

٥٣٤ انظر عنها بالتفصيل في الفقرات اللاحقة من هذا الكتاب.

٥٣٥ معجم الامثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت ص٤٧٣.

٥٣٦ المنجد في اللغة والأعلام، مرجع سابق ص٣٤٢.

كما أن السكن أو السكون أحد البطون الكندية التي سكنت المنطقة ودخلت في صراعات وحروب مع القبائل والعشائر الأخرى. فلعل اللفظة (السكن) قديمًا استعملت مجازًا لتخويف الأطفال من تلك القبائل البدوية لإغاراتها على المدن والقرى [٥٣٧] لتحل هذه اللفظة (السُكن) في النهاية محل لفظة الجن كجنس باعث على الرهبة والخوف.

فكلتا اللفظتين تبعث على الرهبة والخوف. ويقال على من تلبسه جني وحل فيه (سُكّني) مجازًا. كناية على أنه أصبح مثل السكن (الجن). وقد يكون إطلاق تلك اللفظة على الجن جاء لاعتقاد بعضهم بمشاركتهم لنا في سكننا (بيوتنا) وإن كانت اللفظة الغالبة للجن المشاركين لنا في السكن هي (العمار).

حق السُكْن:

إن هذه المشاركة في السَكن (الإقامة) انعكست على كثير من الأشياء وأصبح للسُكّن (الجن) حق في هذه المشاركة وخاصة فيما يقع من على يد الإنسان من طعام أو من بعض الأشياء الرخيصة. فبدلًا من التقاطها يتذرع هذا الشخص بأنها لم تعد ملكه فيقول إنها (حق السّكُن) ويتجاوزها. كما قد تصدر من الآخرين وبصورة عفوية. فإذا ماهم شخص ما، وحاليًا (طفل ما) لالتقاط كسرة خبز أو شوكولاتة وقعت من يده على الأرض يسارع من هم بجانبه لتنبيهه قائلًا: (دعها إنها من حق السُكُن). بمعنى اتركها فلم يعد لك حق فيها وإنما هي الآن حق من حقوق الجن. وإنه في حالة التقاطها فهذا يعني اعتداء على حق من حقوق الغير وفيه مدعاة للانتقام.

إن مثل هذا التصور في النهي عن تناول الطعام الساقط في التراب، فيه دلالة تربوية إذ إن الطعام الذي يلامس الطين يعد في العادة ملوثًا. أما الأشياء الغالية والثمينة التي تسقط. فلا يقال عنها: إنها من حق السُكُن.

فالجن في نظر العامة لهم حقوق على الإنس، من هذه الحقوق أيضًا الإنعام بالهدوء والراحة داخل المنزل. لذلك نجد أن بعض الآباء ينهون أطفالهم الصغار داخل البيت عن إصدار الضجيج أوالقفز والجري أثناء لعبهم. اعتقادًا منهم أن هذا سيغضب الجن القريبين. ما يجعلهم يرتكبون أفعالًا انتقامية بحق ساكني المنزل. [٥٣٨]

---

[٥٣٧] ان تخويف الأمهات أطفالهم بذكر أسماء قبائل محددة أو أشخاص محددين اشتهروا بالبطش والرعب ليست مقتصرة على السكون وحدهم فقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن السقاف على سبيل المثال قبائل أخرى كانت الأمهات تخوف أطفالها بذكر اسمائها. إدام القوت ص١٠٣٧.

[٥٣٨] مثل هذا الاعتقاد موجود لدى قبائل الشحري بظفار، انظر لغة عاد ص٣١٠.

ياسّكُن لعبوا به وردوه:

ثمة أفعال كان الأطفال (من الجنسين) يمارسونها. قد تكون بدافع اللعب والتسلية وقد تكون ناجمة عن ضرورة. فقد تسقط على أحدهم عملة نقدية أو بزغة أو قرط للأذن إن كانت فتاة ويختفي هذا الساقط وسط التراب ويتعذر العثور عليه. هنا يقوم هذا الطفل/الطفلة بتجميع التراب المحيط بالموضع الذي يظن وقوع الساقط فيه ويعمل من هذا الطين المجمّع (كوم صغير) [٥٣٩] بدائرة نصف قطرها نحو ٥٠ سم. وقد يساعد الطفل في هذا العمل بعض أقرانه. ثم يقوم الطفل/الطفلة بغرس عود صغير طوله نحو ١٠ سم على أعلى قمة ذلك التراب المتكوم فوق بعضه. بينما يحضر الآخرون أعوادًا أخرى صغيرة. ويبدأ الجميع بفرك الطين وتقليبه بالعود قليلًا قليلًا من الأسفل وإبعاده عن الكتلة المجمعة. مع حرص الجميع على عدم سقوط العود الموجود في أعلى قمة (الكومة). يفعلون ذلك وهم يتفحصون التراب المزال وفي الوقت نفسه يرددون قائلين:

ياسُكن لعبوا به وردوه........ ياسُكن لعبوا به وردوه.
ياسكن شلوه ورجعوه....... ياسكن شلوه ورجعوه.

وتدريجيًا تلك الكومة والتراب المجمع يتناقص. أما الطفل وأقرانه فيستمرون في هذا العمل من دون كلل أو ملل ومن دون التوقف عن ترديد تلك الأهزوجة إلى أن يجد أحدهم تلك الحاجة المفقودة.

ويعتقد الأطفال أن من عمل منهم هذا الفعل وردد تلك الأهزوجة القصيرة فهذا كفيل بأن يجعل الجن يعيدون إليهم ما فقدوه. فهم هنا يناشدون الجن مباشرة بأن عليهم اللعب بعملتهم النقدية أو القرط الضائع لفترة قصيرة ومن ثم إعادتها إليهم.

والاعتقاد في أن الجن تستولى على مايخص الإنس وتعيده يمكن أن نجد صورة له في بيت شعري للشاعر الشعبي سعيد باحريز يقول فيه:

ذا فصل والثاني التي سرحت من المبرك ضوت
يا السكن شلوها إذا ماهي علامة بايــــــــــزيد.

---

[٥٣٩] الكوم والجمع أكوام يطلق في الأساس على الكثبان الرملية التي تتجمع فوق بعضها بفعل الريح في ارتفاعات قد تصل لعدة أمتار. وتتخذ أشكالًا متموجة. والكوم أيضًا يطلق على التراب المجمع فوق بعضه حتى وإن كان قليلا.

و(سرحت) هنا بمعنى ذهبت. والسروح غالبًا يكون في الصباح الباكر. (المبرك) أي مبرك الإبل وهو الموضع الذي تبيت فيه الإبل. (ضوت) أي عادت مساء. وهو يخاطب الجن بإعادة أخذها إذا لم تكن ناقتة الحقيقية المعلومة. ولايخلو البيت كاملًا من رمزية.

إن مثل ذلك الفعل الذي مارسه الأطفال بالمدينة نجد ثمة فعلًا آخر مشابهًا له وجد في التصورات الشعبية لبعض شعوب أوربا إلا إن من يمارسه ويعتقد فيه هم كبار السن وليس الأطفال. فعند فقدان أحدهم شيئًا غاليًا من دون أن يعلم أين هو وأراد العثور عليه. يتوجب عليه أولًا ان يلجأ بالدعاء إلى القديس (أنطون) (قديس مدينة باتو بإيطاليا). فإذا لم يجد بذلك الدعاء نفعًا. يتوجب عليه حينها أن يعقد منديلًا ويغرز دبوسًا في أسفله وهو يتمتم: (أيها الشيطان، تسل، ثم أعده لي) [٥٤٠]. أي العب به ثم اعده. وهي لا تختلف كثيرا (معنى ومضمونًا) عما يردده اطفالنا: يا سكن لعبوا به وردوه.

تلبس الجن للإنس والزواج بينهم:

إن للجن عامة وفقًا للتصورات الشعبية القدرة على الدخول في جسد الإنسان والتحكم به وتسييره وفقًا لرغبة وإرادة هذا الجني أو ذاك. وفي هذه الحالة يطلق على الشخص الذي دخله وتلبسه الجن بأنه (مسكون) ولعل هذه اللفظة اشتقت من السَكْن أي إن الجن سكنت الجسد وحلت فيه. أو من السُكْن، والسُكْن في اللهجة المحلية كما أشرنا تعنى الجن. أو قد يطلق على من أصيب بهذه الحالة بـ(المتلبس) إي إن الجن ألتبس فيه وحلّ داخله. وبعضهم يطلق على هذه الحالة بـ(الممسوس) أي أن مسًا من الجن أصابه. وهذه التسميات وإن تنوعت، إلا أنها ذات دلالة متشابهة وهي الحالة نفسها التي أطلقنا عليها في كتاب سابق لنا بـ(الإنسجنّي) [٥٤١].

وعملية سكن الجني بجسد الإنسي غالبًا مايسبقها اعتداء (بقصد أو بدونه) من هذا الإنسي للجني (المختفي في مكان ما أو متشكل بهيئة حيوان). أو تكون ناتجة عن عشق وخاصة عشق الجن للإنس وليس العكس. كما أن عملية سكن الجني لجسد

---

[٥٤٠] معجم الخرافات والتصورات الشعبية في أوربا ص١٦٧.

[٥٤١] لمؤلف هذه السطور كتاب آخر (مخطوط) بعنوان (منطق السحر وتاريخه). وفيه استعمل لفظة (الإنسجني) بتشديد النون الأخيرة للدلالة على الشخص الذي يتلبسه الجن ويحلوا فيه. وقد آثرنا استعمالها هنا بالدلالة نفسها.

الإنسان قد تضم أعدادًا كبيرة منهم تصل للعشرات أو المئات التي تسكن في الجسد الواحد.

وهناك من يعتقد أن ثمرة عشق الجن للإنس وتزاوجهم ببعض من شأنه أن يولد أطفالًا. [٥٤٢] وثمة أحداث لأناس عايشناها ونعرف أصحابها تمامًا يدّعي فيها أهاليهم أن جنية ما عشقتهم وتزوجتهم. حيث يدّعون سماعهم المتكرر لأحاديثهم معًا وصياح أطفالهم وذلك حينما يختلي ابنهم هذا (المسكون أو الإنسجني) بزوجته (الجنية). وهم يتعاملون مع هذه الحالة كأنها أمر واقع.

أما بالنسبة لعشق الجني للإنسية فلم نسمع به في مجتمعنا إلا نادرًا جدا مقارنة بعشق الجنية للرجل. كما لم نسمع مطلقًا عن حمل أو إنجاب أطفال نتج من تزاوج جني بإنسية. [٥٤٣] ولعل ما ارتبط بأذهان الناس من مفاهيم العار والشرف جعلتهم لا يستسيغون ذلك أو يرضون به حتى ولو كان الفاعل جنيًا لا يرى. حيث لا حول لهن ولا قوة على صده. بينما يجوّز هذا مع الرجال.

أن فكرة إرتباط الإنس بالجن عن طريق الزواج أو بمعنى ادق (التزاوج)، فكرة خرافية قديمة ماكنة بعقلية العربي ويتناقلها الرواة المحدثون. فعلى سبيل المثال ذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) عدد من الأخبار التي تحكى عن زواج الجن بالإنس. وذكر هناك مجموعة من المشهورين الذين استهوتهم الجان أو قتلتهم منهم (مرداس بن ابي عامر)، (ابا عباس ابن مرداس)، (سعد بن عبادة) الذي قيل بأن الجن قتلته. (سنان بن حارثه)، (طالب بن أبي طالب) وغيرهم [٥٤٤]. وهناك أيضًا (عمرو بن يربوع) الذي تزوج السعلاة [٥٤٥]. كما حكي لنا وهب بن منبه عن زواج الجنية (العيوف) بالملك (أبرهة ذو المنار) وأنها أنجبت منه الملكة بلقيس وأخويها عمر ذا الأشرار وعمر ذا الأدغار [٥٤٦].

---

[٥٤٢] الأدب العربي مليء بمثل هذه القصص عن تزاوج بين الإنس والجن، وثمرة هذا التزاوج (الأطفال). يمكن في هذا الرجوع إلى بعض قصص ألف ليلة وليلة كشاهد. والمسعودي، أخبار الزمان ص٣٥. ص٣٩. وبعض الأدبيات تذهب إلى أن والدة الملكة بلقيس، ملكة سبأ، كانت من الجن، وأن والدها تزوج أمها وكانت هي وإخوتها ثمرة ذلك الزواج. وغيرها كثير.

[٥٤٣] تعتقد بعض الشعوب البدائية أن الحمل غير المتوقع أو الحمل المجهول السبب أنه عائد لأرواح خفية تداهم النساء في مخادعهن وتجامعهن وهن نائمات، ومثل هذه الأرواح يطلق عليها لدى بعض تلك الشعوب باسم (الحضون) وهو شيطان مذكر. انظر قاموس الأنثروبولوجيا ص٤٨٦ ص١٩٧.

[٥٤٤] الجاحظ، الحيوان (٦/٢٠٨-٢٠٩).

[٥٤٥] المرجع السابق، (٦/١٦١)، (٦/١٩٦). وعن زواج الإنس بالجن في الأدب الشعبي المهري يمكن الرجوع إلى كتاب (من التراث الشعبي في المهرة) للباحث سالم لحيمر القميري ص٢٥.

[٥٤٦] وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، ص١٣٧.

خطف الجن للإنس والطفل المبادل:

كما يعتقد العامة أن الجن قد تتخطف الإنس لأسباب معلومة أو مجهولة. فقد يكون بدافع العشق والغرام أو بدافع الحقد والانتقام. وقد يعود هؤلاء الإنس لأهاليهم وذويهم بعد عملية الخطف. أو يختفون للأبد. وغالبًا خبر هؤلاء المختفين بسبب الجن لا يؤكده أو ينفيه إلا المشعوذون. وفي بعض المراجع نجد اشارة لوجود بعض المناطق الموبوءة بالجن وبخطف هؤلاء الجن للأطفال الصغار. [٥٤٧]

كما يعتقد كذلك بأن الجن قد يقومون بخطف أطفال الإنس من المهد وخاصة أطفال بعض الأسر الغنية واستبداله بطفل آخر من أطفالهم اعتقادًا منهم أن تصرف الجن هذا ناتج لكي يضمنوا (أي الجن) حصول طفلهم على التغذية والعناية الجيدة. أو أن دافع الخطف غيرة وحسد. وهم يطلقون على مثل هذا الطفل الجني باسم (المبادل) [٥٤٨].

وتحدث عملية المبادلة هذه حينما يصيح الطفل في مهده في أحدى الليالي دون أن يجد بجانبه أيًّا من أهله يطمئنه ويهدئ من روعه فيستمر في البكاء طويلا.

ومن علامات حدوث عملية المبادلة أن الطفل يمرض ويصاب بالنحافة الشديدة ولا تفيد معه الأغذية الجيدة أو الأدوية والترياقات النافعة.

وللتأكد من أن الطفل مبادل بطفل من الجن يقوم الأهالي بوضع الطفل هذا في إحدى كفتي ميزان وفي الكفة الأخرى يضعون كميات من الفضة. فإذا ماغلبت كفة الفضة الميزان فهذا يعني أن ابنهم حقيقي. بينما إذا لم ترجح كفة الميزان بالرغم من كميات الفضة الكثيرة التي تطرح فهذا يعني أن ابنهم مبادل.

وفي هذه الحالة يقوم الأهل بإعطاء الطفل قليلًا من الحلتيت مع الماء. اعتقادًا أن ابنهم إن كان مبادل فسيموت بعد بضعة أيام. أما إذا كان ابنهم الحقيقي فسيعيش. [٥٤٩]

---

[٥٤٧] انظر ماقيل على سبيل المثال عن قرية موشح الواقعة في وادي بن علي، فقد ورد عنها في هامش كتاب إدام القوت أن ((موشح هذه كانت بلاداً وبيئة مشهورة بكثرة الجن، وكانوا في زمن الإمام الحداد يتخطفون الصغار، فوضع الإمام الحداد راتبه ا لما اشتكى عنده أهلها)). انظر ص٥٦٥.

[٥٤٨] بامطرف، محمد، معجم الأمثال ص٥٧٢.

[٥٤٩] بايمين، سعيد، دراسات، االأساطير والحكايات، مرجع سابق، ص١٠٥.

إن مثل هذا الاعتقاد في الطفل المبادل، موجود كذلك لدى قبائل ظفار العمانية. فالأهالي هناك وكوقاية للطفل وحفظه من الجن يقومون بعمل حرز صغير للطفل ويضعونه تحت مخدته أو سريره. والحرز هذا كيس صغير بداخله قليل من اللبان والثوم وقطعة حديد. [٥٥٠]

والاعتقاد في الطفل المبادل قد لا يظهر في طفولته وإنما بعدما يشب وتظهر عليه بعض الأفعال والتصرفات المشينة التي تدفع بالأهل للاعتقاد بأن ابنهم هذا بودل ذات ليلة أثناء طفولته. إذ لو تملك الأبوان هذا الاعتقاد مسبقًا وبأن طفلهم هذا إنما هو مبادل بجني لتخلصوا منه أو عزفوا عن تربيته تمامًا مثلما تفعله بعض الشعوب البدائية مع مايسمى بـ(الطفل القدري Fatal child) [٥٥١].

والحديث عن الطفل المبادل يقودنا إلى مثل أو اصطلاح شعبي يقول (فلان مبادل) أي إنه لا يراعي الذوق العام في تصرفاته ولا يحترم النظام أو النظافة والترتيب في حياته المعيشية.

الفزعة والتبرير (التبرور):-

ومن الاعتقادات التي شاعت أن الاطفال وخاصة من هم في مرحلة الرضاعة إذا أصيبوا بنوبة من الصياح أثناء النوم أو اليقظة. ولم ينقطع صياحهم من دون أن يعلم الأبوان سببًا لهذا مع ماقد يصاحب هذا البكاء من حمى شديدة. يعتقد أن هناك شيئًا ما أفزع هذا الطفل وأخافه. ويطلق على هذه الحالة اسم (الفزعة).

فبعد أن تُعيي الأهل حيلهم لإسكات الرضيع تهرع الأم أو الجدة إلى أخذ قطعة صغيرة من معدن (الرصاص) -وهذه غالبًا تكون محفوظة بالبيوت لمثل هذا الغرض- وتضعها على طست (وعاء معدني) وتحميّها في النار إلى أن يذوب المعدن ويسيل.

---

[٥٥٠] الشحري، علي، لغة عاد، ص٣١٤. والاعتقاد بالطفل المبادل أو المبدول موجود بتصورات العديد من الشعوب، منها على سبيل المثال في مصر، انظر للتفصيل خضر، فارس، العادات الشعبية بين السحر والجن والخرافة. مجلة الإذاعة والتلفزيون، ١٨ محرم ١٤٢٩هـ / ٢٦ يناير ٢٠٠٨م، ص٦٥.

[٥٥١] الطفل القدري: وليد تعتقد بعض الشعوب البدائية أنه مقدر له أن يقتل أبويه، أو أحد المسؤولين في المجتمع، لظهور علامات غريبة عليه ساعة ولادته، ولذا فإنه يترك في مكان منعزل ليموت جوعاً أو فريسة للحيوانات أو بسبب عوامل الجو. كما تعتقد تلك الشعوب أن الأطفال القدريين لابد من أن ينجو من الموت، ويعيشوا ليحققوا ماقدر لهم. وتوجد أصول هذا المعتقد في أساطير كل شعب بدائي يؤمن به. قاموس الأنثروبولوجيا ص٣٣٣.

فتسرع بعدها هذه الجدة أو الأم حاملة ذلك الطست وتقربه من رأس الطفل الباكي وجسمه وتعمل على تدوير الوعاء وهزهزته. أو تقوم بسكب هذا الرصاص السائل مباشرة على الأرض أو على وعاء آخر فيه ماء. تفعل ذلك وهي تنشد (أهزوجة التبرير) عدة مرات على رأس الطفل قائلة:

يا برير.. يا المبرر

لي فزّع (فلان) يظهر.

(وتذكر اسم هذا الطفل). تفعل هذا اعتقادًا منها أن بالطريقة هذه ستتشكل وتظهر على قطعة الرصاص المتجمدة. ملامح أو صورة ذلك الذي أخاف الطفل وأفزعه في نومه.

وما إن يتجمد ذلك الرصاص حتى تهرع بعده العيون فاحصة أجزاءه والتفرس في قطعة المعدن ومن ثم الاهتداء حسب زعمهم إلى المتسبب بإفزاع الطفل. الذي غالبًا يكون الجاني جنيًا أو شيطانًا أو حيوانًا أو جارة لهم حاسدة وناقمة. ويقال لهذا العمل إنهم (يبررون) أو يقومون بالتبرير أو التبرور. [٥٥٢]

ويلاحظ أنه وفي أحيان كثيرة يستهدف تأويل التبرير، هذه الجارة أو تلك أو قريبة لهم حاسدة. الأمر الذي يؤدي لاحقًا إلى شجار وخصام بين أهل الطفل وجيرانه المعنيين أو على الأقل بين نسائهم.

الفدرا والطحرة والرزنة:

إلى جانب ما ذكرناه سابقًا عن (الفزعة) ثمة حالات أخرى مشابهة لها، إلا أنهن يختلفن في التشخيص وطرق العلاج ما يجعلهن حالات مستقلة بذاتها. وطبعًا من يمتلك القدرة على التمييز بين كل تلك الحالات هم أناس من ذوي الخبرة والمعرفة في هذا الشأن، وغالبًا هم من كبار السن كالشيوخ والجدات. وإذا كانت الفزعة تصيب الأطفال الرضع ومن هم في المهد. ف (الفدرا) حالة مشابهة لها من حيث الصياح والبكاء المفاجئ ليلًا. إلا أنها تصيب الأطفال الكبار ممن تتراوح أعمارهم بين (٢-٥). ويعتقد إن سببه ناجم عن إحساس الطفل بالخوف كأن يكون

---

[٥٥٢] انظر د. بن عقيل، عبد العزيز، الطب الشعبي في حضرموت، ملحق لصحيفة شبام الثقافي، العدد (١٧) الصادر في أبريل ٢٠٠٣م، ص١٤. وبعض الدراسات بينت ان هذه الطريقة معروفة أيضًا ببعض قرى مصر. انظر دراسات في المعتقدات الشعبية ص١١٩.

استفاق من حلم مخيف (كابوس) فظل يبكي بما أحسه أو شاهده في الحلم. وهذه الحالة تتطلب من الأبوين مجرد تهدئة روع الطفل والجلوس بجانبه وقراءة الفاتحة والمعوذات حتى يهدأ ويطمئن. وأحيانًا قد تصاحب حالة البكاء الناجم عن الخوف هذه تنهسات وتنهيدات يصدرها الطفل مع ارتفاع في دقات القلب. وتسمى هذه الحالة (طحرة). وعلاجها إحضار خيط خاص لمثل هذه الحالة يسمى بـ(خيط الطحرة) وهذا يُحاك لدى الاسر التي تمتهن الحياكة [٥٥٣].

ومعظم الأسر كانت تحتفظ به في البيت لمثل هذه الحالة وغيرها. وفي حالة الطحرة هذه، يعلق الخيط على عنق الصبي. ويطلب منه الخلود إلى النوم بعد أن يهدئوه ويطمئنوه.

أما الصبيان مابين (٦-١٢) فقد تصيبهم حالات من الخوف والقلق من دون سبب محدد تمنع عنهم نومهم. وهذه الحالة يطلق عليها أسم (الرزنة). ولعلاجها تحمي قطعة من الحديد وتوضع مباشرة على وعاء صغير به ماء وكمية قليلة من مادة (الكحل) ويطلب من الصبي شربه.

اللفخة:

اللفخة كمصطلح شعبي يتداوله عامة الناس للدلالة على إصابة الإنسان المباشرة بمس من الجن يكون نتيجته الموت أو الإصابة بمرض (الصرع) الناجم كما في التصورات الشعبية من دخول الجن لجسد الإنسان. أو تكون نتيجتها (أي اللفخة) ظهور أورام جلدية غريبة أو ظهور بثور أو حبوب على الوجه أو البدن يتعذر معها العلاج الطبيعي (العقاقير الطبية، الترياقات والاعشاب) وإنما تتطلب علاجًا قرآنيًا فعالًا أو وصفة سحرية ناجعة.

واللَفَخَ بالفتح في اللغة العربية تعني الضرب. ولفخه على رأسه أي ضرب جميع رأسه . [٥٥٤]

ولوصف مثل هذه الحالة يقال للشخص المصاب بأنه (ملفوخ) أي (لفخته جنية) ويعني بهذا أن جنية ما أقدمت على ضربه ووخزه بشدة إلى أن حلت به كنتيجة لذلك الضرب اللامرئي تلك الحبوب والبثور الغريبة. وعادة يصاب المرء باللفخة عندما يكون نجسًا وتحديدًا من (الجنابة) أو بعد تناوله وجبة دسمة من دون أن يغسل يديه

---

[٥٥٣] تسمى الأسر التي تمتهن الحياكة في المدينة بآل حبان، حتى إن لم يكونوا وافدين من منطقة حبان.

[٥٥٤] المنجد في اللغة والأعلام ص٧٢٧.

بصورة جيدة. وأكثر ما تكون اللفخة أثناء مرور (الملفوخ) بالقرب من الخرائب أو بعض البيوت المسكونة أو الأزقة التي تشتهر بوجود الجن فيها ليلًا. وقد تكون اللفخة ناجمة عن اعتداء وقع على الجن وحرماتهم كأن يقوم الملفوخ برمي ماء ساخن على الأرض من دون أن يسمي اسم الله ويكونون حاضرين بهذا الموضع. أو داس عليهم أثناء مروره. أو إذا آذى أحدًا من هؤلاء الجن بعد تشكله في صور أخرى إنسانية أو حيوانية.

وعن علاج اللفخة فبالرغم من أن التصورات تذهب إلى أنه قلما ينجو إنسان منها. إلا إنه في حالات قد لا تكون الإصابة قاتلة حيث يحمل المصاب ويذهب به إلى شيخ أو شيخة مخصوصة لعلاج مثل تلك الإصابات الناجمة عن اللفخة (الأورام أو الحبوب). حيث يقوم المعالج بـ(النفث والبصاق) على أماكن البثور والحبوب. وببركة هذه التفلة (كما يعتقد) تصح الأوجاع (أي تشفي) أو إذا تبين لهم الموضع الذي حدثت عنده اللفخة وسببها، يقوم الأهل بعمل طقوس (التمسوح) وسنأتي إلى تفاصيلها في فقرتها.

وقد تطرق الأدب الشعبي [٥٥٥] وخاصة الشعر إلى اللفخة وذكرت في العديد من القصائد. وهنا يمكن أن نستشهد بأبيات من الشعر الشعبي للشاعر (خليل أحمد باحدية) من قصيدة مسرحة في إحدى المساجلات الشعرية [٥٥٦] ذكر فيها اللفخة وفيها يقول:

والذي يدّعي بالمعرفة قله دهن عادك دهـن
رجال نا مثلك ولي تـاريخ من سـابق زمان
وان كان بك لفخة من السكني وإلا العقل جن
عندي دواء الملفوخ ياصاحبي ودواء الجنان
البومة والحلتيت والخلتة تخلطهن معن
وأيضا الزموتة والبصيلة ومر وقبله زعفران
وتسير عانهج الطريقة باعطيك من عندي بين
وإنك ان ماجابك باتدبله عـادك مرتان
وبإذن ربك ماباتشوف شيء شـر ابـدن
والعافية باتجيك يالصمصوم عادور الثمان

[٥٥٥] في الجزء الآخر من كتابنا هذا المخصص للحكايات الشعبية أوردنا بعض الحكايات عن اللفخة.

[٥٥٦] من مساجلة في سمرة شواني بمناسبة زواج (رائد وبهاء) ابنَي الشيخ أحمد بارفعة في يوم ١٥ / ٨ / ٢٠٠٢م في مدينة غيل باوزير. شارك فيها الشعار ناجي بن علي الحاج.(المكلا) وسعيد محمد بن هاوي وخليل أحمد باحدية. انظر مدينة العرفان، غيل باوزير ص٣١٢.

إلا السـنيّون والحسد ومن كان في قلبه درن
مالـه دواء عند الـدخاتر ذا قروا فوقه قرآن

وهذا الشاعر محفوظ باسويد يقول في إحدى أبياته:

دقيت في حرمة خبيثه عا تكبد عالخيب
بدعي على بوها من المولى لبوها لفخ جان.

أما الشاعر سعيد بن حيمد فيقول:

الزقر يا لهاشمي بالظن شفه ألتفخ بالظن جني من الشقنة عطاه لفختين.

أسماء الجنيات فى التصور الشعبى:

هناك العديد من الأسماء المشهورة لبعض هؤلاء الجن التي يرددها العامة فـي أحاديثهم ومسامراتهم اليومية. وغالبيتها كما يلاحظ أسماء (إناث). لعل مـن أشـهرها الجنية أم السلاسل، الجنية أم الصبيان، الجنية الكبـة، فاطمـة بنـت عـوض، الجنيـة أم الدويلة، أم رجل حمار، العرجاء، الحليلة، أم المرامر وغيرها وسنتعرض لها لاحقًا.

ولاندري هنا السبب الذي جعل الجن في المخيال الشعبي إناثًا في الغالب وإلصاق الشر بهن. وإن كان هذا التصور غير خاص بالشحريين أو الحضارمة وحدهم. فعند السقطريين تكاد تتشابه الأسماء والتصورات فلديهم جنية تدعى (أم المسامير).[٥٥٧] أو الساحرة والجنية (قرشوم) عند الظفاريين. وقس على هذا عند شعوب عربية أخرى كـ(أم النزر) على سبيل المثال في الخليج العربي أو (عيشة قنديشة) بالمغرب.

ولنلاحظ أن لفظة (بنت) من معانيها في اللغة الشحرية الظفارية الشيء المخيف المفزع الرهيب.[٥٥٨] وهي الصفات نفسها التي يتصف بها (الجن) في مخيلتنا الشعبية. بل نلاحظ أن الرياح المسماة بـ(الكوس) وهي ريح الشمال والتي تسبب هيجانًأ للبحر يطلق عليها الصيادون والبحارة (الملاحون) اسم (بنت أحمد) كما

---

[٥٥٧] سقطرى جزيرة الأساطير ص٤٠٠.

[٥٥٨] لغة عاد، ص١٥.

يطلق على الحمى (أم ملدم) كما يطلق بعضهم على طائر البوم الذي يعرف محليًا بـ(الدميمة) اسم (سالمية بنت سالم).

وحتى الشعوب الغربية لديها اعتقادات وتصورات في إناث الجن وإلصاق الشرور بهن كاعتقادات الغرب في (السيدة البيضاء) أو كما يسميهن البريطانيون (غسالات الليل)[٥٥٩] فضلًا عن ارتباط السحر لديهم بالنساء.

ونحب أن ننوه إلى أن الذي شجع على وجود مثل هذه التصورات والحكايات المختلفة عن الجن وعوالمهم وثبوتها في عصر صعد فيه الإنسان للفضاء. هوانعدام الكهرباء في فترات سابقة [٥٦٠]التي بوجودها لاحقًا اختفى الظلام واختفى معه جنه وعفاريته. إذ لم يتبق منها إلا ولع الناس بمثل هذه القصص والأخبار التي تقترب من وجدانهم وتستسيغها طبيعتهم ولو على سبيل الطرفة والحكاية.

وقبيل التطرق إلى أشهر الجنيات وصفاتهن وعلاقتهن بالبشر نود أن نتطرق هنا إلى بعض ماجاء في الأدب الشعبي عن الجن والشياطين فضلًا عن بعض الاصطلاحات العامية المتداولة والمتعلقة بهذه الكائنات.

وسنستعرض هنا نماذج فقط وخاصة في مجالي الشعر الشعبي والأمثال الشعبية. ذلك أن مثل هذه المجالات قد تتطلب مؤلفًا خاصًا بهن. أما الحكايات الشعبية المتعلقة بهذه التصورات فتركناها في بابها في جزء آخر من كتابنا هذا.

---

[٥٥٩] انظر كانافاجيو، بيار، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا، ص١٥٢.

[٥٦٠] دخلت الكهرباء المدينة (مجتمع الدراسة) لأول مرة سنة ١٩٦٢م.

نماذج لذكر الجن والعفاريت في الأدب الشعبي

حفل الأدب الشعبي على تنوعه بالعديد من القصص والأخبار والتصورات الشعبية لهذه العوالم (الجن والعفاريت والشياطين) واستُعملت إما بدلالاتها الحقيقية أو الرمزية وفقًا لهدف الفكرة التي يريد منها هذا الأديب الشعبي أو ذاك إيصالها للسامع. وسنقتصر هنا على أنموذجين من هذا الأدب الشعبي وخاصة مجالي الشعر الشعبي والأمثال الشعبية. ولن نقف عندهما كثيرًا هنا خاصة أن بعضًا منها سيتكرر ذكرها في فقراتنا المختلفة:

أولًا: في مجال الشعر الشعبي:

يقول الشاعر الشعبي محمد أحمد بن هاوي باوزير [٥٦١] (ت: ١٩٩٧م) في إحدى مساجلاته الشعرية:

يابن الخامر تفضّل لقها جودة وغـــــــني
خلنا بارد عوده عاصـــــواتك والتــــــــلاحين
المغاني رأس مالي، والمدارة هي مكني
لا سمعت الدان نسري بات دحق عالشياطين

يقول الشاعر الشعبي مبارك سعيد أبو دويلة [٥٦٢] في إحدى قصائده:

طاهشة في جول مسحة عاتناوط عالسدد
والسدد ماهي قريبة فوقها عفريت حال
شلوا النمشة من ايده لي في الشوكي رقد
كل من غمضت عيونه يابداله بالبدال

وهذا الشاعر الشعبي عمر سالم عرم[٥٦٣] يقول في إحدى قصائده:

نا عمر عرم مانفزع من الرجـة
حتى العفاريت نحذفها بجمر النار
بغيتنا نجيب لك العفريت حق هردية

---

[٥٦١] ترجمته، حداد، عبد الله، معجم شعراء العامية الحضارمة ص٣٠١.

[٥٦٢] ترجمته معجم شعراء العامية الحضارمة ص٢٨٥.

[٥٦٣] ترجمته المرجع السابق ص٢٣٧.

ونظهر لك العفاريت لي داخل الدار

ويقول الشاعر الشعبي سعيد باحريز (ت: ١٩٨٧م)[٥٦٤] في إحدى قصائده:

سكن في الحصن ماواحد في الحصن أنسي
ربي يا رب تفرفرهم من الحصن فرفار.

وفي قصيدة أخرى للشاعر نفسه:

ذا فصل والثاني التي سرحت من المبرك ضوت
يا السكن شلوها إذا ماهي علامة بايـــزيد
ذكرت مراعيها وحنت عامراعيها ويـــت
فتحوا لها وإلا كسرنا الباب لا ماشيء قليد.

وفي أخرى له:

والسحر لي مدفون في المطبخ كشفه المغربي
وخرج العفريت بسلاسله من عقبة رحاب.

اما الشاعر الشعبي عمر بانبوع فيقول في إحدى مساجلاته:

قالوا انته تعلمت البناء من غير كف
وخرجت عفريت الرقق لي في الرقق ساكن وحال.

وهذا الشاعر محفوظ باسويد(ت: ١٩٨٧م)[٥٦٥] يقول في إحدى مساجلاته الشعرية:

التيس تحت الشاة ركبته ولكن مارضع
في الدار سكنية بظني الدار ذي ياخس دار.

وفي بيت شعري آخر يقول الشاعر:

ده وجه ما منه سهالة وجه (سكنية) ققع
ماقول لك ده وجه مقبل، وجه من أهل الدبار.

---

٥٦٤ ترجمته المرجع السابق ص١٢٦.

٥٦٥ ترجمته المرجع السابق ص٢٩٩.

ومن أقوال الشاعر الشعبي فرج مبارك بارامي (ت: ١٩٤٨م) [٥٦٦]:

مَاباك صاحبي قـــم روّح ولـــك ودره
وبا فرح لك إذا قد دق بك ثعبان
وإلا يدقون بك (السكن) في الغدرة
وتنقلب صورتك ترجع كذا ألوان.

ومن قصيدة للشاعر الشعبي حسين أبوبكر المحضار قوله:

للعشق وديان كل قده يعرف واديه
بالخير لا زان يا بخت النشر والراعية
وان قد بقا مزمن
عفاريت الخلاء تسكنه والجان
من يحب الزين لا يسأل عن الأثمان.

وللشاعر الشعبي محمد سعيد بكير قوله:

ولد بكران يتعثر بغا با ينقف المقلع
وعرقه في تخوم الأرض ماكن عند شيخ الجان.

وفي قصيدة أخرى له [٥٦٧]:

نا من الجاويد جيد، نا من الاشـــــــرار شري
نا وسط رأسي سكني شال عنفيطة ومزمار.

أما الشاعر الشعبي محمد عوض الحباني (أبوناصر) فيقول في إحدى قصائده:

نحنا نحب الخير والعاصي عليه الله كبر
وحروزنا معنا وبانجيب العفاريت الكبار.

ويقول الشاعر الشعبي عمر بن شيخ باوزير [٥٦٨]:

---

[٥٦٦] ترجمته المرجع السابق ص٢٨٠؛ وانظر الملاحي، عبدالرحمن الصيادون شعرهم وعاداتهم المهنية ص٥٢.

[٥٦٧] فرحان، سعيد عمر، دراسات في الفنون الشعبية الحضرمية ص١٩٥.

[٥٦٨] بن شيخان، قطوف حضرمية من شعراء العامية ص٥٥.

الله يصون الغيل وأهل الغيل من قبص الدفن
ومن عيال الجان لي حلوك يا وادي شحير.

يقول أحد الشعراء الشعبيين [٥٦٩] من مدينة مدودة:

ديار كبار خلوهن وجاوة السكن حلوهن
وهم فروا مع الشيطان سقى الله روضة الخلان

ثانيًا: في مجال الأمثال والإصطلاحات الشعبية:

-عمل الإحسان ولو مع الجان.
-ألف سكني مايصنع باب.
-على باب الجنة شيطان. ويضرب هذا المثل لقليل الخير الذي يمنع حصول المحتاجين على الزكاة أو الخيرية بالوشاية الكاذبة في حقهم. [٥٧٠]
-غاب الجني حين ظهر الثوم. وفي صيغة أخرى بالجمع: إذا حضر الثوم غابوا الجن [٥٧١] وثمة اعتقاد يفيد بأن الجن والشياطين تخشى الثوم وتفر من رائحته. ومثل هذا الاعتقاد الشعبي ساد كذلك في بعض دول أوربا اذ يعتقدون أن الثوم إذا طوق به مهد الطفل حفظه من الأرواح الشريرة والحيات. [٥٧٢]

وفي مثل هذا يقول الشاعر الشعبي (ربيع عوض بن عبيد الله) في قصيدته الشهيرة (ملكة الأشجار):

وان كان أرضك سوية ريض الاعتوم النخل هو والخمي كالجان هم والثوم.
لانه كالطفل تو يشرق من الوغار.

- ما حد يؤخذ عزيمة من جني.
- ما حد يبدل بابنه جني.
- ماحد يعلم الجني بلعب الطمبرة.

---

[٥٦٩] البيتان من كتاب السقاف، جعفر، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية ص٩٦.

[٥٧٠] بامطرف، محمد عبد القادر، معجم الامثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت، ص٢٥٦.

[٥٧١] كلتا الصيغتين أوردهما المؤرخ محمد بامطرف في كتابه معجم الأمثال، ص١١٥، ص١٥٤.

[٥٧٢] انظر معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا، مرجع سابق، ص٥٥.

- بهار الجني تمرة. وهذا المثل الشعبي يخفي اعتقادات وتصورات مرتبطة بالوثنية وبعالم الجن. وقد أشرنا في مواضيع سابقة إلى ارتباط ماعرف بـ(تقليد الفولة) بإله البحر لدى القدماء الذي تحول مع مرور الوقت إلى مارد من الجن ليتلاءم مع التصورات الجديدة بعد ظهور الإسلام. وكيف أن البحّارة يقدمون لهذا المارد بعض محتويات مركبهم من تمر وارز ويضعونها في مجسم صغير لمركب يحاكي مركبهم ويضعونه في الماء وخاصة حينما تبلغ السفينة جبل فرتك. وتلك الكمية القليلة من التمر يعتقد فيها أنها كافية لإرضاء ذلك المارد. فتمرة واحدة تقدم كأنها بهار كامل من التمر. والبهار الواحد يساوي ثلاثمائة رطل وهكذا. [٥٧٣]

- في السماء منقض العزائم.

- إبليس في رأسه يعمر.

- إبليس يكحل له بقصرة.

- ذي مارضت حلالها، رضت الشيطان.

- إبليس يضحك عليه. أي يزين له الأعمال السيئة.

- إبليس ماهو في حاجتك.

- يازين لا غرك الشيطان خذلك سمين.

- الراضة من الرحمن والعجلة من الشيطان. وهو مثل المثل الفصيح في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

- بال إبليس في مسمعه. والمسمع في اللهجة (عضو الأذن). وتطلق على من ينام ويضيع عليه وقت الصلاة.

- عين إبليس صابته. أي إنه فاشل في كل شيء.

- إذا ماحبلت الحرمة، قالت بي عين إبليس.

- عيال إبليس، كمصطلح تطلق على الأولاد الأشقياء والمتسكعين ومثيري القلاقل.

من قصيدة للشاعر الشعبي سعيد باحريز:

ذا فصل والثاني نعم ربك يبري كل بـري
لاغسلت يدي قال بوسالم ولا كلت الهريس
ذلا عيال إبليس تهمونا بشال العسكـــري
لعن بو الوسواس لي ترد السبت حد وإلا خميس.

- يقال: (حظك في الكيس ياولد إبليس). أي إنه محظوظ بالرغم من أفعاله السيئة.

---

[٥٧٣] الكسادي، بدر، القاموس البحري ص٢٧٨.

- حق إبليس للشيطان. أي أن المال الحرام مثلما جاء لصاحبه بسهولة ويسر سيذهب كذلك.
- إبليس ما يكسر خزبة. الخزب: أزيار الماء. والمثل يطلق على الشخص السيئ الذي يفعل المنكرات وينجو منها.
- يقال فلان(شيطانه قوي) للدلالة على عناد الشخص أو عدم التزامه بفروضه وواجباته الدينية بالرغم من مقدرته على أدائها. وتقال أيضًا لمن يتعمد المعصية. (٥٧٤)
- يقال فلان (شيطان كبير) أي إنه رجل كثير الأذى. وقد تطلق مدحًا للشخص واسع الحيلة والمغامرة. (٥٧٥)
- يقال (صاح إبليس بينهم) أي حصل بينهم نزاع كبير.(٥٧٦)

القشبة والتعريشة:-

من دلائل معرفة المرء بأن الذي ماثل أمامه جني وليس إنسيًا ما يشعر به من قشعريرة في بدنه ووقوف شعر الرأس وانتصابه مع زيادة في ضربات القلب وانتفاخ البطن لدرجة تتمزق فيها وتتقطع آية أحزمة تحيط بخصر المرء ومهما كانت قوة هذه الأحزمة (سبات، كمره، حقة). (٥٧٧)

إن الحالة التي تصاحبها تلك التغيرات الفسيولوجية لحظة إحساس المرء بوجود الجن قريبًا منه جدًا في المكان، أو التوهم برؤيتهم ماثلين أمامه، يطلق عليها العامة بـ(القشبة) (٥٧٨) كما تطلق هذه اللفظة أيضًا على حالة الإنسان حينما يرتعش جسمه بسبب الحمى الشديدة التي أصابته.

وأحيانًا أيضًا قد يطلق على مثل تلك الحالة السابقة المتعلقة بالجن بـ(التعريشة) وخاصة عندما تبلغ ذروتها حيث يقال فلان عرّش من شدة الخوف والفعل يُعرّش. وهذه التعريشة لعلها كما نظن مأخوذة من تعريشة القطط (لفظة محلية) وهي صفة تطلق على

---

٥٧٤ بامطرف، معجم الامثال ص٥٠٦.

٥٧٥ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٥٧٦ المرجع السابق، ص٥١٣.

٥٧٧ السبات والكمره والحقه جميعها أربطة أو أحزمة مختلفة الأنواع تحيط بالخصر لحماية الثوب التحتاني من الوقوع سواء كان هذا الثوب فوطة، أم معوزًا،أم بنطالًا. والحقة كحزام خيط متين وقوي يربط في منطقة الخصر، يستعاض به عن الأحزمة وغالباً مايتمنطق به المنتمون لفئة الصيادين.

٥٧٨ انظر هذا المصطلح عند بامطرف في معجم الأمثال ص٥٤٥ .

حالة القطة خاصة عندما تبدأ عراكها العنيف مع أخرى حيث تنتفخ بطن إحدى هاتين القطتين وينتصب شعر جلدها ويرتفع الذيل ويلتوي. وذلك لإرهاب الخصم وإخافته. ويقول العامة لوصف مثل هذه الحالة (عرشّت القطة).

وبالنسبة للفظة القشبة ففي الأمثال الشعبية يقال: (فلان ماتقشّب له شعره) بتشديد الشين، أي إنه لا يخشى عواقب أفعاله السيئة. [٥٧٩] كما يقال هذا للشجاع المقدام. وللشاعر الشعبي سعيد باحريز قصيدة يقول فيها:

والله بالدنيا دروس أتنبهك لو عادك غبي
ولها قصص ماهي على بالك تقشّب بالشعور.

[٥٧٩] بامطرف، معجم الأمثال ص٤٥٥.

الفصل الثاني

الشخصيات الأسطورية والكائنات الخرافية

الكائنات الخرافية والشخصيات الاسطورية

أشهر الجنيات في التصورات الشعبية:

لم تعد الكثير من التصورات عن هذه الشخصيات من الجن التي اشتهرت محليًا موجودة الآن. فقد اختفت كل هذه الشخصيات واختفت معها حكاياتها وخاصة بعد تفتح الناس وظهور الكهرباء التي أنارت الكون وأنارت العقول معها. ونحن نوردها وفقًا لما ساد عنها وحولها من تصورات شعبية. فمن أشهر هذه الشخصيات:

(١) الجنية أم السلاسل:

أم السلاسل كما هي في تصورات العامة، كائن مؤنث ذات شكل مخيف غير محدد، على يديها وأرجلها قيود وسلاسل طويلة. وقد تلتف كذلك حول خصرها وكتفها، وكلما مشت جرت خلفها هذه السلاسل. وبها تحدث ضوضاء وأصواتًا مزعجة مخيفة، تسمع أصوات ضجيجها إلى داخل البيوت.

وفي بعض المجتمعات القريبة تصورات مماثلة في العفريت (أبو السلاسل) وقد أشرت إليه سابقًا ووصفه لا يختلف عن وصف (أم السلاسل) سوى أن هذه جنية وذاك عفريت. وطبعًا لفظتا (أم) في أم السلاسل أو (أب) في أبو السلاسل إنما يعني بها في اللهجة الحضرمية صفة تمليك وانتساب. فأم السلاسل أي صاحبة أو مالكة السلاسل. وأبو السلاسل أي صاحب أو مالك السلاسل. وقف على ذلك مع أم الصبيان وأم الديود وأم رجل حمار وغيرها.

وكثيرة كانت ادعاءات العوام مصادفتهم لأم السلاسل وخاصة بعد منتصف الليل وفي الليالي المظلمة. تشاهد وهي تتجول بين أزقة البيوت والخرائب والطرقات الخالية. بل وتطارد بسلاسلها من تصادفهم من الناس بغية ضربهم والفتك بهم. حتى من دون أي ذنب اقترفه هؤلاء، إذ تكفي مصادفتها ليلًا (وجهًا لوجه) ليلقى المرء حتفه.

وهناك مزاعم أن بعض الناس أصيبوا بضربة سلاسلها وكادوا أن يقتلون لولا عناية الله بهم. حيث ظهرت على بعض مناطق أجسامهم آثار الضرب بالسلاسل. ولا عاصم من هذه الجنية سوى تلاوة الآيات المحصنة أو الإسراع إلى المسجد حيث لا تستطيع هذه الجنية أو غيرها من الجنيات والعفاريت، تجاوز حدود مبنى المسجد ولو أطرافه الخارجية من درج أو دكك. ذلك أن تجاوزها يعني أن الله سيحرقهم على

الفور وينجي من احتمى بحماه وبلغ بيته. وهذا التصور يعطي المساجد قدسية أخرى كموضع يامن فيه المرء من مردة الجان.

ونلمح إشارة لمثل هذه الجنية في أحد الأبيات الشعرية للشاعر الشعبي سعيد باحريز وإن ذكر فيها عفريتًا بهذا الاسم وليس جنية. يقول باحريز:

والسحر لي مدفون في المطبخ كشفه المغربي
وخرج العفريت بسلاسله من عقبة رحـــاب.

إن هذه التصورات حول أم السلاسل تتشابه إلى حد ما مع تصورات مشابهة وجدت في بعض قرى صعيد مصر وخاصة تصوراتهم حول (أم شلاشل) ولنلاحظ حتى تشابه الاسم بين أم السلاسل وأم شلاشل.[٥٨٠] وهذه الأخيرة تتداخل أيضا من بعض الوجوه مع الجنية أم رجل حمار التي سنأتي لها.

(٢) الجنية أم الديود:

لفظة الديود جمع ديد. والديد في اللهجة المحلية يعني به (الثُّدي). وام الديود أي صاحبة الأثداء. وصورة هذه الجنية (أم الديود) في المخيلة الشعبية بهيئة امرأة بشعة، مقززة، لا يبين وجه لها، يتدلى من جسمها وظهرها عشرات الأثداء.

ويروي بعضهم أنه شاهدها ليلًا بالقرب من أماكن القمامة أو ببعض الخرائب أو الطرقات المهجورة المظلمة، ويدّعي بعضهم أنها تقوم بـ(تطنيز) [٥٨١] اللبن من ثديها باتجاه الأشخاص المارين قرب أماكنها ليلًا. فإن لامس لبنها جسد هذا الإنسان المار أحرقه أو ثقب جسده كأن هذا الحليب المقذوف بصفة العصر شعاع ليزري أو رصاصة بندقية. وقل أن ينجو إنسان أصابته بحليبها. ويقال إن العديد ممن أصابتهم كان مصيرهم الموت أو ظهور حبوب ودمامل غريبة على الوجه أو على أجزاء من الجسم تنبت فورًا.

---

[٥٨٠] عن أم شلاشل جاء في موسوعة الظلام أنها: ((شبح ومسخ مصري شيطانة تتزين بالكردانات والخلاخيل. تمشي ليلا فتصدر اصواتاً مميزة، والغرباء تعساء الحظ هم فقط من يرونها..إلخ)). انظر توفيق، أحمد خالد، وآخر، موسوعة الظلام، إصدارات دايموند، الكويت ٢٠٠٦م (١/ ٢٦).

[٥٨١] التطنيز: لفظة عامية محلية تعني القذف أو التدفق. فيقال على سبيل المثال: الدم يطنز من الجسد أي يتدفق بغزارة.

كما نلاحظ وفقًا لتصورات العامة أن هناك خلطًا وتداخلًا بين صورة هذه الجنية وجنية أخرى يطلق عليها بـ(أم الصبيان) وإن الخيال الشعبي يمزجهما في أحاديثه وقصصه كأنهما جنية واحدة.

(٣) الجنية أم الصبيان:

وصورتها كما تتجلى في مخيلة من يتحدثون عنها امرأة يغلفها السواد، بشعة الوجه مقززة. ترى في الليالي الحالكة قريبًا من الخرائب وأماكن القمامة أو ببعض الطرق المهجورة أو المطاريق (الأزقة) الضيقة والخالية من المارة.

حيث ترى هذه الجنية محاطة بعدد من الأطفال الرضع يصل عددهم مابين(٥-١٠). وكثيرًا يسمع المارون قريبًا من أماكن وجدها صياح صغارها وبكاءهم. كما قد تشاهد من بعيد وهي ترضع صغارها. وثمة أماكن معلومة اشتهرت بوجود هذه الجنية على مقربة منها وخاصة أماكن تجمع القمامة وبعض الخرائب.

وتعد هذه الجنية من أخطر وأشرس الجنيات. لدرجة ان الكثيرين يتشاءمون حتى من مجرد ذكر اسمها فضلًا عن الاستماع لأحاديث وأخبار عنها.

ونلاحظ في بعض الروايات كما أشرنا مسبقًا وجود خلط مابين هيئة وصفات أم الصبيان وأم الديود و=كأنهما جنية واحدة.

وقد قدم لنا الباحث أحمد مسجدي وصفًا لأم الصبيان خالط فيه صفات العديد من الجنيات المشهورة إذ كتب يقول واصفًا لها: ((امرأة كبيرة الحجم، مسدلة الشعر الكثيف، ولها ثديان كبيران ترمي بكل منهما خلف ظهرها. ولها رجل إنسان ورجل حمار)). [٥٨٢]

كما أورد لنا اعتقادات العامة عنها. لعل هذا الاعتقاد موجود في الريف حيث ولد وعاش الباحث (قرية المعيان وضواحيها) حين أشارإلى أن الأهالي هناك يمنعون أولادهم الصغار عن الحضور للحظيرة أثناء ولادة انثى الحمار زاعمين ان (أم الصبيان) هي من تتولى عملية الولادة. وأنه في حالة وجود أي أطفال في الحظيرة فهذا مدعاة لجعل أم الصبيان تدخل في رؤوسهم ويصيرون من أولادها الكثر. [٥٨٣]

وأم الصبيان كما هو عند ابن البيطار أحد انواع الصرع يصاب به الأطفال. وفي كتاب شمس المعارف الكبرى وهي من الكتب التي لها شهرة واسعة واعتقاد كبير لدى

---

[٥٨٢] من الأدب الشعبي للطفل ص١٢٠.

[٥٨٣] المرجع السابق ص١٢١.

العامة وتعد من كتب السحر، أن اسم الله (الولي) إذا كتب وحمله الطفل المفزوع من أم الصبيان يأمن [٥٨٤]. ولم يبين هذا الكتاب إن كان يقصد بأم الصبيان جنية أم مرض شائع. وفي أمثالنا الشعبية: (إذا ماتت أم الصبيان عاد باقي عيالها).

(٤) الجنية الكُبّه:

الكُبّة بضم الكاف وتشديد الباء، إحدى الجنيات المحليات غير محددة المعالم تمتاز بعدوانيتها وكرهها الشديد لبني البشر. ولا توجد بحد علمنا تفاصيل واضحة عنها. وإنما تصور على أنها شريرة تأتي للواحد منا فتصفعة على حين غرة فقط بمجرد ذكر أو ترديد اسمها. وهي أكثر ما يخوف بها الكبار الصغار.
وفي أحاديث العوام وكنوع من تمني إلحاق الآذى بالآخرين قول بعضهم للآخر: (ياعلك الكُبّة) أي عسى الكُبّة تصيبك وتتآذى بسببها.

وهذه الجنية وفقًا للتصورات الشعبية تصيب الناس بالصرع. وإلى فترة متأخرة كان الناس يذرون أو ينثرون بمحاذاة بيوتهم من الخارج الرماد وذلك لوقايتهم من هذه الكُبّة ولإبعاد عنهم العين والحسد. وكذلك يفعلون عند ظهور الأمراض المعدية.

والكَبّة (بفتح الكاف) محليًا تطلق على كمية المادة السائلة المتدفقة لحظة بلوغ الرجل قمة تهيجه. (أي كمية المني). وهي بالعامية من فعل كب يكب بمعنى سكب يسكب. وجاء في المنجد في اللغة كَبّ، كَبّا الإناء: قلبه على رأسه وكب الرجل على وجهه ولوجهه صرعه. وكب الشيء ثقل. أكبّ فلانا صرعه، واكب الرجل بمعنى انصرع، والكبة جمع كبب وهي الإبل العظيمة والجماعة من الخيل والزحمة والصدمة بين الخيلين.[٥٨٥]

وقديمًا أيضا كان يطلق على الكرة التي تلعب بالاقدام بـ(الكبة) سواء كانت كرة القدم المعروفة أم كرة أخرى مشابهة مصنوعة من ألياف النخيل.

---

[٥٨٤] البوني، أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، طبع المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٤٧هـ، (٧٢/٤).
[٥٨٥] انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٦٦٨-٦٦٩.

(٥) السوّاده أو السوادية:

ويعتقد بأنها صنف من الجن تأتي الإنسان خاصة حينما يكون مستحمًا فيما يعرف بـ(الجابية) [٥٨٦]. فهذه السوادة تقوم بإغراق الشخص المستحم داخل البركة أو إصابته بحالة من الإغماء يسبقها دوار واسوداد العالم في عيني المستحم.

ويروي بعضهم أن أناسًا وجدوا آخرين وهم غرقى أو مغمي عليهم داخل تلك البرك والجوابي. وهم يعزون سببها لهذه الجنية السوادية.

إن حالة الإغماء هذه كما نرى لا تعدو عن أن تكون حالات مرضية مرتبطة بضغط الدم أو نسب السكر من حيث الهبوط أو الارتفاع. ومايصاحب هاتين الحالتين من مضاعفات تفقد الشخص وعيه وتوازنه. ويصادف أن تأتي الحالة المرضية بغتة للمرء حينما يكون في إحدى تلك البرك المليئة بالماء فيغرق فيها. وأكثر حالات الغرق كانت لصغار السن والشيوخ الكبار. وقد تأتيهم أيضا حالة السوادية وهم بحمام البيت.

ولعل لفظة السوادية جاءت من لحظة الدوار والإغماء تلك حيث يحس المصاب باسوداد الدنيا في عينيه قبل فقدانه وعيه وتوازنه.

(٦) الجنية الشحاته:-

من خلال بعض أحاديث الناس اليومية حول موضوع الجن، ظهر لنا جليًا اعتقاد بعض الناس في وجود جنية متخفية في هيئة امرأة (تقليدية) [٥٨٧] متسولة. حيث تعمد هذه الجنية على الجلوس مساء ببعض الطرقات المعلومة على مداخل السوق وهي تمد يدها طلبًا لعون المارة ومساعدتهم. [٥٨٨]

---

[٥٨٦] الجابية: مفرد جوابي، برك صغيرة للماء متفاوتة الحجم والمساحة. قد تكون كبيرة نوعاً ما كتلك التي تستعمل في الأرياف للاغتسال ولري الأراضي الزراعية. أو تكون صغيرة كتلك الموجودة في المساجد القديمة. وهي برك تكون في العادة داخل غرف صغيرة بالجانب الخلفي للمساجد. حيث تخصص للوضوء والاغتسال. كما توجد بالمساجد بركة اكبر منها تكون في الغالب بمكان مكشوف بضاحية المسجد أو عند مدخل المسجد. ويطلق عليها في اللهجة بـ(المغّمص) بتشديد الغين وسكون الميم. وحالياً استبدلت تلك الجوابي والبرك بالحنفيات وحمامات الوضوء الحديثة (التواليت).

[٥٨٧] نقصد بالمرأة التقليدية هنا، تلك المرأة التي يغطيها السواد بإرتدائها (الشقة والبرقع والنقبة) فلا يظهر منها شيء البتة. وهو الزي التقليدي الذي كانت ترتديه في خروجها من المنزل. أما الآن فقد اختلفت الأزياء والألوان.

[٥٨٨] غالباً تشاهد هذه الجنية في المدينة بموضع قريب من مسجد (علي) بعقل باعوين. على طريق الذاهب للسوق أو القادم منها وهذا بالنسبة لسكاني حيي رقة العيدروس والمحط. وهذا الموضع عرف بجلوس العديد من المتسولات فيه حتى في أوقات النهار. وهو موضع قريب من بيوت بعض تجار المدينة.

وتلك الجنية التي لا يبين أو يظهر منها شيء باستثناء سواد (الشقة، العباءة) التي تغطيها من رأسها إلى أخمص قدميها. حيث تمكث في الموقع حتى ساعات متأخرة من الليل. ويبدو أنها مسالمة فلا تعتدي على المارة أو تتحرش بهم بأي صورة من الصور وأحيانا حتى لا تمد أو تظهر يدها للتسول (كون أن كل من تجلس في ذلك الموضع غرضها معروف للعوام، فيرمى لها النقود أمامها). وهي على وداعتها ومسالمتها تلك أيضًا فتاكة بكل من يضايقها أو يعترض طريقها من الناس.

ويروى بأن شخصًا ما، مر بهذا المكان ولاحظ هذه المرأة وأشفق عليهامن دون أن يعرف حقيقتها. فلما اقترب منها سألها بدافع الفضول والوقاحة عن اسمها ومكان إقامتها وألح عليها بالسؤال. وهي تجيبه بصمت أو تطلب منه أن يدعها وشأنها. إلا أنه لم يتركها وشأنها. وبعدما تأكد أن لها إصرار هذا الرجل على فضوله ثارت ثائرتها فانقلبت إلى حقيقتها في صورة جنية مخيفة أخذت تضربه وتلطمه وتسمى هذه اللحظة (أي لحظة لطم وضرب الجني للإنسي) في العرف الشعبي بـ(اللفخة) وقد تطرقنا إليها سابقًا.

ومن الروايات ما تؤكد أن هذا الفضولي قتل على الفور وأخرى تقول إنه أصيب بمرض. وروايات تقول بنجاته منها بأعجوبة. إذ لاذ بالفرار بينما ظلت تطارده وتجري خلفه بين الشوارع والأزقة الخالية من المارة إلى أن وصل لبيته وأغلق على نفسه الباب في اللحظة التي كادت فيها تمسك به. فما كان منها إلا أن مكثت فترة أمام باب داره تطرقه بقوة وتحاول كسره. وبعد أن أعياها الطرق غادرت وهي تتوعد بالانتقام لاحقًا.

والناس تعتقد أن الجن لا تستطيع اقتحام الأبواب المغلقة وأنها متى ماتشكلت في هيئة معينة. فإنها تخضع للقوانين الطبيعية التي تخضع لها تلك الهيئة.

(٧) الجنية أم رِجل حمار

وتعد هذه الجنية من أشهر الجنيات على الإطلاق ليس على مستوى مدينة الشحر وضواحيها أو حضرموت فقط وإنما شهرتها تكاد تكون على مستوى الأقطار العربية كافة وإن تباينت في بعض هذه الأقطار تصوراتهم عنها إلا أنها في مضمونها متشابهة إلى حد كبير. خاصة أن الأدب العربي ساهم في شيوع مثل هذه التصورات عن الجن أو عن هذه الجنية تحديدًا التي حفلت بأخبارها العديد من الكتب وتناقلها وتفنن فيها الرواة والإخباريون. وقد سبق أن أشرنا إلى ماذكره الجاحظ عن الغول وامتلاكه القدرة على التحول في جميع صوره المرأة ولباسها إلا رجليها فلابد من أن تكون رجلي حمار. وهناك بيت شعر نسب لإعرابي انشده للخليل بن أحمد قال فيه:

وحــافر العــير فـــي ســاق خـد لـّجة
وجفن عين خلاف الإنس في الطول [٥٨٩].

إن هذه الجنية كما هي في تصوراتنا الشعبية، توصف على أنها امرأة جميلة بالرغم من ارتدائها اللباس التقليدي الذي يغطي كل جسمها السواد. إلا أن هذا لم يمنعها من إظهار بعض محاسنها ومفاتنها ككفي اليدين البيضاء المزينة بالحلي والمنقشة. فضلًا عن تضوع رائحة المسك والعطر منها. وهي تتعمد اغواء الضحايا والفتك بهم بعد أن تكشف لهم حقيقتها أو هم يكتشفونها بأنفسهم. ويقال إنه لم يسلم أحد ممن أغوتهم أو استطاع الفرار منها بالرغم من كل محاولاتهم المستميتة. وسناتي لقصتها المشهورة المتداولة نهاية هذه الفقرة.

وثمة العديد من الأخبار المتداولة عن هذه الجنية بمناطق متعددة حيث التي تتباين وتتنوع أخبارها في جزئيات محددة إلا أن مضمونها واحد. وفي حديثه عن الأساطير أورد المؤرخ (حمزة لقمان) قصة شعبية عن الجنية (العرجاء) ونسبها لمدينة الشحر (موضع الدراسة). لم نشأ إيرادها هنا لعدم شيوعها أو ذيوعها. [٥٩٠]

أما عند السقطريين فتدعى الجنية بأم مسامير. وهي في تصوراتهم الشعبية : ((من بعيد تبدو بمظهر المرأة العادية، فلا يظن بها المرء سوءًا عندما يراها. وحينما يقترب منها يكتشف حقيقتها حالما يقع بصره على أسفل جسمها، فلها رجل واحدة أشبه بمسمار حديدي كبير، فيفر منها هاربًا مذعورًا. فيما تقفز هي خلفه على مسمارها الوحيد لتلحق به. وحينما يصل إلى مكان يظنه ملاذًا آمنًا يجد (أم مسامير) هناك. فيهرب إلى مكان آخر لكنه يجدها فيه. وهكذا دواليك. إنها كالكابوس، لا مجال للفرار منها..)).[٥٩١]

والحديث عن أم المسامير هذه يقودنا إلى بيت شعر شعبي يردده البدو في أغانيهم ورقصاتهم الشعبية ذكروا فيه أم المسامير: [٥٩٢]

فر يا طير وخيطك بيدي وتوك اذا باتفر
تجيبك سعاد الزبينة وباتحكمك أم المسامير.

---

٥٨٩ انظر الجاحظ، كتاب الحيوان (٦/٢٢٠)؛ وانظر موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها (١٥/٢).

٥٩٠ لقمان، حمزة، أساطير، مرجع سابق، ص١٢٥.

٥٩١ سقطرى جزيرة الأساطير ص٤٠١.

٥٩٢ أورد هذا البيت المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف في كتابة التراث وصناعة الشعر ص٤٩.

ومن قصيدة للشاعر الشعبي محفوظ العطيشي نورد هذا البيت الذي يقول فيه:

أم المسامير خلت من سرح يضوي
وبن لحول باترده مثل بن زيدان.

وثمة من ذهب إلى أن المقصود هنا بأم المسامير سدة مدينة الشحر (سدة العيدروس). [٥٩٣] وفي جنوب العراق جنية تسمى (أم مساحي) وتصورات الناس عنها لا تختلف عن تصورات الشحريين في أم رجل حمار أو السقطريين في أم مسامير.

ولنلاحظ هنا كيف ارتبطت الجن في العقلية العربية بالمرأة عامة. وفي بعض شعوب أوربا تصوراتهم في (أبو رجل مسلوخة) ويصفه بعضهم بأنه مخلوق نصفه الأعلى كالإنسان ونصفه الأسفل كالحمار وله ذنب وفخذاه مسلوختان، يبدو منهما لحمه الأحمر. [٥٩٤]

ومن أشهر الحكايات المتداولة عن هذه الجنية تلك التي تذهب إلى أن امرأة من نساء المدينة استوقفت في إحدى الليالي سيارة أجرة. وطلبت من السائق إيصالها لموضع ما خارج المدينة. وفي الطريق كان السائق يرمق المرأة بنظرات فاحصة وهو يرى الحلي والجواهر تزين يديها، والكحل يحيط بعينيها. في حين تتضوع رائحة المسك والعطر من ثيابها. فحدث أن سولت له نفسه بمراودة هذه المرأة عن نفسها.

والمرأة لطلبه هذا تتمنع وفي الوقت نفسه ترغبه فيه ليزداد إلحاحا. وما أن ابتعدا عن المدينة حتى بادرته المرأة بالسؤال قائلة: لماذا تتحرش بي؟ أولست خائفًا مني؟ فأجابها السائق بثقه زائدة: ولماذا أخاف منك؟ وهل أنتِ جنية حتى اخافك؟ فسألته: وكيف لك أن تعرف الجنية من دونها؟ أجابها السائق: أن للجنية علامة وهي أن رِجلها رِجل حمار! فما كان من هذه المرأة إلا إن رفعت له رِجلها قائلة له: أمثل هذه؟ فإذا برِجلها رِجل حمار. (وتزيد الحكاية):

وما أن رأى السائق هذا وتأكد له أن لها رِجل حمار. حتى خاف منها وارتعدت فرائصه ليرمي بنفسه من السيارة. وأخذ يهرول باتجاه المدينة والجنية خلفه

---

[٥٩٣] مدينة العرفان.. غيل باوزير ص١٠٨.

[٥٩٤] يونس، عبدالحميد، معجم الفولكلور ص١٤.

تجري للفتك به. وبالصدفة كما تخبر الروايات، شاهد السائق شاحنة تسير على مقربة منه فأخذ يلوح لسائقها للتوقف بعد أن كادت أنفاسه تتقطع.

وما إن توقفت له الشاحنة حتى صعد فيها راجيًا من السائق سرعة التحرك. وعندما أبصر سائق الشاحنة الرجل بهذه الحالة المزرية سأله باستغراب: لماذا هذه العجلة؟ لماذا هذا الجري واللهث ؟ فأخبره الرجل أنه شاهد جنية لها رِجل مثل رِجل الحمار وهي الأن تطارده لتفتك به. وهنا على الفور رفع سائق الشاحنة رِجله قائلًا له: أمثل هذه ؟ فإذا هي رِجل حمار.

إن إغواء الجنيات وإغراءهن للرجال يقترب كذلك مما قيل عن السعالي في الأدب الشعبي العربي. خاصة وأن بعض تلك السعالي تتصور في صور نساء حسان يعملن على أغواء الرجال بشتى الحيل والصور تمهيدًا للفتك بهم وقتلهم.[٥٩٥]

(٨) الجنية الحليلة

رغم عدم وضوح الصورة حول مدلول لفظة (الحليلة) في تصور عامة الناس بحضرموت إن كانت جنية أو روحًا أو إلهامًا. فهي وفقًا لتحليلنا للتصورات الشعبية عنها أنها أقرب للجنية منها لشيء آخر. ومما يرجح هذا ويؤكده أن في جزيرة سقطرى القريبة جدًا من سواحل حضرموت وتحديدًا في جزيرة (عبدالكوري) لفظة (الحليلة) عندهم تأتي بمعنى السعلاة والجنية والأرواح الشريرة. كما تأتي أيضًا بمعنى (الخالة) عند بقية السقطريين.[٥٩٦]

بينما يطلق سكان جزيرة عبدالكوري على (الخالة) لفظة (الحلّة) في حين إن هذه اللفظة (الحلة) عند السقاطرة عمومًا تعني الجني الذكر.[٥٩٧].

وهكذا نجد في النهاية أن ألفاظًا مثل (الحليلة، الحلة، الخالة) ألفاظ مرتبطة بالجن والشر والكائنات المخيفة (السعالي). وحتى تلك اللفظة الأخيرة (الخالة) فلها عند الشحريين والحضارمة عمومًا بمدلول يرتبط بالخوف والشر. فهي لاتعني

---

[٥٩٥] انظر على سبيل المثال ما ذكره المسعودي عن زواج رجل يدعى سعد بن جبير وإنجابه أولادًا منها. كما أخبر المسعودي عنهن أن الواحدة منهن متى ظفرت بالرجل الخالي في الصحراء أو الخراب، فتأخذه بيده فترقصه حتى يتحير ويسقط فتمص دمه. المسعودي، أخبار الزمان ص٣٥. وانظر أيضًا إلى إشارتنا السابقة لأم شلاشل المصرية.

[٥٩٦] سقطرى جزيرة الأساطير ص٤٠٢.

[٥٩٧] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

كظاهر اللفظة شقيقة الأم. وإنما تطلق أيضًا على والدة الزوج ووالدة الزوجة. والمتتبع لمواضيع الأدب الشعبي المحلي سيجد الكثير من الدلائل والإشارات التي تربط بين الخالة (زوجة الأب) وبين الشر. [٥٩٨]

ومن معاني (الحليلة) في اللهجة المحلية الزوج أو الزوجة وهي فصحى ولكنها نادرة الاستعمال بمدلولها هكذا. كما أن معناها الفصيح الآخر (الجارة) فلا يستعمل على الإطلاق في الأحاديث اليومية. ولعل لفظة الحليلة كمفهوم عام على الصعيد الشعبي اشتقت من لفظة (الحلال) أي الزوج أو الزوجة الشرعية. أو من فعل (حلّ في) بمعنى سكن وأقام في لسكنها وجدان الشاعر. ومثلها لفظة (السُكْن) بضم السين وسكون الكاف. التي تعني محليًا الجن إجمالًا.

والحليلة كما هي بتصوراتنا الشعبية لا تحل أو تسكن إلا بأجساد كبار الشعراء وعقولهم خاصة وهي كما يعتقد فيها، مصدر وحيهم وإلهامهم. حيث تحل فيهم من دون سابق إنذار أو استئذان. وكثيرًا ما تنغص على هؤلاء الشعراء راحتهم وتوقظهم من نومهم لتوحي لهم بإلهامها الشعري. ونادرًا ماتخون هذه الحليلة صاحبها في جلسات الدان وفي مساجلاته الشعرية التي يقتضي فيها ارتجال الشعر والرد على الخصم.

وهكذا بالرغم من عدم تحديدنا وبدقة لماهية الحليلة خاصة عند الشعراء، ان كانت روحًا أو جنيًا أو إلهامًا أو هي كما في تصور قدماء اليونان ربة للشعر.

نكاد نقول إنها الجنية الوحيدة (ككائن مجرد) التي يرغب الناس بالاتصال بها (الشعراء خاصة) وأن تحلّ فيهم وتتلبسهم لتساعدهم في إلهامهم وتفوقهم الشعري على خلاف كل شخصيات الجن الأخرى التي يشمئز حتى من مجرد ذكرهن والخوف والفزع من سماع أخبارهن أو توقع حضورهن في المكان.

ومن الواضح أن هذه الجنية الملهمة للشعر ليست خاصية بنا وحدنا وإنما هي من صميم وعينا العربي المتواتر من العهد الجاهلي وهي من مخلفات وادي عبقر. وكتب الأدب مليئة بالأخبار عن أولئك الشعراء المشهورين الذين اشتهروا بامتلاكهم الشياطين الملهمة. نذكر منهم على سبيل المثال امرأ القيس الكندي وشيطانه (لافظ) والنابغة الذبياني وشيطانه (هاذر) وعبيد بن الأبرص ويطلق على شيطانه (هبيد)

---

[٥٩٨] انظر فقرة الخالة ورمزية الشر. من كتابنا هذا.

بينما الأعشى شيطانه (مسحل). وقيس بن الخطيم شيطانة (ابو الخطّار) [٥٩٩] مع ملاحظة أن أسماء شياطين هؤلاء الشعراء هي أسماء ذكورية. في حين أن اسم الحليلة مؤنث. نقول هذا بالرغم من قول الشاعر أبو النجم العجلي:

انـي وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر.

والحديث عن الحليلة وصلتها بالإلهام الشعري قد تكون له دلالات أسطورية تتقارب في بعض مضامينها كما أشرت من آلهة وربات الشعر اليونانية. وبما إن الإسلام قضى على أي فكر مرتبط بالأرباب والوثنيات الأخرى. استعاض الوجدان الجمعي بدلًا من الآلهات بالجن والعفاريت بوصفها كائنات مجردة ولكن (معترفًا بها دينيًا واجتماعيًا).

وثمة علاقة ترابطية بين الجن والشياطين وقول الشعر. كما نفهمه من قوله تعالى في سورة الشعراء: ((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)) الآيات (٢٢١-٢٢٦).

والحليلة كمصدر للإلهام في فكرنا الشعبي لم يختص بها شاعر محدد دون غيره حتى تنتسب إليه وحده. وإنما أصبحت ذات نسب عام ينتسب إليها أو ينسبها لنفسه كل ملهم من الشعراء الشعبيين ومن يدّعي صلته بها. فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول الشاعر الكبير حسين أبو بكر المحضار في إحدى قصائده:

البارحة علّ مني رقـــــادي ومسيت وحدي أطرب ونـــــادي
ياهـاجسي ليه وين الحليلة لي كنت أحبه مابنسى جميـله

وهذا شاعر آخر يقول:

يا الحليلة وراش اليوم قد لونش غبر
شفت راسش بيض والشيب سينة بسينة
عبرتي ع بحور النيل والبحر الحـمر
لي فيه الصـدف واللـول عيـنه بعينه

وهذا الشاعر الشعبي سالم المردوف الحامدي الشعفي يقول في إحدى قصائده [٦٠٠]:

---

٥٩٩ لمزيد من التفصيل انظر: ابن شهيد، رسالة التوابع والزوابع. ولابن شهيد نفسه وكما يدعي شيطان يدعى زهير بن نمير.

ذا فصل والبارحة هاجسي صـال　　من غيل يشرب ومن ماء الحياة

إلى أن قال:

معــــــي حليلة لها ميتين فـــال　　تعلم خوافي أمور أمغيبـــات
من قوم هود ساكنة روس الطوال　　وبني هلال اثبتوها في الجهات
واليوم قدها معي ملكي حــلال　　ونا تملــــكتها لما الممــــات.

وهذا الشاعر الشعبي محمد بلفقيه أبو داؤد. [٦٠١] يقول في أحد أبيات قصيدة له:

عبود كلمنا وقال إن الحليلة راقدة　　عبود دهلنا مداهل لي تحير بالذهون.

وهذا الشاعر سعيد سالم بن عبيداللاه (نونة) يقول [٦٠٢]:

مرحيب بالهايس أنا مكسوس في الليل الغدر
نب عا الحليلة لا دعيته منها ساعة تخر
وقلها شي ود نونه ضيق الخاطر ضجر
لاشيء معه جنحه كما الطيار من ذي الأرض فر.

وللشاعر محمد عبد الله السقاف (بانقيل) [٦٠٣] قصيدة شعبية يقول فيها:

الهاجس أعوج والحليلة بنت عرجـــاء　　قلدوا على حصن المصــــلي
واعطوا المروة ذي لأجل أن مت أحيا　　وأنشر خبر كل فعل يلقون

أما الشاعر الشعبي حسن باحارثة فيقول مخاطبًا الحليلة الملهمة:

ما اليوم بان الضوء الأخضر يا الحليلة نقحي
كشفي عن المخفي ولازم خلي المخفي يبين.

---

٦٠٠ توجد أبيات أخرى لهذه القصيدة وردت في بحث للأستاذ عمر محفوظ باني بعنوان (الأدب الشعبي). مجلة آفاق العدد (١٤) السنة التاسعة، نوفمبر، ١٩٨٩م ص٢٩.

٦٠١ ترجمته في معجم شعراء العامية ص٣٠٠.

٦٠٢ الصبان، عبدالقادر، الشعر الشعبي مع المزارعين ص٣٦.

٦٠٣ ترجمته معجم شعراء العامية الحضارمة ص٣١٤.

وللشاعر عبدالرحيم عبد الله مشمع باوزير [٦٠٤] قصيدة في إحدى المناسبات قال فيها:

فصل والثاني هاجسي جانا صبح وعشية
والحليلة في وسط رأسي كالرعد الحنان
خص من جانا قال شاعر بسلام وتحـــــية
والجماعة لي هم ضوونا والاهل والجيران.

ولعل أكثر الشعراء الشعبيين الذين قدموا لنا وصفًا لهذه الحليلة وماجرى له معها منذ البداية عندما تمثلت له في هيئة فتاة جميلة ومادار بينهما من أحاديث انتهت بالعهد بينهما هو الشاعر الشعبي سالم ناصر بن حيمد وفي رواية أنه لأخيه سعيد. وهي القصيدة التي يقول في مطلعها:

قال بو ناصر بيتت ليلي ساهر
والنجم فوقي زاهر والحال عندي ميدان

إلى أن قال:

قالت اني جـــنية من مخلصات النية
بابرد بك الحنية وقت الزمل والرميان
واسمي الحليلة قزعة وخوان عندي سبعة
وأمي من أهل النقعة وبوي من اهل بيحان
واليوم إني قد جيتك وهويتك ورضيبك
وقد غواني سيطك باسقيك غبة سيلان

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة. [٦٠٥] ويقول الشاعر العطيشي في إحدى مسرحاته:

الباقي الله ماتت أحليلتي والهاجس ورد
ولعاد نعرف للمريكوزي ولا شرح الحجور

.

وهذه الحليلة كما يبدو في فكرنا المحلي تتجاوز حتى الشعراء أنفسهم. لتحل أو تلتبس فيمن يتفاعل مع كلمات أولئك الشعراء أو مع ألحان قصائدهم أو رقصاتهم

---

[٦٠٤] ترجمته في مدينة العرفان، غيل باوزير. ص١٢٣.

[٦٠٥] انظر القصيدة كاملة، مدينة العرفان، غيل باوزير ص١٢٩-١٣٠.

الشعبية. سواء كانوا مغنين أم عازفين أو راقصين وخاصة عندما تبلغ نشوة الطرب Ecstacy [٦٠٦] بأحدهم حد الانفعال المتطرف فيصابون بأعراض تتشابه مع أعراض مرض الصرع أو مس الجن أو يصابون بفقدان الشعور والاغماء.

والشخص الذي يمر بهذه الحالة يوصف بانه شخص (يسوكن) وهي مشتقة من لفظة السكن (بمعنى الجن محليًا) أو السكوكن وهذه تعنى أبناء الجن.
فالحليلة هنا تحمل دلالة أخرى لا تخلو من عدوى الانتقال من الشاعر الملهم إلى الراقص المنتشي.

والناس تصف حالة ذلك الراقص المنتشي وتفاعله مع الرقصة أو مع الأغنية ليفقد بعدها وعيه أو توازنه فيسقط على الأرض كالسكران أو يتلوى كالثعبان. توصف هذه الحالة بأن الحليلة أصابته أو حلت فيه وأنه أصبح (يسوكن) بالعامية.

وتصور الناس في الحليلة ودورها في إلهام الشعراء وصقل قرائحهم أدى إلى تصور العامة أيضًا في أن للشعراء الشعبيين وخاصة الكبار منهم، نبوءات وأنهم مطلعون على خفايا الأخبار والأحداث السائرة. وقد أشرنا لهذه الفكرة سابقا عندما تعرضنا للكهانة.

ولعل هذا أيضًا ما دفع بالعامة أن تتابع وبشغف شديد كل مايتفوه به أولئك الشعراء من أبيات وقصائد وتقف عند مفرداتها ومعانيها متأملة لها وفاحصة ومدققة في كلماتها وما ترمى إليه. وهو ما دفع بالكثير من متذوقي الشعر العامي إلى حفظ الكثير من تلك القصائد التي لولا ذاكرتهم لفقد هذا القليل المتبقي الذي بحوزتنا اليوم.

ولعل أشهر الشعراء الذين اهتم العامة بقصائدهم وتأمل مضامينها وما ترمى إليه من خفايا وتنبؤات نشير على سبيل المثال لا الحصر إلى الشاعر الشعبي المعلم سعيد عبد الحق الدموني [٦٠٧] سعيد عبد الله قشمر. [٦٠٨] عمر بن شيخ باوزير [٦٠٩]

---

[٦٠٦] عرف قاموس الأنثروبولوجيا هذه الحالة (نشوة) بأنها: ((ابتهاج غامر وحالة من الطرب والانشراح العاطفي المفرطين تنتهي باستسلام الفرد إلى الإغماء وفقدان الشعور فقدانا تاما. وتتميز هذه الحالة بانقطاع العلاقة بين النشوان وبين العالم المحسوس حوله. ورؤية الأطياف، وبادعائه الحصول على معرفة مقدسة. وكان طلاب النشوة يحصلون عليها في الأزمنة السابقة بتناول العقاقير، وبالصوم، وبالجلد بالسياط، وبالرقص العنيف المتصل. وكانت تعد حالة من تلبس الأرواح.. إلخ)) انظر المرجع ص٢٩٢.

[٦٠٧] له ترجمة في معجم شهراء العامية الحضارمة ص١١٦.

[٦٠٨] انظر ما جاء في ترجمته مدينة العرفان، غيل باوزير ص٧٨.

[٦٠٩] انظر ما جاء في ترجمته في المرجع السابق ص٨٥.

سعيد فرج باحريز، محمد أحمد بن هاوي (بو سراجين) سالم عبود بانبوع، سالمين سعيد بن حريض (كعموم)[٦١٠] والشاعر معلاق والشاعر حسين المحضار وغيرهم.

(٩) جنية الشيخ سعد وأم الدويلة:

في التصورات الشعبية بمدينة الشحر ومثلها ببقية مناطق حضرموت ثمة اعتقاد كبير في الأولياء تصل إلى درجة التقديس والتعظيم ونسب الخوارق لهم. فضلًا عن اعتقاد العوام بامتلاك هؤلاء قوى خفية كالجن والعفاريت تساعدهم في التغلب على أعدائهم وعلى أفعال الخير غير الاعتيادية.

وبطبيعة الحال إن اعتقادات كهذه أكسبت هؤلاء الأولياء عند العامة هالة خاصة باعثة في النفوس مزيجًا من الرهبة والخوف وهي المشاعر نفسها التي لم تختف بوفاة أولئك الأولياء وإنما صاحبت تصورات العامة فيهم وفي أولادهم وأحفادهم من بعدهم. وهذا المزيج من الرهبة والخوف جعلت الناس تخشى حتى الاقتراب من بيوتهم خوفًا من أن تصيبهم هتفة ما (لعنة) إذا هم لم يحسنوا التصرف أو إن الجن التابعين لهم قد يتسببون في جلب المضرة لهم.

وثمة الكثير من قصص الجن المشهورة المرتبطة بالأولياء يتداولها العوام وكأنها حقيقة منها على سبيل المثال هذه الرواية التي تتحدث عن وجود سُكْنيّة (جنية) نسبها الوجدان الجمعي للشيخ سعد الدين الظفاري. [٦١١] (ت: ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) وهو أحد أقدم وأشهر الأولياء المتصوفين في المدينة. وفي الحقيقة إن هذه النسبة لا دخل للشيخ سعد سالف الذكر فيها وإنما تخص أحد أحفاده اللاحقين ويدعى (سعد بن سعيد الظفاري) وهو من الشخصيات التي اشتهرت بالظرف وخفة الروح وافتعال النكات[٦١٢] توفي تقريبا في (رجب سنة ١٣٧٨هـ/ يناير ١٩٥٩م).[٦١٣]

---

[٦١٠] انظر ترجمته المرجع السابق ص١٠١.

[٦١١] لمعرفة المزيد من ترجمة الشيخ سعد الدين الظفاري، انظر باعكيم، عادل، أريج الياسمين في ترجمة تاج العارفين الشيخ سعدالدين بن علي الظفاري، طباعة مطبعة وحدين الحديثة للأوفست، ط١، ٢٠١٦م؛ السكوتي، أنور، المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام ص١٧١.

[٦١٢] له ترجمة في كتاب باعكيم، عادل، أريج الياسمين في ترجمة تاج العارفين الشيخ سعد الدين بن علي الظفاري، مرجع سابق ص١٠٥–١١٠. وانظر طرفا من أخباره، السقاف، إدام القوت ص٢٠٤.

[٦١٣] باعكيم، المرجع السابق ص١١٠. وفي هامش إدام القوت توفي ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. انظر المرجع السابق الصفحة نفسها.

إن نسبة العوام هذه الجنية للشيخ سعد تحديدًا بسبب وجودها الدائم بين مقبرة الشيخ سعد وبين بيت أحفاده القريبة من هذه المقبرة. وهو أقصى حد لحارة المجرف وتليها حارة المجورة. كما توجد هذه الجنية أيضًا بين مقبرة الولي (سالم بن عمر العطاس) وبيت أحفاد الشيخ سعد المذكور. وهي مساحة لا تتعدى ٥٠٠ م٢.

حيث شاع لدى العامة أن هذه المنطقة المحددة توجد فيها جنية شريرة تظهر في الليل وتتربص بالمارين بهذه المنطقة وغالبيتهم من بحارة وصيادي حارتي المجورة والمجرف القادمين كعادتهم اليومية من السوق إلى بيوتهم. إذ وكما في تصورات العامة تظهر لهم فجأة من بين القبور وتعمل على إخافتهم وبث الرعب في قلوبهم. وخاصة عندما يكونون فرادى. وكما يقال لا أحد نجا من شرها إلا من حالفه الحظ ونفذ بجلده قبيل أن تلقي القبض عليه وتفتك به (انظر اللفخة).

ولعل هذا مايفسر أنه والى فترة متأخرة كانت عودة صيادي المجرف والمجورة من السوق أو من مقايل السمر إلى منازلهم ليلا يكون في جماعات جماعات. تحاشيًا اعتراضات هذه الجنية لهم إن كانوا فرادى. ومرورهم من هذا الطريق بالذات كونه يعد الطريق الأقصر لبلوغ منازلهم.

ويزعم هؤلاء البحرة (الصيادون) أن هذه الجنية وحينما تعترض طريقهم فرادى يفرون منها خوفًا ورعبا تاركين خلفهم ماكانوا يحملونه من أطعمة وأغراض. وانهم إذا ماعادوا كمجموعة للبحث عما ترك وراءهم من أعراض لم يجدوا لها أثر. وبسببها أصبح هذا الطريق بالنسبة للصيادين وغيرهم ممرًا للرعب في الليالي المظلمة لايجرؤ أحد عبوره إلا إن كانوا جماعات تفاديًا ملاقاة جنية الشيخ سعد.

وعلى الرغم من اكتشاف هوية هذه الجنية مع مرور الوقت ارتبط بهذا الموضع من خوف ترسب في ذهن بعضهم جعلتهم لليوم يخشون المرور به ليلًا خوفًا من الجان أو الجنية المقيمة فيه التي تعارف على تسميتها بـ(سكنية الشيخ سعد).

وهوية هذه الجنية المزعومة افتضح أمرها وكشف سرها. فتروى بعض الروايات أنها لإحدى الخادمات لدى عائلة احفاد الشيخ سعد [٦١٤]التي كانت تتسلل إلى المقبرة خفية في كل مساء وتكمن مختبئة بين بعض القبور والأضرحة المنتشرة لتتربص بضحاياها الصيادين. حيث تظهر لهم فجأة من بين القبور مغطيها السواد من قمة رأسها إلى أخمص قدميها (مرتدية الشقة (زي شعبي للنساء)) وتصدر همهمات

[٦١٤] سبق أن أشرنا إلى الشخصية الظريفة الشيخ سعد بن سعيد الظفاري. ومحتمل جدا أن يكون هو من خلفها بغرض الإضحاك وافتعال المقالب.

وأصواتًا تخيف هؤلاء الصيادين وتجبرهم على الفرار تاركين خلفهم عشاء أبنائهم وزوجاتهم. لتأخذه هذه الخادمة لنفسها. وإنه بعد كُشِف أمرها من قبل أسرة احفاد الشيخ سعد طردت من البيت ولم يعلم أحد بخبرها بعد ذلك.

بينما روايات أخرى تؤكد أن بتلك المنطقة التي حددناها سلفًا توجد جنية حقيقية يطلق عليها بـ(أم الدويلة) [٦١٥] وهي دائمة الظهور بين هذا الموقع المحدد وموقع آخر قريبًا من بيت (آل بن طالب) [٦١٦] بحارة المجورة. قريبًا من الساحة التي يقيم فيها أهالي المجورة رقصة شعبية لهم تسمى (الغية) ويزيد بعضهم انها تابعة لأسرة مشهورة في ذلك الحي دائما تلجأ إلى منزلهم أو تجلس على مدخل باب الدار لحراسته. ويعدها بعضهم من الجن الصالحين. [٦١٧]

أما آخرون فيصفون هذه الجنية بأنها من أكثر الجنيات شرا وفتكا بالناس. كما ان شهرتها تفوق بكثير شهرة جنية الشيخ سعد المذكورة.

ويحكى بعض الأهالي عن أناس شاهدوها وجرت لهم معها حوادث كادوا يهلكون فيها لولا أن نجاهم الله منها. من هذه الحكايات التي يرويها العامة ومشهورة بينهم قصتها تلك التي حدثت مع رجل مسن من سكان حارة المجورة يدعى (خيري) إذ طاردته هذه الجنية في مساء إحدى الليالي ولم يُنَجِّه منها غير قارب على شاطئ البحر ركبه وتوسط فيه. فلم تستطع بلوغة وإنما أخذت تدور حول القارب وهي تردد في غيظ (كيدتني الله يكيدك.. كيدتني الله يكيدك) [٦١٨] إلى أن طلع الفجر لتختفي بعدها.

(١٠) الجنية فاطمة بنت عوض

واسم هذه الجنية يتردد ذكره عند بعض كبار السن المنتمين لفئة الصيادين، من دون أن يحدد لنا أحد منهم خصائص هذه الجنية وميزاتها أسوة بغيرها كأم السلاسل أو أم الصبيان. إنما يكتفون بالقول إنها جنية عظيمة تلقوها سماعًا من صيادين آخرين.

---

[٦١٥] الجنية أم الدويلة: لا يعلم سبب تسمية العامة لها بهذا الاسم. ومن المحتمل ان تكون هذه التسمية جاءت من اعتقاد العامة انتماء هذه الجنية لأسرة من السادة العلويين يطلق عليهم آل مول الدويلة.

[٦١٦] ينتسب آل بن طالب أيضًا للسادة العلويين الحضارمة.

[٦١٧] انظر ما كتبناه عن البركين في هذا الكتاب.

[٦١٨] هكذا يلفظها الرواة (الصيادين) مؤكدين أنهم تلقوها هكذا. وحقيقة لم نقف على معنى للفظة (كيدتني) في اللهجة الشحرية، وإن كنا من باب الافتراض نرى أن اللفظة تعني (قيدتني، الله يقيدك) في دلالة لعدم تمكنها من الإمساك به.

وأثناء بحثنا عن هذا الاسم وجدنا كمقاربة أن لدى إخوتنا الظفاريين بعمان اعتقادًا شعبيًا بوجود ساحرة تدعى (فاطمة بنت عوض) يقول مصنف كتاب لغة عاد: ((.. حيث إن الخور يوصف في المعتقدات الشعبية بأنه مكان لتجمع السحرة وإن مؤتمرات سنوية تعقد هناك برئاسة رئيسة هندية تسمى بالشحرية (قرشوم) وبالعربية المحلية (فاطمة بنت عوض). ويقال إنه أثناء المؤتمر تُذبح الناس على اختلاف أعمارهم وكذلك الحيوانات وتحدث ضجة كبيرة ونيران كثيرة جراء الطبخ)). [٦١٩] فهل انتقلت منهم إلينا؟ أم العكس هو الصحيح؟ أم هو تصور واحد يؤكد عمق الارتباط التاريخي العميق بين الظفاريين من جهة والشحريين (سكان المدينة) من جهة أخرى وقد اعترى بعضه التحريف والتحوير؟.

---

[٦١٩] الشحري، علي أحمد، لغة عاد ص١١؛ ولعل هذا يشبه تلك المحافل الشيطانية في أوربا وكان يحضرها السحرة والساحرات كمحفل يوم السبت. انظر معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية ص٢٣، ص١٣٦.

عفاريت جبل ضبضب

سبق أن تطرقنا إلى جبل ضبضب [٦٢٠] وما تواتر عنه من اعتقادات تذهب إلى أن ساكنيه القدامى من أقوام عاد وهم أسلاف الشحريين اليوم وفقًا لتصورات بعض الناس [٦٢١]. كما تطرقنا أيضًا إلى تلك الرحلات التي قام بها بعض الباحثين وعلماء الآثار وآخرين من الهواة والفضوليين لمعاينة هذا الجبل عن كثب. حيث خرج الجميع بانطباعات متنوعة عنه.

كما أشرنا أيضًا إلى تلك الرحلة الاستكشافية التي زارت الموقع وفيها المؤرخ الحضرمي صلاح البكري ومرافقوه وذلك سنة ١٩٤٧م. وأوردنا فيها أيضًا رسمة للمغارة كما صورها لنا البكري [٦٢٢].

أما في فترات سابقة فلم يمتلك أحد الجرأة والشجاعة ليتمكن من الصعود إلى الجبل والبحث في خباياه وذلك خشية مما اعتقد فيه أنه مسكون بالجن والعفاريت. وهم حراس الكنوز المخبأة بمكان ما من هذا الجبل وتلك الكنوز تعود إلى أقوام عاد.

وتذهب الروايات الشعبية المتداولة إلى أن تلك البعثة التي لم تذكر هذه الروايات أيًا من شخصياتها أو أبطالها كانت مكونة من مجموعة من علماء الآثار الإنجليز (هكذا كانت الرواية، إذ ثمة اعتقاد يشير إلى أن كل الأجانب الذين زاروا المنطقة هم من الإنجليز) ويعاونهم في عملهم عدد من أبناء البلاد. وكان هدف البعثة سبر أغوار هذا الجبل والعثور على كنوزه وآثاره. إلا أن محاولاتهم المتعددة تلك كما تذهب الرواية الشعبية باءت جميعها بالفشل نتيجة للحماية القوية لحراس كنوز المغارة من الجن والشياطين. وإن أولئك العلماء حاولوا الاستعانة بـ(الفوانيس

---

[٦٢٠] جاء عن جبل ضبضب في معجم البلدان للمقحفي: ((جبل كبير مشهور يقع خلف مدينة الشحر من الجهة الشمالية الشرقية. وهو جبل أثري ويبعد عن الشحر بنحو ٢٥ كيلا، وعلى سفحه الغربي طريق مرصوص بالأحجار ظاهر بشكل بارز ويشبه خطًا منكسراً. وفي قمة الجبل حفرة ضيقة الفوهة يخرج منها بخار ساخن. وفي سفح الهضبة الجنوبية المجاورة للجبل توجد مغارة محفورة في الصخر، وعلى جوانبها مصاطب أشبه بمقاعد عريضة تراكمت عليها أحجار تساقطت من السقف. وهناك قبر منبوش منحوت في الصخر ويظهر أنه نقش منذ عهد بعيد. وتتصل هذه المغارة بكهوف أخرى يصعب الوصول إلى آخرها للضغط الشديد داخلها وانعدام الأكسجين. ولعل الجبل سمي نسبة إلى قبيلة (بني ضبضب) أحد بطون المهرة القضاعية. وهم قبيلة اشتركوا في الفتوحات الإسلامية، وكان منهم طائفة كبيرة في جيش عمرو بن العاص. ومن هؤلاء سعدان بن مبروك الضبضبي، أحد قادة شرطة عمرو بن عبدالعزيز الأموي بمصر. (٩٣٩/١)).

[٦٢١] يظن بعضهم مثل هذا الاعتقاد، رغم أن العديد منهم هم من قبائل وعشائر عربية متفرقة قحطانية أو عدنانية معلومة.

[٦٢٢] انظر الفقرة الخاصة بجبل ضبضب وآثار قوم عاد من كتابنا هذا.

والتركة) (٦٢٣) لسبر أغوار بعض الكهوف والمغارات العميقة الموجودة داخله ولكن بدون جدوى. حيث تقوم العفاريت بالنفخ على هذه الفوانيس فتنطفئ قبل أن تبلغ قاع المغارة. وأن كنا نعتقد أن سبب انطفاء الفوانيس عائد إلى نقص الأكسجين داخل تلك المغارة العميقة.

ومن الطرائف التي سمعناها ورأينا بطلها عندما كنا صغارًا أن شخصًا من أهالي الشحر يلقب بـ(كيزور) (٦٢٤) وهو بطل القصة وبصحبته رجل آخر من أهالي الشحر ايضا (لا يتذكر الرواة اسمه). استطاعا النزول إلى تلك المغارة بعد أن عقدا العزم وأعدّا العدة. وهما بهذا سجّلا رقمًا قياسيًا كأول اثنين من سكان المدينة استطاعا النزول لتلك المغارة العميقة والموحشة الشديدة الظلمة. وانهم وجدوا بقاعة المغارة غرفًا عديدة بها من الكنوز مالا يعدّ ولا يحصى. ولا يوجد عندها من يحرسها. وعلى الفور التقط (كيزور) ياقوته كبيرة كانت أمامه وأراد إخفاءها في جونية (٦٢٥) كانت معه. فإذا بعفريت شاهق الطول تشع من عينيه نار يقال عنه إنه حارس المغارة. وبضربة واحدة منه كما يقال قتل على الفور رفيق كيزور. في حين لاذ كيزور بالفرار طلبًا للنجاة والعفريت يطارده من خلفه. وقبيل أن يصل إلى مخرج المغارة تناول ذلك العفريت حجرًا كبيرًا كان أمامه ورمى به كيزور. ولكن ولقدرة الله ولطفه أصاب هذا الحجر كعب الرجل اليمنى لكيزور وأحدث بساقه جرحًا بليغًا ما زال أثره واضحًا على رجله. ولم يتركه ذلك العفريت ينجو بنفسه ويلوذ بالفرار إلا بعد أن رمى بالجونية والياقوته التي بداخلها.

وهذه الرحلة المتهورة جعلت من كيزور يقضي بقية حياته أعرج إلى أن وافته المنية. ولم يعلم بعدها أن أحدًا تجرأ واقتحم تلك المغارة.

عفريت النوبة:

ينسب هذا العفريت إلى الموضع الذي طالما وجد فيه واشتهر به وهو موضع (النوبة). والنوبة لفظة محلية تطلق على برجين يحاذيان طرفي سور المدينة من جهة البحر أحدهما في الطرف الشرقي والآخر في الطرف الغربي ويمتد البرجان عبر لسان لداخل البحر بنحو ٣٠٠ ياردة.

---

٦٢٣ الفوانيس: جمع فانوس. والتركة جمع تريك أو أتريك. وجميعها من أدوات الإنارة قديما تعتمد على مادة البوتجاز.

٦٢٤ يدعى صالح عوض باخاطر. (توفي)

٦٢٥ الجونية: وتنطق يونيه مفرد جواني. كيس أو جراب يصنع من ألياف النخيل وتستعمل لحمل الأرز أو الدقيق ويتراوح حمولتها مابين ٤٠ – ٥٠ كيلو.

ومن الخرافات التي شاعت بين الناس وصدقوها ولو على سبيل الفكاهة والتندر. تلك التي تذهب إلى وجود عفريت عملاق حال (مقيم) بإحدى النوبتين. وفي روايات أكثر من عفريت. يتجلى لبعض الصيادين ليلًا ويخيفهم. [٦٢٦] وخاصة حينما يتهيأ هؤلاء الصيادون للنزول إلى البحر هم وقواربهم. وكثيرًا كما يقال يشاهد هذا العفريت بضخامته الهائلة فوق النوبة الشرقية (بحارة المجورة) أكثر من مشاهدته على النوبة الغربية بحي الخور. وهناك من يزعم بأن وقع إحدى قدميه تقف في نوبة المجورة بينما الأخرى تقف في نوبة الخور. وهذا يعني أن فرجة رجليه تبلغ طول مسافة الشريط الساحلي للمدينة القديمة من جهة طرفها الجنوبي الشرقي حيث نوبة المجورة، إلى طرفها الجنوبي الغربي حيث نوبة الخور بمسافة قد تزيد على الكيلومتر الواحد.

عفريت خرد:

ينسب هذا العفريت لقرية (عيص خرد) التي تبعد نحو ١٥ كم شرق مدينة الشحر. وهذا العفريت لا يراه أو يبصره إلا صيادو السمك من مدينتي الشحر والحامي أثناء اقترابهم ليلًا من البر لمدنهم. إذ يدّعي بعض الصيادين أن هذا العفريت يتراءى لهم بضخامة جثته التي هي كالطود العظيم. ويكاد طوله يوافق جبل ضبضب. وقد أشار الباحث أحمد مسجدي إلى أن هذا العفريت يعمد على إغواء الصيادين بتسليط أضواء تنبعث من البر في اتجاهات متعددة [٦٢٧] توهم الصيادين باقترابهم من ساحل المدينة في حين أنهم يبتعدون عنها.

البركين والصالحين:

ومن الاعتقادات الشعبية التي سادت وعلى ارتباط بالجن ماعرف بـ(البركين). وهذا المفهوم في التصور الشعبي مرتبط أكثر شيء بالجن الصالح (غير الشرير).

والبركين وفقًا لهذه الصفة مشتق كما نرى من مفهوم البركة واليُمن. للاعتقاد السائد أن هؤلاء الجن (البركين) بركة على أصحابهم. فهم ودودون خيرون ولا

---

[٦٢٦] في الباب الخاص بالحكايات الشعبية أوردنا قصة العفريت أبو كعال، وهي على تشابه بما أشيع عن عفريت أو عفاريت النوبة.

[٦٢٧] من الأدب الشعبي للطفل ص١١٨.

يعتدون بأي حال من الأحوال على الناس. هذا إن لم يسعوا في تقديم بعض المساعدة الطبية لهم أو حمايتهم من إخوانهم الجن (الأشرار). وهم يسكنون البيوت كما يوجدون في الطرقات.

ويقال إن هؤلاء البركين من الجن المؤمنين. يؤدون الصلوات الخمس في أوقاتها. كما يصومون رمضان. ويتلون القرآن الكريم. فهم مكلفون أسوة بالإنس. ووفقًا للمعتقد الشعبي يقدم هؤلاء البركين كل المعلومات المطلوبة لمن يتملكهم من الإنس.

وقد شاع بين الناس أن هناك أُسرًا محددة تنتمي لطبقتي (السادة والمشايخ) هم الوحيدون ممن يخضع لهم هؤلاء البركين وينفذون أعمالهم ومطالبهم شريطة أن لا تكون في هذه المطالب أية أذية للناس الآخرين. [٦٢٨] وهذه تعد هبة ومنة وكرامة من الله لهذه الأسر. لذا يشيع أن بيوت هذه الأسر لا تخلو من البركين والجان الصالحين.

وقد يطلق أحيانًا على البركين تسمية أخرى هي: (الصالحون). وقد شرح المؤرخ بامطرف هذه اللفظة العامية وعنها يقول: ((يقال لاتذكروا سيرة الصالحين، أي لا تقصوا علينا حكايات الجن. يقال لا ترم قطًا أو كلبًا بحجر في ظلام الليل للاحتمال أنه من الصالحين (الجن) فيصيبك الأذى منه)). [٦٢٩]

ويبدو أن لفظة الصالحين بمعنى الجن (الصالح) ليست خاصة بنا وحدنا ففي بعض المرويات زعم يفيد أن الأشباح التي قيل إنها تتراءى بصور مختلفة عند قبر شرقي بيت المقدس ويزعمون أنه للنبي موسى عليه السلام. فسرت من البعض على أنها من الملائكة. بينما آخرون قالوا من (الصالحين) أي الجان ينظرهم كل الناس. [٦٣٠]

---

[٦٢٨] مثل هذا الفكر نلمسه كذلك فيما أورده الجاحظ في كتابه الحيوان بعنوان شيطان ضعفة النساك والعباد يقول الجاحظ: ((وضعفة النساك وأغنياء العباد يزعمون أن لهم خاصة شيطاناً قد وكل بهم ويقال له (المذهب) يسرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم وليريهم العجب إذا ظنوا أن ذلك من قبل الله تعإلى)). كتاب الحيوان مرجع سابق (١٩٤/٦)؛ وانظر عنه القزويني عجائب المخلوقات ص ٢٩٧. ولعل مايشابه البركين في الفكر الأنثروبولوجي مانجده على سبيل المثال عند بعض الشعوب البدائية والهنود الأمريكيين من اعتقاد فيما يعرف بالروح الحارسة **Guardian – spirit** وهي كما عرفها قاموس الأنثروبولوجيا: ((روح تتصل بالفرد فتعينه على شؤونه أو تحرسه من المخاطر)) وهناك طرائق خاصة للحصول عليها. للمزيد انظر المرجع المذكور ص٤٢٠ – ٤٢١.

[٦٢٩] بامطرف معجم الأمثال ص٥١٣.

[٦٣٠] القرماني، أخبار الدول (١٤٥/١).

ولفظة البركين تطلق أيضًا على بعض الكائنات الصغيرة الموجودة بالبيوت والمخازن وتتسبب ببعض الآفات والضرر كالفئران أو (العساود) [٦٣١] أو (أم الحبيل) [٦٣٢] وغيرها.

فكثير من كبار السن والعجائز لا يستحبون قتل أي مخلوق داخل البيت حتى وإن كان ضارًا بأقواتهم وأدواتهم المخزونة أو يتهدد حياتهم كالأفاعي باستثناء الأنواع الخطرة منها.

ولعل الكائن المستحب قتله عند كبار السن، نوع من العضاءات يطلق عليها محليًا بـ(الضفة) وبعض المناطق تسميها الصرع أو الوزغ. فهذه الضفة يفضلون قتلها اعتقادًا منهم بأنها هي التي فتنت بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد تطرقنا لذلك سابقًا. أما ماعداها فيمنعون الآخرين عن أذيتها أو قتلها أو إبعادها عن المنزل. قائلين لمن يحاول ذلك: (اتركوهم فإنهم بركون) أي جالبون البركة والخير لأهل البيت. ومن مفاهيم البركة أيضًا أنها ضد الضرر. بمعنى أن الجرذان أو النمل وغيرها لا يأتون بضرر.

واسم البركين وعلاقته بالمتصوفة أو النساك كما ذهب إليه الجاحظ (انظر الهامش السابق) لو تتبعناه من بعض وجوهه يقودنا إلى أقوام من الصوفية كانوا يعيشون في مدينة خنفر بمحافظة ابين يسمون بـ(البركانيين) عنهم يقول المؤرخ (عبد الله الطيب بامخرمه): ويدهم للشيخ موسى بن عمر بن الزغب. وهؤلاء البركانيون يسافرون من الشحر وأحور وأبين ولحج والجبل جميعه وتهامة جميعها. وإنهم يزورون قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحبة الصوفي البركاني. [٦٣٣]

---

[٦٣١] العساود: جمع عسودة، سحلية صغيرة بنية أو برتقالية اللون طولهانحو شبر. تقتات على الهوام والحشرات والقاذورات. انظر فقرة الضفة والعسودة من كتابنا هذا.

[٦٣٢] أم الحبيل: تطلق على نوع من العناكب غير الخطرة التي تنسج حبالها في المخازن والأماكن المهجورة.

[٦٣٣] بامخرمة، عبد الله الطيب، النسبة إلى المواضع والبلدان. ص٢٥٣؛ وانظر السقاف،إدام القوت وزاد في هامشه أن المقصود بالصوفي البركاني هو محمد بن مبارك البركاني، أبو عبدالله. ص٢٧٩. وعن ترجمة أبي عبدالله محمد بن مبارك البركاني، انظر الشرجي، طبقات الخواص ص٣١٣-٣١٤؛ وانظر المقحفي معجم البلدان (١/١٦٠).

الغاوي والخضر:

لم تتحدد بوضوح هوية الغاوي في المخيال الشعبي إن كان جنياً أو آدمياً أو غولاً أو كائناً من جنس آخر. وإن كان عدد من الباحثين يرون أنه من الجن. فقد عرّف المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف هذا (الغاوي) بانه: ((جني يظهر على صورة عصفور في الأودية الخالية. فيحاول الانسان الإمساك به فيطير إلى مسافة قريبة منه. وهكذا يستدرج الإنسان إلى مكان بعيد خال وقلما نجا من أسر الغاوي أحد. وفي الأمثال والتعابير العامية يقال فلان (شله الغاوي) بمعنى أنه تملكته عادة لعب القمار أو شرب الخمور والمسكرات أو غيرها من الرذائل التي لا يستطيع المرء الانفكاك عنها)) [٦٣٤].

وفيما يتعلق بالخيال الشعبي ووفقاً لما تواتر عنه نجد أن هذا الخيال يصور الغاوي غالباً كرجل على هيئة (راعي غنم أو بدوي من سكان الريف) يتجول غالباً بين البراري والوديان القريبة من المدينة. من دون أن يذكر له موضع آخر غير هذا. وكثيراً ما يدعي بعض الناس أن آخرين التقوا به في مسيال (وادي) سمعون الشهير.. فبعد أن يتجسد هذا الغاوي في هيئة آدمية. يقترب بكل أدب واحترام من السائر منفردا ويحاول أن يمنيّه ويغريه بشتى الوسائل والطرق ليتبعه وينقاد إليه. أو يستعمل طرقًا أخرى كأن يجعل السائر في تلك الأماكن الموحشة وكأنه يبصر أمامه حدائق وبساتين تسلب الأنظار وتدهش العقول. أو يريه أكوامًا من الذهب تلمع وقصورًا مزينة عليها فتيات حسان تدعينه للاقتراب. وكلما اقترب منهن ابتعدن عنه قليلا وهكذا إلى أن يجد المرء نفسه في نهاية الأمر في مكان بعيد ومنعزل. حيث تستوحشه البرية ويستوحش منها بعد أن فقد معالم الطريق. وقد تكون في هذه الرحلة الخيالية النهاية لحياته. أو على الأقل إصابته بالغرام (الجنون).

وشخصية الغاوي هذه تتشابه في بعض وجوهها من شخصية الخضر المشهورة [٦٣٥] كما تتداخل معها في تصورات العامة لدرجة الخلط. وإن كان الغاوي وفقاً لمخيلة

---

[٦٣٤] بامطرف, معجم الأمثال ص٥٠٨.

[٦٣٥] تعددت الروايات حول شخصية الخضر بين من عدّه من البشر وبين من رأى أنه ملك أو جني, وبين من قال إنه نبي وآخرين أنه عبد من عباد الله ومنهم من قال بوجوده منذ عصر موسى أو منذ ما قبله وأنه قابل كل الأنبياء واستمراره في الحياة إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم, وبين من ينفي ذلك, وهناك من يزعم بأنه قد شرب من ماء الحياة وبالتالي خلوده إلى يوم القيامة وبين من ينفي ذلك, وبغض النظر عن كنهة وشخصيته الحقيقية بقدر مايعنينا عنها ذلك الذي تكون عن هذه الشخصية وشخصية الغاوي بالمخيلة الشعبية, وقصص الخضر مع البشر حفلت بها العديد من كتب التراجم والأخبار المحلية أو تلك التي تدور حول الكرامات والخوارق. وللمزيد من المعلومات عن الخضر انظر غنمي, سيد سلامة, سيدنا الخضر عليه السلام. دار

الناس مختصًا إما بتحقيق الأمنيات وفي هذه أقرب لشخصية الخضر. أو إغوائهم واضلالهم عن طريق الاستدراج. مع ما في القدرتين من تناقض. والخضر كما هو شائع اختص بالعلم والتنبؤ المستقبلي. وسنأتي إليه.

ومن الطرائف المحلية المتوارثة والمنسوبة للغاوي, أن رجلاً بينما كان سائراً لوحده ذات يوم بمسيال سمعون تحديداً, حيث يكثر وجود الغاوي فيه. حدث أن صادف هذا الغاوي متنكراً بثياب رثة بالية. وفي روايات أخرى ثياب بدوية من دون أن يعرفه هذا الرجل. فلما اقترب منه الغاوي أخذ يخاطب الرجل وبلكنة بدوية قائلاً: (اتمن)؟ بمعنى: ماذا تتمنى؟ وكان هذا الرجل (الحضري) يظن أنه يقول له: (أنت من) أي من تكون؟ فيجيبه الرجل باعتزاز: انا فلان بن فلان. فيكرر عليه قوله (اتمن) ويكرر الرجل إجابته. إلى أن ضاق الغاوي في المرة الثالثة فأنصرف عن الرجل. وبهذا أضاع الرجل على نفسه فرصة ثمينة لا تتحقق كما يقال إلا مرة واحدة في العمر. فلو كان قد طلب شيئاً ما, لتحقق له ذلك على الفور. وهذه القصة السابقة نفسها تنسب للخضر. (٦٣٦)

ونحن لو فتشنا عن اسم الغاوي في تراثنا العربي عامة. لوجدنا أن الغاوي كان لقبًا اشتهر به شاعر عباسي ضرير عاصر الخلفيتين المهدي والرشيد يدعى (ربيعة بن ثابت الرقي) ت: ١٩٨ هـ/ ٨١٣م. كما كان لقبًا لزعيم طائفة الحشاشين الإسماعيليين في بلاد إيران.(٦٣٧) كما لقّب الخوارج الإباضية بالغواة أو الغاويين والمفرد غاوٍ. ولهؤلاء الإباضية حضور قديم وكبير بالمنطقة. وكما جاء عنهم في شعر أبي صخر الهذلي:

الأحمدي للنشر, القاهرة, ط١, ٢٠٠٠م. السماك, أحمد زين العابدين, رحلة من أجل العلم موسى والخضر. أبو اليزيد المهدي, جودة محمد, المعالم الصوفية في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام. شوالي, محمود محمد أحمد, مشارق الأنوار القدسية في سيرة الخضر الزكية.

[٦٣٦] مثل هذا التصور والعلاقة التي افترضناها مسبقاً بين الخضر والغاوي محقق الأماني خاصة, يمكن أن نجد بعضًا من صداها فيما ورد في كتاب المشرع الروي لمؤلفه محمد بن أبي بكر الشلي وذلك في ترجمته لعبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة حيث ذكر فيها: ((وقال بعض تلاميذه أود أن ألقى الخضر وأعقد معه الأخوة فقال سوف تنال ذلك, قال فليقيني الخضر في صورة بدوي كانت بينه وبيني معرفة فعقد معي الاخوة ثم غاب وشممت الرائحة الطيبة فتعجبت من ذلك فأخبرت الشيخ بذلك, فقال ذلك الخضر ثم لقيت البدوي فسألته فقال مارأيتك من كذا)) انظر المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي, محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي, الطبعة الثانية, ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م, ٣٣٠/٢, وقصة أخرى في ترجمة الفقيه المقدم محمد بن علي (صاحب مرباط) المرجع نفسه (١٠/٢). وقد جاء في كتاب المؤرخ عبدالله باحسن, (نشر النفحات المسكية) أن الخضر كثيراً مايرى بمسجد باهارون بالشحر, ص٤٢٠. وكان هذا المسجد خارج السور من الجهة الشمالية الغربية وبمحاذاة مسيال سمعون.

[٦٣٧] جاء ذكر هذا الغاوي كلقب أحد زعماء طائفة الحشاشين بجبل ألموت بفارس, يعمل على تجنيد الناس للاغتيالات عن طريق الإغراء والتخدير. انظر الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب) لكاتب مراكشي مجهول من كتّاب القرن السادس الهجري, نشر وتعليق د. سعد زغلول عبدالحميد, طباعة ونشر دار الفنون الثقافية العامة, بغداد, العراق ص٥١–٥٢. كما أن الغاوي اسم لعائلة حملته العديد من الأسر العربية الأصل القحطانية

قتلنا دعيساً والذي يكتنى الكنى أبا حمزة (الغاوي) المضل اليمانيا
وأبرهة الكندي خاضت رماحنا وبلجا صبحناه الحتوف القواضيا
وماتركت أسيافنا منذ جـردت لمروان جبارا على الأرض عاديا.

فشخصية الغاوي تقترب أكثر ما تقترب من الغواية والضلال منها لتحقيق الأمنيات. ومما يؤكد هذا إلى جانب ما أشرنا إليه مسبقاً. أن لفظة (غوي) كما في بعض المعاجم والقواميس اللغوية: غوى غيّا وغوي غواية: ضل (خاب) والرجل: أضله, غوى وأغوى الرجل أضله, تغاوى تكلف الغي وتجاهل. انغوى الرجل انهوى ومال. استغوى الرجل: أضله, طلب غيه. يقال استغواه بالأماني الكاذبة أي أضله [٦٣٨]. ومثل هذه المعاني نجدها في بعض آيات القرآن الكريم منها في قوله تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)) سورة الاعراف الآية (١٧٥). أو قوله تعالى: ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)) سورة الحجر الآية (٤٢).

ومن جانب آخر نجد أن هناك لفظة اشتقاقية للغاوى يتداولها بدو الشحر في احاديثهم ولكن بمعنى مناقض لهذه اللفظة. ونقصد بها لفظة (التغوي أو التغواة) التي تأتي بمعنى القدرة على التبصر وتجاوز المخاطر إن وجدت. حيث يقال على سبيل المثال: (هل بتتغوى إذا ذهبت هناك ليلا ولوحدك) بمعنى هل ستهتدى إلى الطريق الصحيح وستملك الشجاعة للتعامل مع أي خطر محتمل؟ أم إنك ستضل الطريق وتضيع؟.

النسب الزبيدية القبيلة تتوزع على الاكثر في عمان والعراق وغيرها. انظر العزاوي, عباس, عشائر العراق. وللمزيد انظر أولاد الغاوي قبيلة زبيدية قحطانية لمؤلفه خلف بن محفوظ الغاوي.

[٦٣٨] المنجد في اللغة والأعلام ص٥٦٣.

والغاوي في بعض البلدان يطلق عليه اسم (الغدار) [٦٣٩]. ولعل أقرب ما في أدبنا العربي إجمالا تتقارب بعض ملامحها من شخصية الغاوي وسكنه البراري والقفار تلك الروايات التي تدور حول الغيلان والسعلاة.[٦٤٠] وهذه الكائنات وإن عرفتها الأدبيات العربية وجودها في أدبياتنا المحلية وفي مخيلة الوجدان الجمعي الشحري تكاد تكون معدومة. ولعل اقرب ما يكون من السعلاة في تصوراتنا الشعبية هي الجنية أم رجل حمار السابق ذكرها.

وارتباط الغاوي بطابع استدراج الضحية والفتك بها يتقارب مع التصورات الشعبية لبعض البلدان الأوربية التي تعتقد في الأرواح البحرية أو الدراك Dracs كما يسمونها. وهذه الأرواح كما في تصوراتهم تحتال على النساء خاصة حينما يردن بعض الينابيع الطبيعية. إذ تتشكل لهم في قاع الينبوع على هيئة إسوارة ثمينة أو خاتم جذاب وغيرها من الحلي التي تغري النساء وتثير شهوتهن. فإذا غمست النساء إحدى يديها لالتقاطها جرتهن الأرواح إلى أعماق المياه. [٦٤١]

---

[٦٣٩] الغدار ((أحد الجان الذين كانوا يوجدون في صعيد مصر واليمن ويغوون البشر ويعذبونهم أو يفزعونهم ثم يتركونهم, ويقال إنهم من نسل إبليس وزوجته, وقد خرجوا من بيضة ربما كانت البيضة الكونية)) معجم الفولكلور ص٣٤١. وعن الغدار أيضاً انظر القزويني عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ص٢٩٦.

[٦٤٠] للمزيد عن الغيلان والسعلاة في تراثنا العربي انظر على سبيل المثال موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها, مرجع سابق, (٢/١٣- ٢١)؛ الجاحظ, كتاب الحيوان (٦/١٥٨-٢٠٧)؛ سلمان, مشهور حسن, الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي, دار ابن القيم, ط١, ١٩٨٩م. وفي الفولكلور الهندي على سبيل المثال مايسمى باليبخ YEKSH وعنه جاء ان اليبخ ((شيطان ساخر في شكل حيوان أصغر من القط, داكن اللون, ويرتدي قلنسوة يتصدى للمسافرين ويجعلهم يضلون الطريق, كما جاء في الفولكلور الهندي, ويستطيع اليبخ أن يتشكل في أي صورة وأن يظهر في صورة الانسان, والقلنسوة تشبه الصدفة وتجعل من يرتديها يختفي عن الأنظار...)) معجم الفولكلور ص٤٤١؛ وانظر كذلك معجم الفولكلور ص٣٤١, وقاموس الأنثروبولوجيا ص٣٩٧؛ وكذلك عجائب المخلوقات للقزويني ص٢٩٥ – ٢٩٦. مرجع سابق؛ المسعودي, مروج الذهب (٢/١٢٠) وكذلك كتابه الآخر أخبار الزمان ص١٣. وانظر عنها في مقاربة مع المخلوقة (ليليث) في كتاب لخورخي ل. بورخيس, ومرغيريتا غيريرو (المخلوقات الوهمية) ص٧٥.

[٦٤١] معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا, مرجع سابق, ص٩٨.

شخصية الخضر:

شخصية الخضر[٦٤٢] وفقاً للمخيال الشعبي يعتقد فيه أنه المذكور في القرآن الكريم وهو صاحب القصة المشهورة مع النبي موسى عليه السلام.

والخضر على الصعيد الشعبي يمتلك القدرة على تحقيق أمنيات كل من يصادفهم في البراري والطرقات فبحوزته الخاتم السحري أو كما يسميه بعضهم (خاتم سليمان) وهذا الخاتم يهديه لكل من صادفه ورأى فيه الهداية والصلاح والحظ السعيد.

واسم الخضر هذا لم يرد صراحة في القرآن الكريم وإنما عبر عنه القرآن كما في قوله تعالى: ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)) سورة الكهف الآيات (٦٥-٧٠).

ولعل في الاتباع والانقياد ماقارب بين الشخصيتين (الغاوي والخضر) مع اختلاف بيّن. فأحدهما كما أشرنا يُتّبع للهداية والرشاد والآخر للغواية والضلال.

وأكثر من يزعم ملاقاة الخضر ويهيمون فيه افتتاناً عبر العصور هم الصوفية. وكتبهم مليئة بالأخبار عنه. خاصة وأن الخضر عندهم يعد أحد مصادر التلقي والكشف. كما يعد لديهم مضرب المثل في العلم الزاخر والحكمة وفي الصبر والإناءة. وهو شيخ الزهاد والمتعبدين والمعمرين عبر طول الأزمان. كما أنه نقيب الأولياء وهم الأكثر ادعاء من بين البشر ملاقاته. ولعل في هذا أيضًا مايفسر مدى ولوع الصوفية الحضارمة باللون الأخضر الذي يعد لون الخرقة التي يُلْبسّها شيخهم للمريد[٦٤٣] والتي اقتصرت اليوم على الشال الأخضر. وكذلك الطائر الأخضر.

كما إن للخضر وأخباره حضورًا واسعًا في فكر العامة وتصوراتهم خاصة وأن مصنفات رجالات التصوف في مناقب أعلامهم وبما احتوته من أخبار لذوي الولاية والكرامات حفلت بالكثير من أخبارهم مع الخضر وهي لاتحتاج جهدا في

---

[٦٤٢] ثمة روايات تذهب إلى أن اسمه إيلياء بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخد بن سام بن نوح. وأن الخضر لقبه, فحيثما يجلس يخضر ما حوله. ومنهم من قال إن اسمه هو الخضر بن ميشا بن أفرائيم بن يوسف الصديق.. للمزيد عنه انظر القرماني, أخبار الدول (١٢٢/١).

[٦٤٣] عن خرقة التصوف كمصطلح انظر مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية مج ٤٤, ص٨٣؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦٢٣٩/٢٠)؛ الحبشي, عبدالله, الصوفية والفقهاء في اليمن ص٢٨؛ باوزير, الفكر والثقافة ص١١٠.

البحث لمن أراده في تلك المصنفات. وعنهم شاعت وذاعت بين العوام وأصبحت جزءًا أصيلًا من ثقافتهم ومعتقداتهم، خاصة وأن مثل هذه الأخبار لم يتوانَ معتقدوها عن إشهارها وإعلانها على المنابر وفي حلقات الذكر كنوع من الحقائق التي تتوجب على المرء الإيمان بها.

ويظن العامة كما أشرت أن الخضر يملك ما يسمى بـ(خاتم سليمان) [٦٤٤] وهو الذي يمكنه من قدراته وخوارقه تلك. وبه أيضًا يساعد كل من يصادفهم في طريقه من المسلمين بعد أن يختبرهم اختبارات بسيطة. ولنا أن نتصور الواحد مدى السعادة والنعيم التي سينالها كل من لقيه وصادفه ونال عطاءه. وكثيرة هي تلك الفرص التي أضاعها أصحابها أثناء ملاقاتهم الخضر لعدم معرفتهم التامة به وبأحواله.

جاء في كتاب (المشرع الروي) لمؤلفه (محمد بن أبي بكر الشلي) وذلك في ترجمته للشيخ عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة حيث ذكر فيها: ((وقال بعض تلاميذه أود أن ألقى الخضر وأعقد معه الأخوة فقال: سوف تنال ذلك. قال: فلقيني الخضر في صورة بدوي كانت بينه وبيني معرفة فعقد معي الأخوة ثم غاب وشممت الرائحة الطيبة فتعجبت من ذلك فأخبرت الشيخ بذلك. فقال ذلك الخضر ثم لقيت البدوي فسألته فقال ما رأيتك من كذا)). [٦٤٥]

في فقرات سابقة وأثناء حديثنا عن الديانة المسيحية وانتشارها في حضرموت تعرضنا لمسجد سرجيس أو جرجيس القائم بتريم وأشرنا إلى بعض الآراء التي تذهب إلى أن هذا الاسم نسبة إلى القديس جرجيس. وفي اعتقادات النصارى كذلك ارتباط وثيق بين القديس سرجيس هذا والخضر عليه السلام بل ومنهم من عدّ الشخصيتين شخصية واحدة. ولا غرو أن نجد في تصورات الحضارمة المؤمنين بذلك الفكر أن ذلك المسجد يوجد فيه الخضر عليه السلام [٦٤٦]. تماماً كما قيل عن

---

[٦٤٤] انظر ماكتبناه عن الخاتم السحري في كتابنا هذا.

[٦٤٥] الشلي, محمد بن أبي بكر, المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي, الطبعة الثانية, ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م,(٣٣٠/٢).

[٦٤٦] في حديثه عن مساجد تريم أشار الباحث حامد بن محمد بن شهاب في كتابه الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم نقلاً عن كتاب المشرع الروي قوله: ((منها مسجد سرجيس المشهور, وبالعبادة معمور, اجتمع كثير من الصالحين بالخضر عليه السلام فيه. ومن لازم فيه العبادات وحضور الجماعات وجد لذلك تأثيراً عظيماً كما وقع لكثير من أهل السلوك)) بن شهاب, الدليل القويم ص١٥٦, ص١٦٥.

كثرة وجود في مسجد باهارون بمدينة الشحر [٦٤٧] أو مسجد ابن عمران [٦٤٨] الواقع على المدخل الشمالي لسوق شبام.

وقد سبق أن أشرنا إلى ما ذكره المؤرخ عبد الرحمن السقاف أثناء حديثه عن مدينة الحامي وتصورات العوام حولها بهذا الشأن. إذ كتب يقول: ((وفيها شبه من الشحر من بعض النواحي. لولا ما يتخلله من أشجار النخيل. ويقال إن أهلها أحسن أخلاقاً من أهل الشحر. ولما سمع هذا بعض أهل الشحر.. قال: إن الأمر بالعكس وإنهم ليضنون حتى بالماء. ويقولون لمن طلب شربة ماء: إنه حامي لا يصلح للشرب. ويتأكد هذا بما قيل: إنهم الذين امتنعوا من ضيافة الخضر وموسى. وإن الجدار الذي أقامه الخضر كان بالحامي لما تحته من كنز الغلامين اللذين كان أبوهما صالحاً..)) [٦٤٩].

الخضر وإلياس:

ويلاحظ أيضًا اقتران شخصية الخضر بشخصية أخرى وهي شخصية (إلياس) [٦٥٠] وإن كانت هذه الأخيرة في التصور الشعبي الشحري أقل شهرة من شهرة الخضر. نقول هذا بالرغم من اقتران هاتين الشخصيتين ببعضهما. وهذا عائد وفقاً لما تواتر عنهما أنهم أحياء عبر الزمان. [٦٥١] فلا غرابة إذَن من أن يظهر من يدعي ملاقاتهم في كل الأزمان والأمكنة. إلا أن ملاقاة الناس بالخضر كما أشرت أكثر من ملاقاتهم للياس.

إن اقتران الشخصيتين ببعضهما في تصورات واعتقادات الناس الشعبية ليس خاصًا بنا وحدنا فهناك العديد من المجتمعات العربية وغير العربية أيضًا تقرنهما معاً. ففي التركية على سبيل المثال يطلقون لفظة (خضرألز Hidrellez) على أساس أنها لفظة مركبة من مقطعين تعنيان الخضر وإلياس. وجاء عنهما ((أنهما النبيان اللذان شربا من ماء الحياة وأنهما يجتمعان في بداية شهر الربيع أي اليوم السادس من مايو من كل سنة...)). [٦٥٢] وثمة روايات أخرى تؤدي للخلط بينهما.

---

٦٤٧ باحسن, عبد الله, نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية, ص٤٢٠.

٦٤٨ المرجع السابق ص٤٢٥.

٦٤٩ إدام القوت ص٢٢٢.

٦٥٠ للمزيد عن النبي إلياس وأخباره انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية (١١٦١/٣).

٦٥١ روى عن ابن عباس قوله: أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم وهم عيسى وإدريس في السماء, والبأس والخضر في الأرض. القرماني, أخبار الدول (٥٨/١) نقلاً عن مرآة الزمان.

٦٥٢ صابان, د. سهيل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية, ص١٠٠.

وأخبار هاتين الشخصيتين أكثر شيوعاً وانتشاراً وتداولاً كما أشرت عند الصوفية ولهم معهما أخبار وأحداث يروونها في يقظتهم أو في أحلامهم. (٦٥٣)

وأخبار الخضر وإلياس والخاتم السحري لم تقتصر على الصوفية وحدهم فمنهم انتقلت وشاعت بين العوام. كما نجد أنها أخذت حظها الكبير بالدخول في مجالات الأدب الشعبي المحلي وهي بحاجة لمن يرصدها ويعطيها حقها من الدراسة والتوثيق.

يقول الشاعر الشعبي صلاح جابر النوبي (٦٥٤) وهو من أهالي مدينة الشحر في قصيدة له ذاكراً فيها الخضر وإلياس.

ذا فصل من هو رأس	يأخذ ذهب قرطاس
لأن الذهب أجـــناس	شــــــي ريته تمنى
يــومنا مثل الخضر	وأيضًا كـما إلياس (٦٥٥).

وهذا الشاعر الشعبي أبو سراجين يقول في إحدى قصائده:

وين مول الدرك لي في القعيدة تلسن
قله أهل السبب تفقع بهاجر ومرواس
وانتبه وانتبه تنبشوا عا اللي مدفــن
واتصل بالخضر يعطيك نظره في إلياس.

وللشاعر الشعبي أبو سراجين أيضًا قوله:

سلام للامة ومن جانا على الدعوة حضــر
من عند شاعر قد بلغ عمره المائة ماهو قليل
ياخيرها ليلة لحقت إلياس ولحقت الخضر
وقعت جمالة والجمالة من بـــــغاها لايميل.

أما الشاعر سعيد باحريز فيقول في إحدى مساجلاته الشعرية:

---

٦٥٣ انظر على سبيل المثال رحلة ابن عابد الفاسي ص٤٤.

٦٥٤ ترجمته حداد, عبدالله, معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٥٤.

٦٥٥ بامطرف, التراث وصناعة الشعر ص٤٩.

حرام النوم لا جانا إلى مان نفتح السدة
وندخل على أهل عبدالله ونمسك بالخضر وإلياس.

وهذا الشاعر الشعبي عمر بن شيخ باوزير يقول في إحدى قصائده عن فلسطين:

أيها الناس جدّوا واقطعوا بالــفاس حفظوا بلاد النبوة والخضر وإلياس
في كل حالة من الله ماعليكم باس النصر أرث من الله ووحـــــــيا
تحيا فلسطين وملوك العرب تحـــــيا

أما الشاعر محفوظ العطيشي فيقول :

سبحان لي قسم الأرزاق كم خــــــــلق
في البحر والبر له التصريف رب الناس
يغفر الذنب ما تقدم وما يلـــــــــــحق
ويحسن الخاتمة بحق الخضر وإلياس.

والمتتبع لما قيل في الشعر الشعبي سيجد فـي ثنايـاه الكثيـر مـن القصـائد التـي يتردد فيها ذكر هاتين الشخصيتين مقـرونتين ببعضـهما. وهـذا الـذكر المقـرون شـمل أيضًا أغاني العمل، كتلك الاغنية التي يغنيها السناة أثناء رفع الماء من البئر كقولهم:-

تريم من عادى تريم ينـدم فيها الخضر وإلياس والمقدم
تريم لي فيها الفقيه المقدم فيها عبيد الله وعلوي الـــجم.

الكائنات الأسطورية
مخلوقات النسناس

نسب لهذه المنطقة (الشحر) كائنات غريبة عجيبة تدعى (النسناس) تداول أخبارها رواة الأقاصيص والمحدثين بالأخبار الغريبة. ولسنا معنيين بصدق مثل هذه الروايات أو كذبها, بقدر أن اهتمامنا بها هنا يكمن في رصد ماقد قيل عنها كتصورات سابقة سادت ولو على الأقل في مخيلة أولئك الرواة وكذّاب الأقاصيص ومن يؤمن برواياتهم. وطالما أنها نسبت للشحر كأقليم فنحن المعنيون بها لارتباطها بالتاريخ الفولكلوري للبلاد. يقول المؤرخ الشهير (نشوان بن سعيد الحميري) في قصيدته الرائعة [٦٥٦]:

والعبد ذو الأذعار إذ ذعر الورى *** بوجوه قوم في السباء قباح
قوم من النسناس مذكورون في *** أقصى الشمال شمال كل رياح.

ذكر المؤرخ صالح بن حامد العلوي في كتابه (تاريخ حضرموت) نقلاً عن عدد من كتب الرحلات والأعاجيب القديمة مانصه: ((فمن الخرافات التي شاعت بين الناس في النواحي النائية عن حضرموت وراجت لدى رائدي الأقاصيص الغريبة والمولعين بتصديق كل غريب وعجيب بدون عرضه على العقل ما نسبوه إلى جهة (الشحر) من أخبار النسناس. وأنهم كانوا أمة كالإنسان إلا أن كل فرد منهم ليس له من الأعضاء والجوارح المزدوجة إلا واتحد. فله عين واحدة ويد ورجل، وأنهم كانوا يتكلمون, وهم فصحاء أيضًا ويقولون الشعر. ومع ذلك فأهل الشحر يصطادونهم ويأكلونهم كما تؤكل الضباء والخرفان. ومن العجائب أن ياقوت في معجم البلدان قد روى هذه الأشياء رواية المجوّز لصدقها. فهو وإن أبدى فيها شيئا من التردد إلا إنه لم يكذبها تكذيباً باتاً بل حكاها محتملا أنها صدق. ولا أظن عاقلاً اليوم يتردد في الجزم بكذبها بل في نقص عقل من يصدقها)).[٦٥٧]

ومن المضحك في الأمر وخاصة في رواة الأخبار والأعاجيب أولئك أنهم ينسبون لنسناس الشحر الفصاحة والبلاغة وقول الشعر. وفي الوقت نفسه يصفون أهلها بانهم يتكلمون لغة لا تفقه!.

---

[٦٥٦] انظر الحميري, نشوان بن سعيد, قصيدة ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة, تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد واسماعيل الجرافي, دار العودة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨م ص٧٠.

[٦٥٧] العلوي, صالح الحامد تاريخ حضرموت (١٠٢/١-١٠٣).

ولعل أكثر من كتب عن النسناس وفقاً لما سمعه من الرواة والإخباريين وتناقلها بعده الكتّاب وجامعو الغرائب والأعاجيب بعد أن تفننوا فيها هو المؤرخ المسعودي وهو ما سنقف عنده هنا كأنموذج لتلك الكتابات. فقد ذكر المسعودي عن النسناس قوله: ((وقد غلب على كثير من العوام الأخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالأخبار عن وجوده في الصين وغيرها من الممالك النائية والأمصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق وبعضهم في المغرب. فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب. وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق. وكذلك كل صقع من البلاد يُشير سكانه إلى أن النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى من الديار. وقد رووا في ذلك خبراً مخرجه من طريق الآحاد أن ذلك في بلاد حضرموت من أرض الشِّحْر. وهو ما ذكره عبد الله بن سعيد بن كثير بن عفير المصري، عن أبيه عن يعقوب بن الحارث بن نجيم, عن شبيب بن شيبة بن الحارث التميمي قال: قدمت الشحْر فنزلت على رأسها. فتذاكرنا النسناس. فقال: صيدوا لنا منها؟ فلما أن رجعت إليه مع بعض أعوانه المَهْرِيين إذ أنا بنسناس منها. فقال لي النسناس: أنا بالله وبك. فقلت لهم: خلوه. فخلوه. فلما حضر الغذاء قال: هل اصطدتم منها شيئاً. قالوا: نعم ولكن خلاّ ضيفك. قال: استعموا فإنا خارجون في قَنَصِه. فلما خرجنا إلى ذلك في الشَحَر خرج منها واحد يدمي وله وجه كوجه الإنسان وشَعَرات في ذقنه ومثل الثدي في صدره ومثل رجلي الإنسان رجلاه. وقد ألظ به كلبان وهو يقول:

الويل لي مما به دهاني *** دهري من الهموم والأحزانِ
قفا قليلا أيها الكلْبَانِ *** وأستمعا قولي وصدَقاني
إنكما حين تحاربانـي *** ألفيتماني حضرا عِناني
لولا سُبَاتي ما ملكتماني *** حتى تموتا أو تفارقاني
لست بخَوّار ولا جبان *** ولابنكس رَعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن *** يُذِل ذا القوة والسلطان

قال: فالتقيا به فأخذاه. ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناساً. فقال قائل منها: سبحان الله ما أشد حمرة دمه! فذبحوه أيضًا. فقال نسناس آخر من شجرة: كان يأكل السماق. قال: فقالوا نسناس آخر خذوه. فأخذوه وذبحوه. فقالوا: لو سكت هذا لم يعلم بمكانه. فقال نسناس من شجرة أخرى: أنا صمت قالوا: نسناس خذوه فأخذوه فذبحوه فقال نسناس من شجرة أخرى: يا لسان احْفَظْ رأسك. فقالوا: نسناس خذوه. فأخذوه. وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها في بلادها وتأكلها)). [658]

[658] المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر (١٧٢/٢)؛ وانظر كتابه الاخر اخبار الزمان ص ١٩؛ وقد ذكر مثل هذه القصة ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان مع اختلافات طفيفة وأضاف ياقوت بأنه يلقب بأبي

والمسعودي كما يبدو هنا أراد أن يكون على خلاف غيره ممن يتلقف الأخبار على علاتها. فقد وقف من هذه الروايات موقف المحقق والمشكك ولكن عَدَّها في الوقت نفسه من باب الممكن! وإن كنّا نخالفه في ذلك. إذ يقول بعدها وفيه ذاكراً مدينة الشحر باسم (الأسعاء) ((ووجدت أهل الشّحر من بلاد حضرموت وساحلها- وهي الأسعاء - مدينة على الشاطئ من أرض الأحقاف. وهي أرض الرمل..)) إلى أن قال: ((..وغيرها من عمان وأرض المَهْرَة- يستظرفون أخبار النسناس إذا ما حدقوها. ويتعجبون من وصفه. ويتوهمون أنه ببعض بقاع الأرض مما قد نأى عنهم وبعد. كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم. وهذا يدل على انعدامه في العالم. وإنما ذلك من هَوَس العامة واختلاطها كما وقع لهم في خبر عنقاء مُغرِب وهذا يدل على عدم كونه في العالم ورووا فيه حديثاً عَزَوْه إلى ابن عباس. ونحن لم نحِلْ وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل به بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق العقل. فإن ذلك غير ممتنع في القدرة. ولكن أحَلْنَا ذلك لأن الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك في العالم. وهذا باب داخل في حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب. ويحتمل هذه الأنواع من الحيوان الناعر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعَرَابد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعاً من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القوة إلى الفعلِ ولم تحكمه ولم يتأتّ فيه الصُنع كتأتيه في غيره من الحيوان. فبقي شاذاً فريداً متوحشاً ناعراً في العالم طالباً للبقاع النائية من البر مبايناً لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة. وعدم المشاكله والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه)). [٦٥٩]

والمسعودي نفسه تداخل عليه الأمر لدرجة أنه اقتطع جغرافية الشحر بأساطيرها وخرافاتها ليلقي بها في موضع جغرافي آخر جعله مابين فارس وتركيا وهذا نجده عندما ذكر عن وصول (الأشغانيين) لأصقاع الأرض وابتنوا هناك مدينة إرم ذات العماد. وإن بتلك المنطقة جنسًا من الكائنات ((منتصبة القامات, مستديرة الوجوه والأغلب عليها صور الناس وأشكالهم إلا إنهم ذوو شعر وربما وقع في النادر

مجمر. انظر معجم البلدان (٣/٣٢٧)؛ وانظر كذلك الحميري, الروض المعطار في أخبار الاقطار ص٢٠٣ – ٢٠٤؛ وعن النسناس كذلك انظر القزويني, عجائب المخلوقات ص٣٨٤؛ كما ذكر النسناس عند جواد علي, وكتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٤٢/١)؛ وكتاب (المخلوقات الوهمية) لمصنفه خورخي ل. بورخيس ومارغريتا غيريرو, ترجمة بسام حجار, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب, الطبعة الأولى, ٢٠٠٦م, ص٨٥ – ٨٨.

[٦٥٩] المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/ ١٧٣).

الفرد منها إذا احتيل في اصطياده فيكون في نهاية الفهم والدراية. إلا إنه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالإشارة...)).[٦٦٠]

والأشغاء كما بيناها سابقاً هي تصحيف للأسعاء (مدينة الشحر) وإن كان بعض المؤرخين القدامى تصحف لديهم الاسم فقالوا عنها (الأشغاء). وأيضًا ارتباط الأشغانيين بارم ذات العماد هو أيضًا مما يرجح ماذهبنا إليه أن المسعودي قصد بأولئك الاقوام الشحريين (الأسعائيين). ولعل وجودهم هناك كان كما في الأسطورة في عهد الملك الحميري (شمر أبوكرب) فاتح العراق وفارس وباني سمرقند. ولكن هذا ما لانستطيع جزمه فضلاً عن الرواية نفسها.

وذكر القزويني في عجائب المخلوقات خبر امرأة من كلوسامان من قرى بلخ وانها ولدت شخصاً له نصف بدن ونصف رأس ويد واحدة ورجل واحدة على صورة النسناس الذي يوجد في غياض الشجر بمناطق جنوب شبه الجزيرة .[٦٦١] والنسناس أيضًا اسم لأحد أنواع الأشجار التي كان يتاجر بها الحضارمة في عصور قديمة.[٦٦٢]

أما المؤرخ الطبري فقد أرجع أصول النسناس إلى أقوام من أهل وبار وأنهم من نسل اميم بن لاوذ بن سام بن نوح وذلك أثناء حديثه عن أولئك القوم. إذ كتب يقول: ((وكان بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وبار بأرض الرمل رمل عالج وكانوا قد كثروا وزبلوا فأصابتهم من الله عز وجل نقمة من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس)) [٦٦٣].

وفي الحين الذي نجد شبه إجماع بأن النسناس بأرض ما في منطقة الشحر نجد آخرين يدعون أنه بجزيرة ما من جنوب شبه الجزيرة العربية أطلقوا عليها جزيرة النسانس. وفي هذه الجزيرة كما يدعون ((مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها إلا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهي حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك. وإذا أراد إنسان الدخول فيها حثا على وجهه التراب فإن أبى إلا

---

[٦٦٠] المسعودي مروج الذهب (١/١٥٠).

[٦٦١] عجائب المخلوقات, بتصرف ص١٧.

[٦٦٢] من موانئ ساحل حضرموت ص٩٩.

[٦٦٣] تاريخ الطبري (١/١٢٥).

الدخول خنق وصرع. وقيل إنها معمورة بالجان. وقيل بخلق من النسناس. ويقال إنهم من بقايا قوم عاد الذين أهلكهم الله بريح العقيم وكل واحد منهم شق إنسان...)) [٦٦٤].

كما ذكر القزويني في عجائب المخلوقات أن في جزيرة الرانج ((سكان شبه الآدميين إلا أن اخلاقهم بالوحش أشبه. ولهم كلام لا يفهم. وبها أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة. قال: وبها نوع من النسانيس لهم أجنحة كأجنحة الخنافس من أصل الأذن إلى الذنب..)) [٦٦٥].

وفي أساطير الصين كائنات تدعى الـ(هسينغ – هسينغ) وهي أشبه بالقرود لها وجوه بيضاء وآذان مروّسة. تسير منتصبة القامة كالآدميين وتتسلق الأشجار. [٦٦٦]

إن ما يثر عجبنا في موضوع النسناس هوأن المؤرخ الشهير (أحمد بن علي المقريزي) لم يتعرض لخبرهم فيما ذكره في مصنفه الخاص بغرائب وعجائب حضرموت [٦٦٧]. ولعل المقريزي هنا وكتعليل لعدم الإشارة للنسناس أورد الاخبار المتعلقة بهم وقد حفلت بها الكتب والمرويات ولم ير فيها وجوباً من الوقوف عندها والإشارة إليها. أو إنه كان يعتمد فقط على مايرويه له الرواة من غرائب الأخبار في عصره وليس في عصور سابقة عليه. وإن استبدل المقريزي أسطورة النسناس باسطورة أخرى وهي (الرجال الذئاب) وهي ماسنتعرض لها في الفقرة الآتية.

أسطورة الرجال الذئاب:

لم يكن ما كتبه المقريزي سابق الذكر في مؤلفه النادر الموسوم بـ((الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة)) بالغريب عما نسب لهذا القطر الكبير من قصص وحكايات ممتعة اختلطت فيها الحقيقة بالأسطورة, الواقع بالخيال. فقد سبق وأن نسب للحضارمة العديد من الأساطير والخرافات كأخبار النسناس وبئر برهوت وماقيل عن أقوام عاد وإرم ذات العماد والنبي صالح وغيرها التي تجعل من

---

[٦٦٤] شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي, المستطرف في كل فن مستظرف دار اليوسف – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٩م ص٥٤٣ – ٥٤٤.

[٦٦٥] عجائب المخلوقات ص١٠٢؛ وكذلك, كتاب المخلوقات الوهمية, ص٨٥.

[٦٦٦] كتاب المخلوقات الوهمية ص٩٣.

[٦٦٧] للمقريزي, أحمد بن علي (٧٦٦–٨٤٥هـ) مصنف خصه بالأعاجيب والغرائب التي سمعها من الرواة عن حضرموت حمل عنوان (الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة) وقد حقق حديثا على يد طارق محمد سكلوع العمودي. ونشر على يد دار حضرموت للدراسات والنشر. ط١, ٢٠١٢م. وقد استشهدنا في ثنايا مصنفنا هذا بالعديد مما أورده المقريزي في مصنفه المذكور.

هذا القطر كبيرًا في عطائه الفكري, غزيرًا في موروثه الثقافي, وهو العطاء الذي إذا لاقى الدراسة الجادة والاهتمام الكافي قبيل اندثاره لقدّم للإنسانية تراثاً جديرًا بالوقوف أمامه وقفة إجلال وإكبار لما له من دلالات على إصالة هذا الإنسان الحضرمي وأصالة تراثه الغني الذي سيسهم حتما في رفد الفكر الإنساني بمنابع أخرى جديدة تتيح له الإبحار إلى حيث مكامن الأصداف والدرر.

إن ما قدمه المقريزي في كتابه سالف الذكر أو بمعنى أدق في رسالته التي اكتتبها سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م أثناء اقامته في مكة المكرمة تعد من المصادر التي تبين لنا جانبًا من جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في تلك الفترة وما ساد فيها من تصورات واعتقادات شعبية قد لا يستسيغها عقل اليوم ولكنها كانت مستساغة لدى المتفاعلين معها إيمانا آنذاك. كما أنها مستساغة اليوم كفكر مجرد وخاصة لدى المهتمين بها والباحثين عنها بهدف الدراسة وتأصيل الهوية الثقافية.

إن التصورات الواردة في الرسالة الظريفة لم يوحِ بها خيال المقريزي طبعاً. وإنما أخذها كما أشرت مسبقاً عن بعض الرواة الحضارمة منهم من صرح باسمه في كتابه وهو (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن سالم بن بريك).

ومن جملة ما أخبر به المقريزي في رسالته تلك أسطورة الرجال الذئاب في حضرموت. ففي وادي حضرموت كما أشار: ((بالقرب منه على مسيرة يومين إلى نجد قوم يقال لهم الصيعر يسكنون القفر في أودية وينزلون بيوت الشعر ويزرعون على المطر وبأرضهم نبق كثير جداً بحيث إن الشجرة الواحدة تغل وقر خمسة أباعر وترهن في عشرة مثاقيل من الذهب. فإذا أجدبت أرضهم لقلة الغيث يبس شجر النبق ولم يبق لهم زراعة فتموت ماشيتهم وهم أصحاب شاه وبعض إبل فإذا كان كذلك انقسم الصيعر على قسمين فرقة تخيف السبيل وتأخذ المارة وفرقة تنقلب ذئاباً ضارية. وذلك أن الواحد منهم عنده خرزة من كنوز ظفروا بها من عهد عاد فإذا أراد الواحد منهم أن ينقلب ذئباً تثاءب مراراً واحمر لونه فيخرج الخرزة من حقوه ويبتلعها فينقلب في الحال ذئباً له ذنب ووبر يمشي على أربع ويسوح فيفترس من وجده من بني آدم وما يظفر به من الغنم ولا يزال كذلك حتى إذا أراد أن يخرج من مسلاخ الذئب إلى هيئة الإنسان وصورته تمرغ بالأرض وإذا به بشر سويٌّ كما كان فتقع تلك الخرزة, وكلما أراد أن ينقلب ذئباً بلعها كما تقدم فإنه يصير ذئبا وهذا أمر مشهور عند جميع أهل حضرموت لا ينكره أحد منهم لمعرفتهم به المعرفة التامة)). [٦٦٨]

---

[٦٦٨] المقريزي, الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة تحقيق طارق محمد العمودي. ص٢٣-٢٦.

إن وصف المقريزي للصيعر[٦٦٩] بالذئاب ليست الوحيدة فهذا المستشرق الإنجليزي (إنجرامس) نجده في تقريره الخاص عن حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م [٦٧٠] وصف الصيعر أيضًا بالذئاب أو ذئاب الصحراء. إلا أنه كان أكثر واقعية في وصفه هذا مقارنة بخيالية المقريزي ومبالغة راويه. فقد علل إنجرامس وصفه هذا بسبب تنقلات الصيعر الليلية وإغاراتهم الدائمة على القبائل والمناطق المجاورة لشظف العيش وطبيعة أرضهم القاحلة إذ لا عشب بها ولا زرع ولا تموين من سلطة. لدرجة أصبحت فيها لفظة الصيعر نفسها تبعث في نفوس الناس الخوف والرعب. فلا عجب من أن يحيك الناس عنهم أساطير وخرافات تقترب من أسطورة الرجل الذئب Wolf man أو أسطورة الكانيبال[٦٧١] Cannibalism . ومثلها ما أشار إليه النسابة بن جندان لمجاعة حدثت في حضرموت سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م وذكر فيها أن جماعة من الصيعر يسكنون الجبال كانوا يأكلون لحوم البشر. [٦٧٢]

إن مثل هذه الروايات ليست بالغريبة في تراثنا العربي إجمالا فقد سبق المقريزي إلى مثل هذا الطرح (أبو الحسن علي المسعودي) (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) في كتابه (أخبار الزمان) حينما أشار إلى أن ((شرقي القلزم مما يلي في البحر أُمة متولدة من صنف السباع وبني آدم وجوهها عراض كثيرة الشعر مثل وجوه السباع وعيونها مدورة بصاصة وأنيابها بارزة طوال وآذانها طوال وأبدانها كأبدان الناس إلا أن لهم أظفارا كبارا معقفة محدودة وليس وراءهم غيرهم وطعامهم دواب الأرض)). [٦٧٣]

---

[٦٦٩] لمعرفة المزيد عن قبيلة الصيعر الكندية يمكن الرجوع إلى كتاب ادوار التاريخ الحضرمي محمد بن أحمد الشاطري, ص٣٦٠. و إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت, عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ص١٠٤٠. البكري, صلاح, تاريخ حضرموت السياسي (١٠٨/٢).

[٦٧٠] لمعرفة ما كتبه المستشرق الإنجليزي دبليو أنش إنجرامس عن قبائل الصيعر انظر تقريره حول الحالة في حضرموت سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وهو المعروف بحضرموت ١٩٣٤ – ١٩٣٥ م تعريب د. سعيد عبد الخير النوبان. ص١٣٥ – ١٣٦).

[٦٧١] عن آكلي لحوم البشر انظر قاموس الأنثروبولوجيا ص١٤٨؛ توفيق, أحمد خالد, موسوعة الظلام ص٢٤.

[٦٧٢] بن جندان, سالم بن أحمد, مختصر كتاب الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت, اختصره الدكتور عمر بن محمد باحاذق, دار المأمون للتراث, دمشق, بيروت, ط١, ٢٠٠١م, ص٧١.

[٦٧٣] المسعودي, أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ص١٧؛ للمزيد عن الرجل الذئب عند الشعوب انظر, العماري, د.فضل بن عمار, الذئب في الخرافات والأساطير العالمية, كتاب المجلة العربية (٢٨٥), الرياض, ١٤٤١هـ

كما أن مثل هذه التصورات تكاد تكون موجودة في الموروث الشعبي لدى العديد من شعوب العالم بما فيها تلك التي بلغت شأواً في الحضارة والتقدم في تاريخ العالم القديم ونقصد الحضارتين الإغريقية والرومانية. [٦٧٤]

وتصورات الأوربيين في السحرة في عصورهم الوسطى تذهب إلى أن هؤلاء السحرة إذا أرادوا حضور (محفل السبت) الذي يترأسه الشيطان في زعمهم يتنكرون بصورة ذئاب, فإذا لم يتهيأ لهم الوقت لهذا التنكر امتطوا ذئاباً. [٦٧٥] وفي أساطير الفنلنديين العديد من الروايات التي تذهب إلى إمكانية تحول البشر إلى ذئاب. ويكون هذا التحول بتأثير ساحر ما [٦٧٦].

وحتى بالمناطق التي لا توجد ببيئتها ذئاب نجدها تستعض عن ذلك بحيوان مفترس آخر. فنجد في تصورات تلك الشعوب الرجل الأسد, الرجل النمر, الرجل التمساح, الرجل الدب أو الرجل الببر كما هو في بورما والهند. حيث يتحول الرجل بفعل قوة السحر أو مسببات أخرى إلى ذئب أو أسد. وقبيل عودة الرحالة (ماركو بولو) إلى البندقية كانت أوربا لا ((تعرف إلا القليل عن أسيا وكانت الخرافات تقول إن تلك القارة كانت قارة المسوخ والشياطين. وفي القرن الثاني عشر كان المسيحيون يتجادلون حول إمكانية تنصير أهل الهند. إذ كانوا يعتقدون أن رؤوسهم رؤوس كلاب. وحتى في أواخر القرن الرابع عشر كان في بعض المخطوطات صور لهنود لهم رؤوس الكلاب. وهي خرافات لم يبددها نهائياً سوى اكتشاف الطرق البحرية المباشرة إلى الشرق)).[٦٧٧]

إنَّ مثل تلك التصورات والاعتقادات لطالما ألهمت عقول الأدباء والروائيين في بقاع العالم فسطروا على منوالها أروع قصصهم وأدبياتهم. ولنا هنا أنْ نستشهد بمثال واحد كأنموذجٍ وهي رواية (جزيرة الدكتور مورو) للروائي الإنجليزي

---

[٦٧٤] انظر العماري, الذئب في الخرافات والأساطير العالمية, مرجع سابق ص٨٤ ومابعدها .؛ يونس, د. عبد الحميد. معجم الفلكلور, ص٢٦٤.

[٦٧٥] معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في اوربا ص١٠٥؛ وانظر كذلك الغول الذئبي Were Wolf ص٢٢٠؛ لقمان, حمزة, اساطير, مرجع سابق ص٩٥.

[٦٧٦] سيمنسوري, لوري, أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية, ترجمة محمود مهدي عبدالله, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط١, ٢٠٠٤م. ص٣٠٢-٣١٠.

[٦٧٧] من موسوعة بهجة المعرفة, مسيرة الحضارة مج٢, المجموعة الثانية ٤, الشركة العامة للنشر والتوزيع, ص١٣٤؛ وانظر كذلك عجائب المخلوقات للمقريزي فعند حديثه عن بعض عجائب وغرائب الامم اشار إلى وجود ((أمة في بعض جزائر البحر, وجوههم كوجوه الكلاب وسائر أبدانهم كأبدان الناس يتقوتون بأثمار أشجار تلك الجزيرة فإن وجدوا شيئاً من الحيوانات أكلوه)). المرجع المذكور ص٣٨٣.

(هربرت ولز) وهي الرواية التي تحكي تحول البشر إلى حيوانات مفترسة عن طريق الحقن وليس السحر. لتترجم مثل هذه الرواية وروايات أخرى مشابهة لها. لأعمال سينمائية حملت بعضها هذا الاسم (الرجل الذئب Wolf man) أو المستذئب. وقد لاقت مثل هذه الأعمال شهرة ورواجًا لا نظير لهما.

آل شبر:

ومن الروايات المتداولة بين الناس تلك التي تحكي عن خروج أقوام من الأقزام في آخر الزمان يطلق عليهم بـ(آل شبر). وهي روايات تتقارب إلى حد كبير مع الروايات التي دارت حول أمم يأجوج ومأجوج [٦٧٨] وهي الأمم التي ذكرت في القرآن الكريم وبهذا الاسم. [٦٧٩]

يمتاز أفراد هذه الأقوام كما في التصور الشعبي بقصر قاماتهم إذ لا يتعدى طول الواحد منهم (شبرًا) ولعل من هنا جاءت تسميتهم بهذا الاسم.

إن الاعتقاد الشعبي فيهم يذهب إلى أن هؤلاء القوم حبسهم (ذو القرنين) بداخل مغارة كبيرة جداً باتساع قرية كبيرة وعلى المغارة باب كبير منيع مصنوع من الفولاذ أو أقوى. يحجبهم عن التواصل مع غيرهم أو الوصول إليهم. وهم في سجنهم هذا يتكاثرون ويتناسلون عبر الزمان. وإنهم في حفر دائم على الجدار الفولاذي العازل بغية الخروج من محبسهم هذا إلا أنهم لا يستطيعون.

وكما في التصور الشعبي أيضا: إن هؤلاء الحفارين كلما اقتربوا من نهاية ذلك الجدار أو السد المنيع (البوابة) حيث المسافة بينهم وبين العالم الخارجي لا تتعدى شبراً واحداً في الطول التي لا ينقصها سوى ضربة واحدة من معول أحدهم لينقض ويبين لهم ضوء العالم الخارجي. يقول أحدهم من دون أن يعلم قرب الخلاص: (لنرتح اليوم, وغداً سوف نستكمل الحفر). وأثناء نومهم هذا يجدد الله سماكة ذلك السد المنيع كأنهم لم يعملوا شيئاً. وفي اليوم التالي يعاود هؤلاء الكرة من جديد.

---

[٦٧٨] لا يخلو كتاب في التفسير من ذكر أخبار هؤلاء الأقوام, كما حفلت بأخبارهم الكثير من المصنفات التي تتحدث عن البلدان أو عن الأمم والأقوام القديمة وأخبارها أو تلك التي تتحدث عن الغرائب والطرائف, على سبيل المثال الطبري, محمد بن جرير, جامع البيان في تأويل القرآن (١٠١/١٨)؛ المسعودي, أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ص٩١؛ رحلة ابن فضلان ص٩٥؛ الحميري, محمد الروض المعطار في أخبار البلدان ص٣٠٨؛ فضلاً عن بعض المعاجم والقواميس؛ الحموي, معجم البلدان (٨٧/١ -٣٥٢)؛ (١٩٧/٣-٢٠٠)؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٠١٨٥/٣٢)..الخ.

[٦٧٩] القرآن الكريم, سورة الكهف الآيات (٩٢-٩٩). سورة الأنبياء الآية ٩٦.

وهكذا يفعلون كل يوم وهم في حفر لتعقبه راحة لتتجدد سماكة السد إلى أن تحين مشيئة الله عز وجل فيأذن لهم بالخروج.

وسبب الإذن لهم بالخروج والتنعم بحريتهم إن هؤلاء وأثناء حفرهم وبعد ان أصبح بينهم وبين الضوء الخارجي ضربة فأس واحدة. يقول لهم رئيسهم: لنرتاح الان وغداً (إن شاء الله) سنستكمل الحفر. فقوله هذه المرة (إن شاء الله) بما فيها من (إقرار بالعبودية وأن المشيئة لله وحده) هو الذي جعل الله عز وجل يرضى عنهم ويشفع لهم. فلا تتجدد عنهم مناعة السد. فما أن يأتي عليهم اليوم التالي إلا ويكون عملهم باقيًا مثلما تركوه في البارحة. فماهي إلا ضربة واحدة فإذا بالضوء الخارجي يبين لهم وإذا هم ينسلون ويخرجون جماعات جماعات. لينتشروا في الأرض كالجراد مفترسين كل ما يصادفهم من إنسان أو حيوان أو نبات. إلى جانب حرقهم للأخضر واليابس معا. فغايتهم تدمير العالم الخارجي.

وأهم ما يسعى إليه هؤلاء الأقوام بعد مغادرتهم موطنهم كما تصوره الأسطورة هو الحصول على الماء. فهم يستهلكون كل مايصادفهم من مياه عذبة أو غير عذبة بما فيها مياه البحر لدرجة أن الأخير من هؤلاء الأقوام ومن شدة عطشه ولهفته للماء الذي لم يجده. يقوم بعصر الطين الموجود بقاع المحيط (النهر) الذي استنفد كل مائه ليستخلص له من هذا الطين ولو قطرة ماء يطيّب بها حلقه وتروي عطشه.

ولم تبين لنا الأسطورة كيفية هلاكهم والتخلص منهم وإن كانت تعزو الأمر كله لله. فبعد هلاكهم وامتلاء الأرض بجثتهم. يرسل الله عليهم طيوراً من السماء, وعند بعضهم (طيورا أبابيل) تلتهم تلك الجثث أو تحملها بعيداً عن العمران لترميها هناك.

إن الحديث عن آل شبر وعلاقتهم بذي القرنين وبشربهم مياه البحار (الأنهار) وعصرهم الطين يقودنا إلى مانسب لأمم أطلق عليها كما اشرت (يأجوج ومأجوج) التي أشار إليها القرآن الكريم. كما تقودنا أيضًا إلى تلك الأسطورة التي أوردها وهب بن منبه أن الملك الحميري ويدعى (الصعب بن ذي القرنين) الذي حلم رؤية وهي الثالثة من رؤياه ((كأنه جاع جوعاً شديداً وظهر إلى الأرض فصارت له غذاء فأقبل عليها يأكلها جبلاً وأرضاً حتى أتى عليها كلها. ثم عطش فأقبل على البحار يشربها بحراً بحرًا حتى أتى على السبعة الأبحر. ثم أقبل على المحيط يشربه فلما أمعن فيه إذا هو بطين وحمأة سوداء لم تسغ له بما آتاه فترك. ثم أفاق من نومه فلما أصبح هام

وحار فيما رأى وغاب عن الناس لما به. فقال الناس: يوماً يظهر ويوماً يحتجب..)). (٦٨٠)

والحديث عن آل شبر وعلاقتهم بسد ذي القرنين أيضًا يقودنا إلى ما ذكره القزويني في مصنفه (عجائب المخلوقات) عن ((أمم غريبة الأشكال خلقها الله تعالى في أكناف الأرض وجزائر البحار. منها يأجوج ومأجوج. وهم أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى. طول أحدهم نصف قامة رجل. ولهم أنياب كما للسباع ومخاليب مكان الأظفار وهلب عليه شعر. ومنهم منسك وهم جهة المشرق بقرب يأجوج ومأجوج لهم آذان مثل آذان الفيلة كل أذن مثل كساء يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى. ومنها أمة في بعض الجبال بقرب (سد الأسكندر) قصار القدود عراض الوجوه سود الجلود فيها نقط بيض وصفر. طول كل واحد خمسة أشبار يتوحشون من الخلائق ويتسلقون الأشجار...)).(٦٨١)

ويذكر أيضًا في الفقرة نفسها القول الآتي: ((ومنها أمة في بعض جزائر الزنج. قاماتهم قدر ذراع وأكثرهم عور. وعورهم بسبب محاربة الغرانيق تأتيهم وتحاربهم كل سنة فتقتل منهم ماشاء الله)).(٦٨٢)

إن قصة آل شبر السابقة وتجاوزهم للحاجز المنيع بعد قول رئيسهم: (ان شاء الله) تقودنا إلى تلك الأسطورة التي تشابهها في بعض الوجوه وقد رويناها سابقاً (انظر أسطورة الدجاجة التي لا تطير). وكيف أن الطيور بعد أن أرسلها الله ليلاً إلى الأرض مع نزول آدم. قالت الدجاجة فرحاً غداً سوف أطير. بينما أجابت بقية الطيور الأخرى: (غداً سوف نطير بإذن الله). فكان في اليوم التالي أن طارت جميع الطيور ماعدا الدجاجة لأنها لم تقل إن شاء الله.

آل صور والميمياء:

ثمة ارتباط تاريخي وتجاري كبير لطالما ربط بين سكان المدينة وبين أهالي صور (العمانية). فضلاً عن الصلات الاجتماعية والعلاقات القرابية التي ربطت بين عدد من الأسر الشحرية والأسر الصورية. ومازالت في المدينة وفي المحافظة أسر محتفظة بتسميتها المرتبطة بصور أو بظفار أو بعمان عامة كآل الصوري, أو آل عماني فضلاً عن الشحري, باشحري, الكثيري..إلخ.

---

٦٨٠ التيجان في ملوك حمير ص٩٢.

٦٨١ عجائب المخلوقات ص٣٨٢ – ٣٨٣.

٦٨٢ المرجع السابق, ص٣٨٣.

والصوريون كما ورد ذكرهم في كتاب الجامع للمؤرخ محمد عبد القادر بامطرف بطن من قبيلة الأزد يدعون (الجنبة) وهم الذين يعرفون في نواحي جنوب شبه الجزيرة العربية بأهل صور إذ إنهم يسكنون صور العمانية والمناطق المحيطة بها في عمان وهم حضر وبادية. فالحضر يزاولون الملاحة البحرية والزراعة والبدو منهم رعاة أغنام وإبل. وهم أقوى القبائل العمانية شكيمة. [٦٨٣]

من الملاحظ أن لفظة (الصوري) هذه كان غالبية الناس في المدينة يطلقونها بصيغة العموم على كل قادم من عمان يحمل جنسيتها. فلا يعرف الناس العمانيين إلا باسم الصوريين. ربما لأن هذا الاسم ارتبط كثيراً في أذهان الناس وبأنهم أكثر العمانيين والهرامزة ارتياداً للبحار ومحبة للسفر والتجارة بين مناطق وبلدان المحيط الهندي بما فيها الشحر.

إن وجود الصوريين في المدينة كتجار[٦٨٤] أو ربابنة ونواخيذ للسفن الشراعية غني عن التعريف لدرجة أن حضورهم بالمدينة لاحظه الكثير ممن زار هذه المدينة ودون عنها مشاهداته وانطباعاته سواء كانوا مستشرقين أم رحالة و زائرين. وإلى فترة متأخرة كان للصوريين حضور وذكر في الشعر الشعبي المحلي ما يؤكد تواصل تلك الصلات التاريخية التي تربط بين الشحريين والصوريين. كما سنبينه نهاية هذه الفقرة.

وقد دون بعض المؤرخين فضل آل صور العمانيين ودورهم في مساعدة أهالي مدينتي عدن والشحر أثناء محاولات البرتغاليين غزو الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. [٦٨٥]

ولعل في هذه المقدمة مايوضح طبيعة العلاقة والارتباط بين الشحريين والصوريين. ولكن اللافت في الأمر ما وجدناه من نظرة مغايرة وتصورات سلبية كانت شائعة في المدينة تجاه (آل صور) عاصرنا نحن بعضًا منها في طفولتنا الأولى تناقلناها عمن يكبروننا سناً وشكلت جزءًا من وعينا الطفولي.

وتذهب هذه التصورات الشعبية إلى أن أفراداً وجماعات يطلق عليهم بـ(آل صور) يأتون للمدينة عبر البحر من جهات غير معلومة أو محددة. وقد امتاز هؤلاء

---

٦٨٣ الجامع, مرجع سابق, ص١٤٣.

٦٨٤ اشتهر آل صور ببيعهم بعض منتوجات بلادهم وخاصة (الصار) و(السويلح). بايمين, دراسات ص٦٥.

٦٨٥ انظر على سبيل المثال ماذكره محمد عبدالقادر بامطرف الشهداء السبعة ص٥٤, ص٥٩ وذكر أن مساعدتهم كانت بأربع سفن. والجدحي, تاريخ المهرة ص٢٠٨.

بالخشونة والجلافة وسفك الدماء. يقومون بخطف الأطفال الصغار وبيعهم أو حتى أكلهم كما تتصوره النظرة الشعبية. وهذه الجماعات تقتل كل من وجدته امامها من الناس بهدف الحصول على مادة تسمى (الميمياء) [٦٨٦] بل وأحياناً يقوموا بالقتل لأجل القتل.

وقد تمتد مثل هذه التصورات لتبلغ أقصى مداها فتصور لنا طريقة القتل التي يحسنها أولئك الصوريون. فهؤلاء كما في التصور الشعبي متى ما ألقوا القبض على رجلٍ ما أو طفل من الأطفال. يقومون بدق (غرز) مسمار كبير في منطقة الوسط أعلى رأس الضحية وهي التي تسمى محلياً باسم (النغاة). ومن ثم تعليق هذه الضحية من أرجلها لتنساب كل دمائها عبر نغاتها إلى وعاء يحضر لهذا الغرض ليقوموا بعدها برمي الجثة وشرب الدماء. أو تحويل تلك الدماء إلى مادة (الميمياء) وهي مادة نادرة كما يتصورها العوام لا يحصلون عليها إلا من دماء البشر.

وكثيراً ما كنا نسمع ونحن صغار صرخات الأطفال التحذيرية تجوب الشوارع قائلين: (آل صور جايين.. آل صور جايين) أي إن آل صور وصلوا الشواطئ وإنهم قادمون لبدء المطاردة والقتل. وسرعان مايلاحظ بعد تلك الصرخات التحذيرية, هرع الأطفال إلى منازلهم في سرعة البرق خوفاً منهم. ومن لم يستطع اللحاق بمنزله يسارع للاختباء في أي منزل قريب يجده.
وثمة أهزوجة يرددها أطفال المدينة ليست بالقديمة وهي القائلة:

صوري شل بنتنا
صوري شلها وراح
صوري عاشق الملاح.

وقد تسربت مثل هذه الأهزوجة إلى بعض دول الخليج العربي وأصبحت مغناة من بعض فنانيها. كما أن بعضهم يستبدل هذه الأهزوجة بدلاً من كلمة صوري بلفظة (قمري) كما هو الحال عند مغنيي عدن. ونعتقد أن هذه الأهزوجة ربما تكون دخيلة على المجتمع الشحري. إذ ثمة أهازيج شحرية أخرى مغايرة في آل صور تقول:

---

[٦٨٦] الميمياء: لعل المقصود بها (الموميا) وهي مادة توجد على سواحل البحر تشبه القار بعد تجمدها, لها رائحة الزفت المخلوط مع القفر. تستعمل في كثير من العلاجات. انظر عنها المعتمد في الأدوية المفردة ص٣٦٩. , والميمياء في حقيقتها عشبة تستعمل لعلاج الفكوك والكسور على الظهر أو الصدر, وتخلط مع المرق والخلته.

هال صور شلونا وعطونا بيسة وردونا
صوري وتعل شـــــلنا...
صوري أهلي مابغونا...
صوري قرّب الهـوري..
صوري ببيســـة وأردي.
أو في قولهم: آل صور بايجون وبا يجيبون الدخون.

وحقيقة لا ندري على وجه الدقة مصدر تلك النظرة السلبية الأولى في آل صور. فلعل مرجعها يعود إلى كونها من رواسب عهود الرق والاستعباد وتفشي عمليات خطف الناس (الأطفال) وبيعهم مثلما كان يفعله الأوربيون مع الأفارقة. أو إنه وفي فترات سابقة وخاصة أيام الصراعات والحروب المناطقية وحروب السيطرة حدث أن استعان بعض سلاطين المنطقة بقوات من تلك الجهات لتحقيق سطوتهم وتقوية سلطانهم. خاصة أن الصوريين كما أشرنا سابقاً من أقوى القبائل العمانية شكيمة. فشاع عنهم هذا كنوع من النكاية بهم. أو إن الغرض من إشاعة تلك التصورات تخويف الأطفال من طرف الأهالي حتى لا يبتعدوا كثيراً عن منازلهم. وأن لايقتربوا من ساحل البحر.

وحقيقة إن مثل هذا الأسلوب في تخويف الأطفال لم يشمل الصوريين وحدهم بل شمل حتى تخويفهم من بدو الأرياف المحيطة بالشحر. بل وأحيانا من أي غريب يدخل المدينة.

فالتخويف من الغرباء لم يشمل الصوريين وحدهم. كما أن الأهزوجة الثانية التي أوردناها تدل على عكس ذلك. أما الأهزوجة الأولى والتخويف فيها من الصوريين واتهامهم بالخطف. فنجد بعضهم في تفسيرها ذهب لمناح بعيدة. منها كما قيل إنها ذات رواسب قديمة منذ عهود الفينيقيين الذين جابوا البحار بحثاً عن المجد والثروة كـ(تجار أو قراصنة) وأن آل صور المقصودين هنا هم آل صور الشامية وليس صور العمانية. وإن كنا نستبعد هذا التعليل. فلم تعرف المنطقة صوريين غير العمانيين إجمالا. وقد لعبت حملات القرصنة وما فعله المستعمرون البرتغاليون أثناء غاراتهم المستمرة على السواحل الجنوبية من شبه الجزيرة العربية في القرن السادس عشر الميلادي طلباً للرقيق دوراً في إشاعة تصورات كهذه مرتبطة بالقراصنة. وهناك من يرى لتبرير هذا التصور أن البرتغاليين أثناء هجماتهم على مدينة الشحر وغيرها, كانوا يستعينون معهم بمقاتلين مرتزقة يأتون بهم من هرمز ومن الهند, وكانت ازياؤهم تتشابه إلى حد ما مع أزياء العمانيين. ولعل في هذا ما أثر سلباً على نظرة الناس تجاه هؤلاء المرتزقة واتهامهم بالخطف والقتل. وإن لصقت الصفة

بـ(صوريين) فلأنهم يكادون يكونون الأخيرين ممن كان يزور المدينة بغرض التجارة. فالصفة كما بيّنّا صفة شاملة تنسب لعموم سكان تلك الجهات.
وفيما يأـي أبيات من الشعر الشعبي التي ذكر فيها الشعراء أشقاءنا الصوريين منها قول الشاعر باسويد في إحدى مساجلاته:

صيحت في الدكة معي طالع ونازل في البند
ما بادخل سيحوت باسافر إلى مسقط وصور.

أو قول الشاعر باحريز:

لا قدك متعافي وبنديرتك عا رأس الدقل
فلّت في الغبة وخلفهن سواعي آل صور.

ومن قصيدة أخرى يقول فيها الشاعر:

بوعوض قال صبرنا يالزبر عالمخالع
مثلما يصبر الصوري على بحر بوكين.

وهذا الشاعر محفوظ علي باسويد يقول في إحدى مساجلاته الشعرية:

باعمد حجر بن دغار وإلا كنينة
ما بغيت السفر يا شيخ مسقط ولا صور.

مصاصو الدماء

إن التصورات الشعبية السابقة عن آل صور وشربهم مادة (الميمياء) بعد استخراجها من دماء الضحايا أو تصورات الرجل الذئب, تتشابه في بعض الوجوه مع تصورات الغربيين حول شخصية خرافية تدعى (الدراكولا). [٦٨٧] وهي كما في

---

[٦٨٧] الدراكولا: شخصية خرافية ظهرت أول ما ظهرت بالتراث الشعبي لسكان أوربا الشرقية وتحديداً بترانسلفانيا, وهي تصوره كرجل ينبعث ليلاً من بين الأموات ليتجول في الشوارع والطرقات بحثاً عن ضحاياه من البشر, حيث يعمد على عض أعناق هذه الضحايا بغرز ناباه الطويلان ليمتص بعدها دماءهم, وقد صورته السينما الغربية شخصية بشرية لها جناحان تشبه الخفاش تطير بهما ولها نابيه الطويلين وأذنان بارزان وأنف معقوف كأنوف اليهود في الصحافة الغربية, وشخصية دراكولا تنسب لأحد أمراء إمارة والاتسي جنوب رومانيا يدعى فلادتيبس ولد عام ١٤٣١م اشتهر بحبه للقتل والتعذيب وسفك الدماء, خاض حروبًا ومعارك ضد الفتح العثماني لتلك النواحي, وقد دخلت هذه الشخصية بتحوراتها المختلفة في مجال الأدب والفنون كما في رواية برام ستوكر بعنوان دراكولا وغيرها, كما دخلت شخصيتها مجالات السينما بصور وهيئات متعددة لتشمل حتى الفتيات الحسناوات تحت تسميات vampire (المؤلف). وعن مصاصات الدماء في افريقيا ((بحسب قدماء اللاتين واليونان, كانت

تصورات الغرب تقوم من بين الأموات ليلاً لتغتال ضحاياها من البشر عن طريق عض اعناقهم وامتصاص دمائهم لتختفي بعدها في تابوت أو غرفة مظلمة خوفاً من أشعة الشمس الحارقة لها. وكثير من كتب الأدب والسينما الغربية تناولت هذه الشخصية وما تفرع عنها من شخصيات أخرى مشابهة لها في المضامين ولاقت رواجاً كبيراً.

إن بموروثنا الشعبي ثمة تصورًا خرافيًا شاع بين العامة يقترب من التصورات التي تكونت عن آل صور أو تلك التي كونها الغربيون عن الدراكولا سابقي الذكر. مع اختلاف أن بإمكان أي واحد من البشر وحتى من دون قصد منه, أن يتحول إلى (دراكولا) ويمتص دماء ضحاياه وفي أي وقت شاء ليلاً أو نهاراً. ولا يتطلب هذا الأمر غرز أسنانه أو نابيه الطويلين بعنق الضحية كما يفعله الدراكولا الغربي أو غرز مسمار برأس الضحية كآل صور. وإنما عليه فقط الوقوف على مقربة من ضحاياه الجالسين أثناء تبادلهم أحاديثهم المختلفة. وكأن ثمة وجود أداة خفية من نوع ما, تنطلق من هذا القائم لتنغرز برؤوس ورقاب الجالسين فتمتص دماءهم من دون علم أو إدراك منهم.

وعليه فقد جرت العادة بأن يطلب هؤلاء الجالسون من أي شخص واقف بمجلسهم أو حتى على مقربة منهم إما الجلوس بينهم أو الابتعاد عن مجلسهم, حتى وإن كان هذا الواقف صديقاً لهم ومقرباً منهم. وهم يقولون لهذا الواقف: ((اجلس وإلا فانك سوف تمتص دمنا)).

وبالرغم من كون هذا التصور لم يعد له من وجود بين الناس اليوم إلا على سبيل المزاح بين الأصدقاء أو بين الأطفال. إلا إنه وفي فترة سابقة لهذا التصور من العمق لدرجة أن يصل إلى حد أن يتشاجر أو يتعارك الجالسون أو واحد منهم مع هذا الواقف بقربهم إذا رفض الجلوس أو الابتعاد عن مجلسهم. بزعم أن هذا الواقف لم يتخذ هذا الموقف إلا محاولة منه لامتصاص دمائهم من دون أن يحسوا به.

وعن امتصاص الدماء ساد أيضاً تصور بين العامة أن الصعامر (الخفافيش) تهاجم الناس وتمتص دماءهم أثناء نومهم. وأن الكثير من الجن تتلبس بهؤلاء الخفافيش.

مصاصات الدماء (Les Lamies) يقطن افريقيا, لهن حتى الخصر هيئة امرأة حسناء, وما دون الخصر هيئة أفعى. عرفهن بعضهم بأنهن ساحرات, فيما جعلهن بعضهم الآخر من ضمن المسوخ الشريرة. كن قد حرمن من ملكة الكلام ولكن حبين بصفير شجي. في الصحاري يستدرجن المسافرين بغية افتراسهم..)) للتفصيل انظر: كتاب المخلوقات الوهمية ص١١٠.

الهام والجوهرة:

الباحث في فكر الناس وتصوراتهم الشعبية المتوارثة سيجد من دون شك أن في تلك التصورات مواد عدة غزيرة ومتنوعة جديرة بالوقوف على فحواها. مواد تستحق من الباحث دراستها واستلهام ما تخفيه بداخلها من معارف ودلالات لها ارتباطات بهوية وثقافة أصحابها بل وحتى بتاريخهم الذي قد لا تكون سواها مصدراً له.

من هذه التصورات التي ارتبط بها وجداننا الجمعي وتوارثها شفاهة غالبية الحضارمة أسطورة (الهام وجوهرته). وإن كان ما تبقى من هذه الأسطورة أشبه بالتصورات الهلامية التي سرعان ما تذوب من وهج النسيان واللامبالاة لمثل هذا الوعي الوجداني الذي كما يصفه بعض الأنثروبولوجيين بالزائف.

إن تصور (الهام) في الفكر الشعبي للحضارمة يختلف تماماً عما هو عليه في فكر العرب الجاهليين. ففي الحين الذي اعتقد فيه عرب الجاهلية أن الهام أو الهامة طائر زعموا أنه يخرج من رأس القتيل الذي لم يؤخذ بثأره فيزقو عند قبره ويقول: اسقوني من دم قاتلي.. وفي ذلك يقول الشاعر ذو الإصبع العدواني:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي*** أضربك حتى تقول الهامة اسقوني.
((فإذا أخذ بثأره طارت. ومن مزاعمهم أن ذلك الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير في قدر البوم ويسمونه أيضا الهام وإنه يتوحش ويصيح ويوجد في الديار المعطلة الخالية من أهلها وحيث مصارع القتلى وأجداث الأموات...)). [٦٨٨]

أما عند الشحريين وربما عامة الحضارمة, فالهام كما يتصوره الناس صنف من الحيات الكبيرة على رأسها جوهرة [٦٨٩] ثمينة كأنها تاج على هام سلطان. وهذه الجوهرة بالنسبة للهام بمثابة العين فلا تبصر إلا بها.

كما يتصورها الخيال الشعبي كأنها ملكة لكل الحيات. فلا تسير إلا ويرافقها عدد من الثعابين الصغيرة طول الواحد منها شبر واحد أو أكثر بقليل يطلق عليهن

---

[٦٨٨] مروج الذهب (١١٨/٢)؛ موسوعة أساطير العرب (٣٣٤/١).

[٦٨٩] في اللغة الشحرية التي يتكلمها سكان ظفار العمانية تسمى لؤلؤة الثعبان (جافرت). انظر ما كتب عنها. الشحري, لغة عاد ص٣٣١.

بـ(الزراريق) [٦٩٠]. وهم من يتولون حمايتها والدفاع عنها. وهذه الزراريق بمجرد إحساسها بقدوم خطر ما قد يداهم الملكة. تنطلق بأقصى سرعة لها لتقفز في اتجاه الخطر كأنها سهام مارقة تخترق جسد هذا الدخيل. هكذا تقول الأسطورة ولها أيضًا ما قد يدعمها كما سنبينه في الفقرة اللاحقة (الأفاعي الطائرة).

إن هذا الحديث يقودنا إلى ما ذكره الجغرافي اليوناني (سترابو)[٦٩١] نقلاً عن (أرتيميدورس) عن هذه البلاد التي تنتج المر واللبان حيث زعم أن بها ((أفاعي حمراء داكنة اللون طول الواحدة منها شبر, تقفز إلى خصر الإنسان. وإنها إذا لدغت فإن لدغتها غير قابلة للشفاء)). [٦٩٢] وأضاف بليني أنه حينما ((تكون الجوهرة في رأس الثعبان فإنه يجب أن يكون حياً عند قطع رأسه. وإلا فإن الحجر لن يكون له أي فاعلية)) [٦٩٣].

كما أن هيرودوت أبا التاريخ أشار في كتابه إلى وجود أفاع طائرة في هذه الأرض (أرض اللبان) وإن كان وفقاً لأوصافه تلك فهي لا تتعدى وصفا للجراد. ومن الروايات ايضاً تلك التي تصور هذا الهام كحية تعيش منفردة من دون أي رفقة من (الزراريق) وأن الجوهرة التي على رأسها لا تقدر بثمن وهي تضيء في العتمة. وأن من حالفه حظه وامتلكها يمكنه أن يحقق بها الكثير من المآرب لفاعليتها السحرية.

وتذهب الأسطورة أيضا إلى أن الهام إذا أراد الشرب من (نهر, جدول، ساقية، بئر، عين) يقوم أولاً بنزع جوهرته من على رأسه كيلا تقع في الماء. ليعيدها إلى رأسه بعد أن يشرب.

---

[٦٩٠] الزراريق: باللهجة العامية جمع زرّاق, بتشديد الراء. ويطلق على الحيات التي تعيش في مياه البحر. وفي بيت شعري للشاعر الشعبي سعيد قشمر وهو من أهل مدينة غيل باوزير, أورد هذه اللفظة بصيغة (زرانيق) كما في هذا البيت:

وعوض سعيد الهام ليهو فوق رأسه الجوهرة هو لي زراييقه بجنبه قط ما يتأخرون.

وفي اللهجة أيضًا لفظة (زرق) بمعنى انطلق بأقصى سرعة. أو ظهر فجأة ليختفي بأقصى سرعته.

[٦٩١] جغرافي وعالم تاريخ اشتهر بكتابه الجغرافيا الذي صدر في ١٧ جزءاً والذي وصف فيه كل أجزاء العالم المعروف آنذاك، وتمثل هذه الأجزاء أفضل مصدر للمعلومات الجغرافية عن دول البحر الأبيض المتوسط عند بداية العصر النصراني. كما كتب سترابو كتاباً مطولاً في التاريخ لم يُعثر له على أثر. وقام برحلات إلى شبه الجزيرة العربية وأوروبا الجنوبية وشمالي أفريقيا. نقلاً عن مجموعة مؤلفين, الموسوعة العربية العالمية, مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع, المملكة العربية السعودية, ط٢, (١٥٨/١٢).

[٦٩٢] بافقيه, محمد عبدالقادر, تاريخ اليمن القديم ص٥٢.

[٦٩٣] معجم الفولكلور ص٢٢٩.

ثمة رواية محلية تحكي أن رجلَا من البدو استطاع بالحيلة الحصول على هذه الجوهرة الثمينة. إذ كمن للهام على رأس أحد الأشجار القريبة من عين ماء, يعتقد أن الهام تردها غالبا. وكان يحمل معه طينًا رطبًا مبللا. وعند حلول المساء اقبل هذا الهام بمفرده وما أن نزع الجوهرة من على رأسه للشرب حتى بدأ الرجل القابع أعلى الشجرة بتقطير الطين المبلل على الجوهرة من دون أن يحس الهام بذلك إلى أن اختفت تماماً وسط الطين.

وبعد أن فرغ الهام من إرواء عطشه. ألتفت لمكان جوهرته فإذا به لم يجدها. فما كان منه الا إن صاح صيحة عظيمة وأخذ يخبط المكان بصورة عشوائية ساحقاً كل ما يعترض طريقة. ومن حسن حظ الرجل أنه ما زال في أعلى الشجرة فلم يصبه أي أثر من غضبه. وما إن انصرف الهام يائساً لوجهته. حتى نزل الرجل من أعلى الشجرة وأخذ الجوهرة من وسط الطين فكانت المصدر لغناه وثرائه.

إن هذه الحكاية التي تصور إمكانية الحصول على الجوهرة نجد لها ما يدعمها من تصورات شعبية لدى أشقائنا في منطقة ظفار العمانية وإن بإمكان مالكها أن يعيرها لمن يطلبها بغرض استخدامها في العلاج خاصة وأنها كما قيل عنها تشفي من لسعة الثعبان وتسهل ولادة المرأة وتذر البول وتشفي من الجروح والقروح وغيرها.[٦٩٤]

وأسطورة الجوهرة في رأس هام نجدها كذلك في الأساطير الهندية وبصورة لا تختلف كثيراً عما هي عليه عندنا وإن كانت لها جذورها العقائدية لدى الهنود. فمن اعتقاداتهم حول الجوهرة السحرية MANI OR CHINTAMANI أن هذه ((الجوهرة السحرية التي حصلت عليها الآلهة عند مخض المحيط كما جاء في العقائد الهندية. وهي الجوهرة الموجودة في رأس الكوبرا, وطبقاً لما جاء في الأتهارفا – فيدا – تعد الماني تميمة ضد أنواع كل الشرور. وهي بعينها الصاعقة التي استخدمها إندرا ضد فريترا. وهي قطعة من الزبرجد الشفاف لها ثمانية أوجه شديدة اللمعان إلى حد تشع ضياء يحول ظلام الليل إلى نور النهار (إلى أن قال) والجوهرة التي توجد على رأس الكوبرا (وهي تساوي في قيمتها كنوز سبعة ملوك) لا يمكن اختفاؤها إلا عندما يلقى عليها روث البقرة)).[٦٩٥] كما وجدت تصورات مشابهة للهام لدى سكان جنوب برونيو بإندونيسيا.

---

٦٩٤ لغة عاد ص٣٣١.

٦٩٥ معجم الفولكلور ص٣٩٠ – ٣٩١.

أما القزويني فقد أشار في مصنفه (عجائب المخلوقات) لنوع من الحيات تسمى (الملكية) وهي حية يبلغ طولها شبرًا وأكثر ((وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شيء مرت عليه. وإن طار طائر فوقها يسقط عليها. وإذا بدأت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب. وإذا صفرت يموت من صفيرها كل حيوان سمع ذلك بعدما ينتفخ ويسيل منه الصديد. وأن أكل من تلك الجيفة شيء من السباع يموت. قال جالينوس إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قنازع مثل التاج. وهي قليلة الظهور للناس..)).[٦٩٦] وفي فقرة أخرى من كتابه هذا أشار لما يسمى بـ(حجر الحية) وعنه كتب: ((حجر الحية يقال له بالفارسية مهرة حار وهو في حجم بندقة صغيرة توجد على رأس الحيات بعضها لا كلها. وخاصيته أن العضو الملدوغ يجعل في اللبن أو في الماء الجاري. وهذا الحجر يلقي فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم. وقال ابن سينا إنه ينفع من نهش الحية تعليقاً. قال جالينوس أخبرني بذلك رجل صدوق)). [٦٩٧]

وتصورات العامة في جوهرة الهام ربما تتقارب من التصورات الشعبية للغرب في حجر رأس الثنين Draconite . وهو حجر كما قيل لا يوجد إلا على رأس الثنانين. وهم يعتقدون أن من علقه في ساعده الأيسر انتصر على أعدائه وسلم من كل السموم.[٦٩٨]. وهو غير حجر الإخفاء عندهم المسمى (أوفتالين) Ophtaline وعنه يقال إن الإمبراطور (قسطنطين) استخدمه للتجسس على أعدائه. [٦٩٩] وهناك أيضاً حجر البادزهرPeozard وهو حجر كما قيل تفرزه بعض الحيوانات ومنها بعض الحيات. ويعد ما تفرزه هذه الأخيرة من أجود الأنواع ويستخدم كطلاسم ضد لدغات الأفاعي.[٧٠٠]

وكثيراً ما أدخلت أسطورة الهام وجوهرته في الأدب الشعبي الحضرمي عامة, كما عمل على توظيفها الأدباء في كتاباتهم والشعراء الشعبيون في قصائدهم المتنوعة ومساجلاتهم الشعرية. وقد استعملت إما بدلالاتها الرمزية او وفقاً وللتصورات السائدة. ويمكن هنا أن نشير كنماذج إلى قصيدة الشاعر الشعبي (سعيد مرزوق) [٧٠١] (ت: ١٩٨١م) التي قيلت عام ١٩٣٧م بعد معاهدة الاستشارة ووصول المستشار الإنجليزي

---

٦٩٦ القزويني, عجائب المخلوقات, ص٣٦٦.

٦٩٧ عجائب المخلوقات ص١٨٣.

٦٩٨ معجم الخرافات والتصورات الشعبية في أوربا ص٧٥.

٦٩٩ معجم الخرافات ص٧٥.

٧٠٠ المرجع السابق, الصفحة نفسها.

٧٠١ ترجمته, حداد, عبدالله, معجم شعراء العامية الحضارمة ص١٢٩.

الأول (إنجرامس) لحضرموت. ومن الواضح في قصيدة الشاعر هذه أنه رمز بالهام (الأفعى الضخم) الإنجليز. كما رمز بالجوهرة إلى حضرموت. يقول الشاعر:

يا هام فك الجوهرة يا هام
من قبل ما تطلع نفوس أهل الهوى
عالجوهرة بايموتون
شليتها بالقهر يالظلّام
باتلحق الآثام من ربك وباتطمر
من الجنة إلى النار.

أما الشاعر الشعبي عائض بلوعل [٧٠٢] فيقول في إحدى مساجلاته الشعرية ذاكراً الهام وجوهرته:

يالهام قد شلوا عليك الجوهرة **** من تحت يدك وإيش عادك باتقول
هذا الجزاء يومك رميت الهوبرة **** ونسيت ربعك والسبب من بن سلول.

وهذا الشاعر الشعبي ناجي سعيد بن علي الحاج[٧٠٣] يقول في إحدى مساجلاته الشعرية:

ما دام نا نقرأ ونستخرا ونكتب بالقلم *** الجوهرة باجيبها لي معك عارأس هام.

أما الشاعر الشعبي سعيد قشمر فيقول:

وعوض سعيد الهام ليهو فوق رأسه الجوهرة
هو لي زرانيقه بجنبه قط ما يتأخرون.

وهذا الشاعر الشعبي أبو سراجين:

رأسي مكسّر من كلام السوق وكلام الدكك
يا عينهم بالجوهرة شيء الجوهرة عاراس هام.

وبالطبع هناك العديد من الشعراء الآخرين ذكروا الهام وجوهرته لا نستطيع ذكر قصائدهم جميعا هنا ونكتفي بما أوردناه.

---

٧٠٢ ترجمته معجم شعراء العامية ص١٥٦.

٧٠٣ ترجمته المرجع السابق ص٣٢٥.

كما أن الهام في التصور الشعبي قد يعني كذلك الحية الضخمة حتى وإن لم يكن لديها تاج على رأسها. وهو تصور أكثر واقعية من سابقه. وفي الأمثال الشعبية قول العامة: (هام في صوانه). وقولهم كذلك: (رأس هام خير من زمالة جرذان). يقول الشاعر حسين المحضار في إحدى قصائده:

حذاري من ملاوي الهام   شف نابه وريقه سام.

الأفاعي الطائرة:

سبق أن اوردنا ما ذكره هيرودوت وسترابو عن تلك الأفاعي الطائرة التي لا يتعدى طول الواحدة منها شبرًا والمنتشرة في بلاد اللبان. وإن تصورات العامة تذهب إلى أن هذه الافاعي التي أطلق عليها محلياً بـ(الزراريق) لا تفارق (الهام) في حله وترحاله. وانها الحامية له والمدافعة عنه.

وقد عدت مثل هذه الأخبار من قبيل الأسطورة. في حين يحاول بعضهم تأكيد وجود مثل تلك الأفاعي وبأرض اللبان تحديداً ونقصد بها هنا منطقة (ظفار). بل هناك من الباحثين من ذهب إلى أن اسم ظفار نفسه يعني في اللغة الشحرية (الثعبان الطائر).

وهذا ما نجده عند الباحث (علي الشحري) إذ كتب يقول: ((أما الاسم سفار فقد أطلقه اليونان على منطقة ظفار كلها ولا يعرف المعنى الحقيقي لهذا الاسم. ولكن من الجائز بأن الاسم سفار أتى من الاسم باللغة الشحرية (صوفور) وهو الاسم باللغة الشحرية للثعبان الطائر الذي نسجت حوله الكثير من الخرافات بواسطة اليونان والإغريق والروم على أن أشجار اللبان تحرسها ثعابين طائرة تقضي على كل من يحاول العبث بها. وعليه فمن الجائز أن الغربيين قد أطلقوا هذا الاسم على ظفار وسموها بلاد الثعابين الطائرة. وحيث إنهم لا ينطقون حرف (ص) بالعربية فقد استبدلوا به حرف (س) فقالوا (سفار). وقد أبلغني أحد افراد الشحري وهو (علي بن سعيد فورع بيت حوش الشحري) بأنه رأى عدداً من الثعابين الطائرة عام ١٩٨٦م في وادي (خييغش) وهذه الثعابين قصيرة لا يتعدى طولها الشبر الواحد وتقفز من شجرة إلى شجرة وبسرعة فائقة ولها أزيز كأزيز النحل ويمكنها أن تقفز مسافة ٣ أمتار. هذا حسب رواية المشاهد المذكور)). [٧٠٤]

---

[٧٠٤] الشحري, علي, لغة عاد, مرجع سابق, ص١٠.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

– التوراة

– قاموس الكتاب المقدس, هيئة التحرير د. بطرس عبد الملك وآخرون, كتاب الكتروني ملف وورد, الحقوق محفوظة لشركة **Compubraill**.

– ابن المجاور, ابو الفتح يوسف, صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى بتأريخ المستبصر, راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, مصر ١٩٩٦م.

– ابن حبيب, ابو جعفر محمد, المحبر, تصحيح , د. إيلزة ليختن شتيتر, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت, بدون طبعة وتاريخ.

– ابن خلدون, عبدالرحمن, تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر, مراجعة د. سهيل زكار, ضبط المتن ووضع الحواشي, خليل شحادة, ٨ اجزاء, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان, ٢٠٠٠م.

– ابن كثير, عماد الدين اسماعيل بن عمر

– البداية والنهاية, اعتنى به حسان عبدالمنان, بيت الافكار الدولية, لبنان, ط١, ٢٠٠٤م. جزءين.

– تفسير القرآن الكريم, تحقيق سامي بن محمد سلامه, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط٢, ١٩٩٩م. عدد الاجزاء ٨.

– ابن منظور, محمد بن مكرم بن علي, لسان العرب, دار صادر, بيروت, ١٤١٤هـ. ط١, عدد الاجزاء ١٥.

– ابن الوردي, سراج الدين عمر, خريدة العجائب وفريدة الغرائب, تحقيق انور محمود زناتي, الناشر مكتبة الثقافة الدينية, مصر, ط١, ٢٠٠٨م.

– ابن هشام, عبدالملك بن ايوب الحميري, التيجان في ملوك حمير, تحقيق ونشر, مركز الابحاث والدراسات اليمنية, صنعاء, ط١, ١٣٤٧هـ.

– أبوجبل, د. كاميليا, يهود اليمن, دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية, منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. ط١, دار النمير للطباعة والنشر, سوريا, تنفيذ دار معد, ١٩٩٩م.

– الاصطخري, ابي اسحاق ابراهيم بن محمد, مسالك الممالك, طبع في مدينة ليدن, بمطبعة بريل, ١٨٧٠م.

– الانصاري, ابي عبدالله محمد بن ابي طالب, نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, نشره المستشرق الدانمركي اوغست ميرن سنة ١٩٢٣م.

– إنجرامس, دبليو إتش, حضرموت ١٩٣٤–١٩٣٥م, (تقرير حول الحالة في حضرموت سياسياً واجتماعياً واقتصادياً) ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان, دار جامعة عدن للطباعة والنشر, ط١ , ٢٠٠١م.

– باحسن, عبدالله محمد

– نشر النفحات المسكية في اخبار الشحر المحمية, دراسة وتحليل محمد يسلم عبدالنور, تريم للدراسات والنشر, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠١٠م.
– باعكيم, عادل حاج
– أريج الياسمين في ترجمة تاج العارفين الشيخ سعدالدين بن علي الظفاري, طباعة مطبعة وحدين الحديثة للأوفست, ط١, ٢٠١٦م.
– بافقية, محمد بن عمر الطيب, تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر, تحقيق عبدالله محمد الحبشي, مكتبة الإرشاد, صنعاء, ط١, ١٩٩٩م.
– بافقيه, محمد عبدالقادر
– تاريخ اليمن القديم, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, لبنان, ١٩٨٥م.
– آثار ونقوش العقلة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة.
– بامخرمة الهجراني الحضرمي, جمال الدين الطيب بن عبدالله بن أحمد.
– النسبة إلى المواضع والبلدان, مركز الوثائق والبحوث, ابو ظبي, الامارات العربية المتحدة, ط١, ٢٠٠٤م.
– قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر, عني به بو جمعه مكرمي, خالد زواري, ٦ اجزاء, دار المنهاج, جدة, السعودية, ط١, ٢٠٠٨م.
– تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها, اعتنى به علي حسن عبدالحميد(الحلبي الاثري), دار الجيل بيروت, دار عمار عمان, ط٢, ١٩٨٧م.
– بامطرف, محمد عبد القادر.
– الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع, مطبعة السلام, عدن, ١٩٧٢م.
– معجم الامثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت, دار حضرموت للدراسات والنشر, مؤسسة العون للتنمية, ط١, ٢٠٠٨م.
– قبيلة قضاعة اليمنية, إصدار مكتب وزارة الأعلام, محافظة حضرموت. ضمن كتيب بعنوان الشحر مدينة وتاريخ. مجموعة من المؤلفين.
– الشهداء السبعة, صدر بإشراف وزارة الثقافة والسياحة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالتعاون مع حكومة الجمهورية العراقية. دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية – بغداد ١٩٧٤م.
– ملاحظات على ما ذكره الهمداني من جغرافية حضرموت, تحقيق ومراجعة, حسن صالح غلام العمودي, دار حضرموت للدراسات والنشر, ط٢, ٢٠١١م.
– في سبيل الحكم, صدر بإشراف وزارة الثقافة والسياحة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالتعاون مع حكومة الجمهورية العراقية, دار الحرية للطباعة, مطبعة الجمهورية, بغداد, ١٩٧٤م.
– مسرحية سور الشحر, إصدار فرقة الشحر للمسرح التابعة لإدارة الثقافة والسياحة م/الشحر, ١٩٧٧م.
– لمحات من تاريخ جزيرة سقطرى, دار حضرموت للدراسات والنشر, المكلا, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠٠١م.
– باهرمز, سالم بن أحمد, مجربات باهرمز أو كتاب الطب, تحقيق عادل حاج باعكيم, تريم للدراسات والنشر, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠١٦م.
– باوزير, سعيد عوض, الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي, توزيع المكتبة الوطنية, المكلا, ١٩٦١م.

- باوزير, محمد عبدالله بن هاوي. بن دحمان, عبدالله سعيد.
- كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها, طبع في مطبعة الابداع, عدن, ط١, ٢٠١١م.
- مدينة العرفان.. غيل باوزير, دار جامعة عدن للطباعة والنشر, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠١٠م.
بايمين, سعيد عوض, دراسات (الأساطير والحكايات الشعبية, من ادب الاطفال, الطب الشعبي القديم) مطبوع بورق الرونيو, من دون اية تفاصيل اخرى.
- البطاطي, عبدالخالق عبدالله, اثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع بحضرموت, ط١, ١٩٨٩م.
- البكري, ابي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز, المسالك والممالك, تحقيق د. جمال طلبة, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٣م.
- البكري, صلاح.
- تاريخ حضرموت السياسي, جزءين, المطبعة السلفية, ط١, ١٣٥٤هـ.
- في جنوب الجزيرة العربية, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, مصر, ط١, ٢٠٠٤م.
- بن جندان, سالم أحمد العلوي الحسني, مختصر كتاب الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وخضرموت, اختصره الدكتور عمر محمد باحاذق, دار المأمون للتراث, دمشق, بيروت, طذ, ٢٠٠١م.
- بن شهاب, حامد بن محمد, الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم, مكتبة تريم الحديثة, حضرموت, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠٠٢م.
- بن شيخان, سامي محمد, قطوف حضرمية من شعراء العامية, دار الوجيدة للفكر والتوزيع, غيل باوزير, حضرموت, ط١, ٢٠١١م.
- بن صالح, عبدالعزيز, تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة, مكتبة الانجلو المصرية.
- البوني, أحمد بن علي, شمس المعارف الكبرى, المطبعة الحسينية المصرية, ١٣٤٧هـ.
- تامر, عارف, أروى بنت اليمن, دار المعارف, مصر. سلسلة اقرأ العدد٣٣٠, يونيو ١٩٧٠م.
- توماس, برترام. مخاطر وجولات في جزيرة العرب, من العراق إلى عمان ١٩١٨-١٩٣٠م. ترجمة سهيل الجدا. مراجعة وتحرير د. أحمد ايبش. دار الكتب الوطنية, ابوظبي, الامارات العربية المتحدة. ط١, ٢٠١٤م.
- الجثام (اليافعي) فضل عبدالله, الحضور اليماني في تاريخ الشرق الادنى/سبر في التاريخ القديم/ منشورات دار علاء الدين, دمشق, ط١, ١٩٩٩م.
- الجرو, اسمهان سعيد, دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم, دار الكتاب الحديث, ٢٠٠٣م.
- الجوهي, خالد حسن, إمارة آل بن بريك في الشحر, دار الوفاق, الجمهورية اليمنية, الطبعة الأولى, ٢٠١٠م.
- الحبشي, عيدروس محمد, التوقيت الهجري لبعض المناسبات الاجتماعية الدينية لمدينة الشحر وضواحيها, التنفيذ الطباعي مطبعة وحدين الحديثة للأوفست. ط١, ٢٠١٨م.
- حجازي, محمد عبدالواحد, الأساطير العربية, مكتبة الايمان, المنصورة, ط١, رقم الايداع ٣٤٢٤/ ٢٠٠٨م.

- حداد, عبدالله صالح
- رقصة العدة من الالعاب الشعبية, منشورات فرع المركز اليمني للأبحاث الثقافية والاثار والمتاحف م/حضرموت, المكلا سبتمبر ١٩٨٠م.
- معجم شعراء العامية الحضارمة, إصدار مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر, حضرموت, ط١, ٢٠١٦م.
- رجال الشحر في شرق افريقيا من خلال ادبهم الشعبي, دار حضرموت للدراسات والنشر, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠١٦م.
- الابتهالات والمدائح في حضرموت, الابتداء والانتشار, مدينة الشحر نموذجاً, الطباعة مطابع وحدبن الحديثة للأوفست.
- الحداد, علوي بن طاهر, الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها, تريم للدراسات والنشر, ٢٠٠٥م نقلا عن طبعة سنغافورة ط١, ١٩٤٠م.
- حرب, طلال, معجم اعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة, منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ١٩٩٩م.
- الحموي, ياقوت بي عبدالله, معجم البلدان, ٥ اجزاء, دار صادر, بيروت, ١٩٧٧م.
- الحميري, محمد بن عبد المنعم, الروض المعطار في خبر الأقطار, المحقق: إحسان عباس, الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج, الطبعة: ٢ - ١٩٨٠ م.
- الخادم, سعد, الرقص الشعبي في مصر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر.
- خضر, فارس, العادات الشعبية بين السحر والجن والخرافة. مجلة الاذاعة والتلفزيون, ١٨ محرم ١٤٢٩هـ / ٢٦ يناير ٢٠٠٨م.
- الخضري, د. القس حنا جرجس, تاريخ الفكر المسيحي (١٥٧/٢ وما بعده) إصدار دار الثقافة المسيحية, مصر.
- دهمان, محمد أحمد, معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, دار الفكر المعاصر بيروت, لبنان, دار الفكر دمشق, سوريا, ط١, ١٩٩٠م.
- الزركلي, خير الدين بن محمود بن محمد, الأعلام, دار العلم للملايين, ط١٥, مايو ٢٠٠٢م.
- الرازي, محمد بن أبي بكر, مختار الصحاح, تحقيق محمود خاطر, مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٩٩٥م.
- الزبيدي, محمد بن محمد الحسيني, تاج العروس من جواهر القاموس, مجموعة من المحققين, دار الهداية, عدد الاجزاء ٤٠.
- سارجنت, روبرت, نثر وشعر من حضرموت, ترجمة سعيد محمد دحي, مراجعة محمد عبدالقادر بامطرف, منشورات فرع المركز اليمني م/حضرموت, المكلا, ابريل, ١٩٨٠م.
- ستاتي, عصام, شم النسيم, أساطير وتاريخ وعادات وطقوس, الهيئة العامة لقصور الثقافة, القاهرة, مصر, ط١, ٢٠٠٦م.
- السخاوي, شمس الدين محمد بن عبدالرحمن, الضوء اللامع لأهل القرن التاسع, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, لبنان.
- سعيد, حبيب, أديان العالم, دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة, بدون تواريخ.
- السقاف, حمود محمد جعفر, اضواء جديدة على التاريخ, تبابعة وملوك اليمن, مركز عبادي للدراسات والنشر, ط١, ٢٠٠٤م.

- السقاف, جعفر محمد, لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت, دار الفارابي, بيروت, وزارة الثقافة, عدن.
- السقاف, عبدالرحمن بن عبيدالله, ادام القوت في ذكر بلدان حضرموت, دار المنهاج – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- السقاف, عبدالله بن محمد, تاريخ الشعراء الحضرميين, ٥ أجزاء, مطبعة حجازي, القاهرة, ١٣٥٣هـ.
- السكوتي, انور حسن, المختصر في تاريخ مدينة الشحر العام, مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر, دار الوفاق, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط١, ٢٠٢١م.
- د. سليم, شاكر مصطفى, قاموس الانثروبولوجيا, جامعة الكويت, ط١, ١٩٨١م.
- سوسة, د. أحمد, العرب واليهود في التاريخ, العربي للإعلان والنشر والطباعة, ط٢, بدون تاريخ.
- سيد أحمد, د. عبدالحكيم خليل, دراسات في المعتقدات الشعبية, مكتبة الدراسات الشعبية, تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة, القاهرة, ط١.
- سيمنسوري, لوري, أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية, ترجمة محمود مهدي عبدالله, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط١, ٢٠٠٤م.
- الشابشتي, أبو الحسن علي بن محمد, الديارات, تحقيق كوركيس عواد, دار الرائد العربي, بيروت–لبنان, ط٣ ١٩٨٦م.
- الشاطري, محمد أحمد, ادوار التاريخ الحضرمي, عالم المعرفة للنشر والتوزيع, ط٢ , ١٩٨٣م.
- الشامي, رشاد, موسوعة المصطلحات اليهودية, الناشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات, مصر, ٢٠٠٢م.
- الشحري, علي أحمد, لغة عاد, مركز زايد للتراث والتاريخ, العين, الإمارات العربية المتحدة, ط١, ٢٠٠٠م.
- الشرجي الزبيدي, أحمد بن عبداللطيف, طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص, الدار اليمنية للنشر والتوزيع, ط١, ١٩٨٦م.
- الشلي, محمد بن ابي بكر
-عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر, تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي, مكتبة تريم الحديثة صنعاء, مكتبة الارشاد, صنعاء, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠٠٣م.
- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي, المطبعة العامرة الشرقية, ط١, ١٣١٩هـ.
- شنبل, أحمد بن عبدالله, تاريخ حضرموت, تحقيق عبدالله محمد الحبشي, مكتبة صنعاء الأثرية, ط٢, ٢٠٠٣م.
- الشيبة, عبدالله حسن
- دراسات في تاريخ اليمن القديم, مكتبة الوعي الثوري للطباعة والنشر والتوزيع, تعز, الجمهورية اليمنية, ط١, ٢٠٠٠م.
- ترجمات يمانية, منشورات دار الكتاب الجامعي, ط١, ٢٠٠٨م.

– شيخو, لويس, النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية, دار المشرق, ش م م, بيروت, لبنان, ط٢, ١٩٨٩م.

– صابان, د. سهيل, المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية, مراجعة د. عبدالرازق محمد حسن بركات, مكتبة الملك فهد الوطنية, الرياض, ٢٠٠٠م.

– الصالح, مصلح, الشامل, قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية, دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع, ط١, ١٩٩٩م.

– الطبري, أبو جعفر محمد بن جرير, تاريخ الرسل والملوك, وصلة تاريخ الطبري, لعريب بن سعد القرطبي, الناشر دار التراث, بيروت, ط٢, ١٣٨٧هـ, عدد الاجزاء ١١.

– عبودي, هنري س, معجم الحضارات السامية, جروس برس, بيروت, لبنان, ط٢, ١٩٩١م.

–العجم, رفيق, موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي, مكتبة لبنان ناشرون, لبنان, ط١, ١٩٩٩م.

– العسقلاني, أحمد بن علي بن حجر, فتح الباري بشرح صحيح البخاري, وعليه تعليقات لعبدالعزيز بن باز وعبدالرحمن البراك, اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي, دار طيبة للنشر والتوزيع, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط١, ٢٠٠٥م

– العلوي, محمد بن هاشم, رحلة إلى الثغرين الشحر والمكلا, طبع على نفقة آل الكاف شعبان ١٣٥٠هـ , تريم.

– العلوي, هادي, المستطرف الصيني, دار المدى للثقافة والنشر, سوريا, تاريخ الطبع ١٩٩٤ – ٢٠٠٠م.

– علي, جواد, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, دار الساقي, ط٤, ٢٠٠١م, عدد الأجزاء ٢٠.

– العماري, د. فضل بن عمار, الذئب في الخرافات والأساطير العالمية, كتاب المجلة العربية (٢٨٥), الرياض, ١٤٤١هـ.

– العمري, حسين عبدالله, مئة عام من تاريخ اليمن الحديث, دار الفكر, دمشق, ط١, ١٩٨٤م.

– العوتبي الصحاري, سلمة بن مسلم, الأنساب, تحقيق محمد إحسان النص, ط٤, ٢٠٠٦م.

–العودات, حسين, العرب النصارى, عرض تاريخي, الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع, ط١, ١٩٩٢م.

– العيدروس عبدالقادر, تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر, دار الكتب العلمية. لبنان, ط١, ١٩٨٥م.

– الغساني التركماني, يوسف بن عمر بن رسول, المعتمد في الاودية المفردة, ضبط وتصحيح محمود عمر الدمياطي, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٠م.

– غويدي, اغناطيوس, محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام, ترجمة وتقديم ابراهيم السامرائي, دار الحداثة للطباعة والنشر, بيروت, ط١, ١٩٨٦م.

– فرانتسوزوف, د. سرجيس, تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده, تقديم وتعريب د. عبدالعزيز بن عقيل, المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء, ط١, ٢٠٠٤م.

– القزويني, زكريا بن محمد الكوفي, عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات, منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٠م.

– القلقشندي, أبو العباس أحمد, صبح الأعشى, طبع بمطبعة دار الكتب المصرية, القاهرة,١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.
–كانا فاجيو, بيار, معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في اوربا, ترجمة أحمد الطبال, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, ط١, ١٩٩٣م.
– الكسادي, بدر بن أحمد, القاموس البحري, مراجعة حسن صالح شهاب, المجمع الثقافي, أبو ظبي, الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٠٤م.
–لقمان, حمزة علي: أساطير من تاريخ اليمن, دار المسيرة, بيروت, الطبعة الأولى, بدون تاريخ.
– تاريخ الجزر اليمنية, بدون بيانات.
– مجموعة من المؤلفين, الموسوعة العربية الميسرة. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع المكتبة العصرية, صيدا, بيروت ط٣, ٢٠٠٩م.
– مجموعة من المؤلفين, الشحر مدينة وتاريخ, إصدار مكتب وزارة الأعلام, محافظة حضرموت. طبعة قديمة بالرونيو.
– محيرز, عبدالله أحمد, رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربي, المركز العربي للدراسات الإستراتيجية, دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠٠٠م.
– مسجدي, أحمد عمر.
– مقدمات في التراث والموروث الشعبي بشواهد المحضار الشعرية,ط١, ٢٠١٨م.
– من الأدب الشعبي للطفل, التنفيذ الطباعي, مطبعة وحدين للأوفست, ط١, ٢٠١٢م.
– المسعودي, ابي الحسن علي بن الحسين
– مروج الذهب ومعادن الجوهر,٤ أجزاء, اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت,ط١, ٢٠٠٥م.
– أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان, دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان. ١٩٩٦م.
– د. مسعود, ميخائيل, الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام, دار العلم للملايين, ط١, ١٩٩٥م.
–المشهور, أبو بكر العدني بن علي, الإمام الشيخ عمر المحضار, .فرع الدراسات وخدمة التراث, أربطة التربية الإسلامية, عدن, ط١, ٢٠٠٢م.
– المصلي, محفوظ بن سعيد, تنبيه العزايم إلى شرح أمثال الحضارم, تحقيق عادل حاج باعكيم, مكتبة تريم الحديثة, تريم, حضرموت, ط١, ٢٠١٥م.
– المعلم, أحمد حسن, زيارة هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات, الأفق لخدمات الطباعة والنشر, تعز, الجمهورية اليمنية, ط١, ١٩٩٩م.
– المقحفي, إبراهيم أحمد, معجم البلدان والقبائل اليمنية, ٣ أجزاء, دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع, صنعاء, المؤسسة الجامعية للدراسات للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت – لبنان, ط١, ٢٠٠٢م.
– المقريزي, تقي الدين أحمد بن علي
– درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة, حققه وعلق عليه د. محمود الجليلي, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٢م. (٤ أجزاء).
– الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة, تحقيق طارق محمد سكلوع العمودي, دار حضرموت للدراسات والنشر, حضرموت, المكلا, ط١, ٢٠١٤م.
– الملاحي, عبدالرحمن عبدالكريم.

- الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص ثعين والحموم, مطبوع من دون تفاصيل الطباعة.
- ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان, وزارة التراث والثقافة, عمان, ط١, ٢٠٠٦م.
- الحضارم في ممباسا ودار السلام, دار حضرموت, ط١, ٢٠٠٤م.
- الموقع الجغرافي والتاريخي والاقتصادي والاجتماعي لمدينة الشحر, بحث ضمن عدة بحوث بعنوان الشحر مدينة وتاريخ إصدار مكتب وزارة الأعلام بمحافظة حضرموت.
- مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية في القرن الثامن والتاسع الهجريين. بحث ضمن ابحاث اخرى بعنوان ابحاث الحلقة العلمية الرابعة والخامسة في ذكرى دخول المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى المهاجر الى حضرموت, إصدار منتديات وادي حضرموت الثقافية الاجتماعية, تحت اشراف مركز الابداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث التابع لأربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية.
- الفرس في أرض اللبان. مجلة آفاق, العدد ٦, السنة ٣, فبراير ١٩٨٤م. صادرة عن اتحاد الأدباء والكتّاب, فرع محافظة حضرموت.
- مهران, محمد بيومي, دراسات في تاريخ العرب القديم, دار المعرفة الجامعية, مصر. بدون تاريخ.
- الناخبي, عبدالله بن أحمد. حضرموت, فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب أو شذور من مناجم الأحقاف, دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع, جدة, ط١, ١٩٩٧م.
- نعمة, حسن, موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة, دار الفكر اللبناني, بيروت,١٩٩٤م.
- الهمداني, الحسن بن أحمد بن يعقوب
- صفة جزيرة العرب, تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي, مكتبة الإرشاد, صنعاء, ط١, ١٩٩٠م.
- ولفنسون, إسرائيل, تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام, مطبعة الاعتماد, مصر, ١٩٢٧م.

الدوريات والصحف والمجلات

- مجلة العرب الصادرة عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر – الرياض – المملكة العربية السعودية
  - ج١,٢ س٢٦ يناير –فبراير ١٩٩١م.
  - ج١, ٢ , س٣٢ , نوفمبر–ديسمبر سنة ١٩٩٦م.
  - ج٣, ٤ س ٣٢ , يناير– فبراير سنة ١٩٩٧م.
  - ج٧, ٨ س٣٢ , يونيو – يوليو سنة ١٩٩٧م.
- مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية, الصادرة عن جامعة عدن, المجلد الثاني, العدد الثالث, يناير, يونيو, ١٩٩٩م. الجرو, اسمهان سعيد, طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم.
- المجلة العربية للعلوم الإنسانية تصدر عن جامعة الكويت العدد ٣٠, المجلد ٨, ربيع ١٩٨٨م. منذر عبدالكريم, دراسة في الميثولوجيا العربية, الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- مجلة آفاق, يصدرها اتحاد الأدباء والكتّاب, فرع محافظة حضرموت, العدد السادس, السنة الثالثة, فبراير, ١٩٨٤م, عبدالرحمن الملاحي, الفرس في ارض اللبان.
- مجلة آفاق, يصدرها اتحاد الأدباء والكتّاب, فرع حضرموت, العدد ١٤ السنة التاسعة نوفمبر ١٩٨٩م.
- مجلة آفاق, تصدر عن اتحاد الأدباء والكتّاب, فرع حضرموت, العدد ١٨ فبراير ١٩٩٨م.
- مجلة المعرفة صادرة عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية, العدد (٥٧٨) السنة (٥٠) تشيرين الثاني ٢٠١١م مقدسي, فايز, سمعان العمودي التجربة الفريدة في التاريخ.
- مجلة دراسات الأديان الصادرة عن بيت الحكمة العراقي العدد ١٩ السنة ٢٠١٠. الموسوي, جواد مطر, الديانة اليهودية في اليمن القديم.
- –مجلة الرسالة التربوية, العدد الأول، السنة الثالثة، تصدرها إدارة المعارف، المكلا، ١٩٦٤م. بافقيه, محمد عبدالقادر, الديانة في الممالك العربية الجنوبية ببلاد العرب.

مجلة حضرموت الثقافية, العدد (٥) محرم ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م, ولكر, جون, إله القمر في العملة الحضرمية, ترجمة د. خالد عوض بن مخاشن.

- مجلة شعاع الأمل العدد ٩٤, يوليو ٢٠٠٩م, عبدالرحمن, الشحر مركز التجارة العالمية في العصور الوسيطة والحديثة.
- نشرة الفكر الصادرة بغيل باوزير العدد ٥, يناير–مارس ١٩٩٧م. مقال للأستاذ عبدالله حداد بعنوان (الأرضي ومدونته التاريخية).

المخطوطات

- الملاحي, أحمد بن عبدالقادر الملاحي, المذكرة التاريخية الشحرية.
- مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي.

البحوث والرسائل والدراسات المنشورة وغير المنشورة

- الجرو, د أسمهان, العلاقات السياسية بين عمان واليمن القديم في العصر الحميري القرن(٤-٦م).
- الحسني, جمال محمد ناصر, الإله سين في ديانة حضرموت القديمة, دراسة من خلال النقوش والآثار, رسالة ماجستير, إشراف. أ. مشارك د. أحمد بن أحمد طايع, كلية الآداب, جامعة عدن, ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- خليل , د. محمد محمود, الخليج والجزيرة العربية في الوثائق والحوليات الصينية فترة العصور الوسطى, أسرة مينج أنموذجاً, منشور في مؤتمر العلاقات العربية الصينية, جامعة قناة السويس, ٢٠١٢م. (نسخة إلكترونية بحوزتي).
- ر . ب . سارجنت , التجار والتجارة في اليمن من القرن ١٣ - ١٦ م . نشر في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي , صادر عن المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية , ترجمة وتقديم د . نهى صادق.

الفهرس